المنتخب للطريحي

المنتخب

في جمع المراثي والخطب

المشتهر بـ(الفخري)

هوية الكتاب

* اسم الكتاب : مُنتخب الطريحي.

* المؤلف : الشّيخ فخر الدّين الطريحي.

* النّاشر : انتشارات المكتبة الحيدريّة.

* عدد الصّفحات : 496 , صفحة وزيري.

* الطّبعة : الأولى 1426 - 1384.

* المطبعة : شريعت.

* عدد المطبوع : 2000 نسخة.

* ردمك : x - 051 - 503 - 964

* ISBN 964 - 503 - 051 - x

المُنتخب

في جمع المراثي والخطب

المشتهر بـ (الفخري)

تأليف

الإمام الكبير والمُصنّف الشّهير الشّيخ

فخر الدّين الطريحي النّجفي المُتوفى سنة : 1085

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمةُ المؤلّف :

الحمدُ لله الذي جعل الدُّنيا جنّة لأعدائه ، وسجناً ومحنة لأوليائه وأحبائه ؛ ليبلوهم فيها بالاكتئاب ، ويجازيهم من الثّواب والعقاب ، والصّلاة والسّلام على مُحمّد وآله الأكرمين الأنجاب ، وعلى مَن سلك سبيلهم من التّابعين والأصحاب.

وبعد : فيقول الفقير إلى الله , فخر الدّين بن مُحمّد عليّ بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن طريح النّجفي ، إنّي مورد في هذا الكتاب , ما استطرفته من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومراثيهم ، وذكر مصائبهم وتعازيهم ، وجعلته مُرتّباً على عشرين مجلساً وأبواباً ، طالباً بذلك الرِّضا وجزيل الثّواب من الكريم الوهّاب ، وسمّيته بكتاب : (المُنتخب) في جمع المراثي والخُطب.

وها أنا ذا أشرع وأقول , والله الثّقة والمأمول :

المجلس الأوّل

في الليلة الأولى من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

البابُ الأوّل

أيّها المؤمنون المُخلصون والأُمناء الصّالحون : اعلموا إنّ الله عزّ وجلّ قد ابتلى ابن بنت نبيّه وأهل بيته (عليهم السلام) , بمصائب جليلة ورزايا عظيمة وبلايا جسيمة , لم يبتل بها أحد من نبيّ أو وليّ أو شريف أو دنيّ من ؛ القتل والصّلب والحرق والضّرب , والغيلة والحبس والسّبي والخلس , وضروب النّكال والوبال ، حتّى بنوا عليهم الأبنية وضيّقوا عليهم الأودية , فتفرّقوا في البلاد , وتركوا الأهل والأولاد , وكتموا الأنساب من الأحباب ؛ خوفاً من الأعداء والطّلاب ، ولم يزل السّيف يقطر من دمائهم , والسّجون مشحونة بأحرارهم وإمائهم , ولله درّ مَن قال من الرّجال :

ولقد بكيت لقتل آل محمّد ... بالطف حتّى كل عضو مدمع

عفرت بنات الأعوجية هل درت ... ما يستباح بها وماذا يصنع

وحريم آل محمّد بين العدى ... نهباً تقاسمها اللئام الوضع

تلك الضعائن كالإماء متى تُسق ... يعنف بهن وبالسياط تقنع

من فوق أقتاب المطى يشلها ... لكع على حنق وعبد أكوع

مثل السبايا بل أذل يشق منهن ... الخمار ويستباح البرقع

فمضفد في قيده لا يفتدى ... وكريمة تسبى وفرط ينزع

تالله لا أنسى الحُسين وشلوه ... تحت السنابك بالعراء موزع

متلفعـــــاً حمـــــر الثيـــــاب وفي غـــــد بالخضـــــر مـــــن فردوســـــها يتلفـــــع
تطـــــأ الســـــنابك صـــــدره وجبينـــــه والأرض ترجـــــف خيفـــــة وتضعضـــــع
والشـــــمس ناشـــــرة الـــــذوائب ثاكـــــل والـــــدهر مشـــــقوق الـــــرداء مقنـــــع
لهفـــــي علـــــى تلـــــك الـــــدماء تـــــراق في أيـــــدي أُميـــــة عنـــــوة وتضـــــيع

روى الصّدوق القُمّي : أنّ جميع الأئمّة (عليهم السلام) خرجوا من الدّنيا على الشّهادة ؛ قُتل عليّ (ع) فتكاً ، وسُمّ الحسن (ع) سرّاً ، وقُتل الحُسين (ع) جهراً , وسمّ الوليد زين العابدين (ع) ، وسمّ إبراهيم بن الوليد الباقر (ع) ، وسمّ جعفر المنصور الصّادق (ع) ، وسمّ الرّشيد الكاظم (ع) ، وسمّ المأمون الرّضا (ع) ، وسمّ المُعتصم مُحمّد الجواد (ع) ، وسمّ المُعتز عليّ بن مُحمّد الهادي (ع) ، وسمّ المُعتمد الحسن بن عليّ العسكري (ع) ، وأمّا القائم المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف) فروي : أنّه هرب خوفاً من المُتوكل ؛ لأنّه أراد قتله : ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلّا أَن يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وكان أوّل من استفتح بالظّلم ؛ مَن أخّر عليّاً (عليه السلام) عن الخلافة , وغصب فاطمة (عليها السلام) ميراث أبيها , وقتل المُحسن في بطن أُمّه , ووجأ عنق سلمان ، وقتل سعد بن عُبادة ومالك بن نويرة ، وداس بطن عمّار بن ياسر , وكسر أضلاع عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ونفى أبا ذر إلى الرّبذة , وأشخص عمّار بن قيس ، وغرب الأشتر النّخعي ، وأخرج عدي بن حاتم الطّائي ، وسيّر عميراً بن زرارة إلى الشّام , ونفى كُميل بن زياد إلى العراق , وخاض في دم مُحمّد بن أبي بكر , ونكب كعب بن جبل , ونفى جارية بن قُدامة , وعذّب عثمان بن حُنيف , وعمل ما عمل بحبّاب بن زهير وشريح بن هاني , ونحو هؤلاء ممّن مضى قتيلاً أو عاش في غصّة ذليلاً ، ولله درّ مَن قال :

لـــــو لا حـــــدود مـــــن صـــــوارم أمضـــــى مضـــــاربها الخليفـــــة
لنشـــــرت مـــــن أســـــرار آل محمّـــــد نكتـــــاً لطيفـــــة
وأريـــــتكم أن الحُســـــين أُصـــــيب في يـــــوم الســـــقيفة
ولأي شـــــيء ألحـــــدت بالليـــــل فاطمـــــة الشـــــريفة

فانظروا يا إخواني إلى فعل أوائلهم واقتفاء أرجاس بني أُميّة آثارهم , يقتلون مَن قاربهم , ويُعذّبون مَن ظاهرهم , كقتل معاوية ؛ عمّار بن ياسر , وزيد بن صوحان وصعصعة بن صوحان , وحُنيف بن ثابت وأويس القرني , ومالك الأشتر

---

(1) سورة التّوبة / 32.

ومحمّد بن أبي بكر , وهاشم المرقال وعبد الرّحمن بن حسّان , وغيرهم.

وتسليط زياد بن سُمّية على قتل الألوف من الشّيعة بالكوفة , وهو الذي دسّ في قتل الحسن (عليه السلام) إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس , وتبعه ابنه يزيد على ذلك , حتّى قتل الحُسين بن عليّ في نيف وسبعين رجُلاً ، منهم ؛ تسعة من بني عقيل ، وثلاثة من بني جعفر , وتسعة من بني عليّ (عليهم السلام) ، وأربعة من بني الحسن (عليه السلام) , وستّة من بني الحُسين (عليه السلام) , والباقي من أصحابه , مثل ؛ حبيب بن مُظاهر ومُسلم بن عوسجة , ونافع بن هلال وأحزابهم.

ثمّ تسلّط على الشّيعة عُبيد الله بن زياد (لع) , فجعل يصلبهم على جذوع النّخل ، ويقتلهم ألوان القتل ، وهو الذي خرّب سناباد لمّا رجم أهلها مَن كان مع رأس الحُسين (عليه السلام) , فبقيت خراباً إلى يومنا هذا.

ثمّ تسلّط آل الزّبير على الحجاز والعراق , فقتلوا ؛ المُختار بن أبي عُبيدة الثّقفي , والسّائب بن مالك وعبد الله بن كامل ونحوهم ، وكانوا قد حبسوا مُحمّد بن الحنفيّة ؛ يُريدون إحراقه ، ونفوا عبد الله بن العبّاس إلى الطّائف ومات بها.

ثمّ استولى عبد الملك بن مروان , وسلّط الحجاج على الحجازيين والعراقيين , فقتل ؛ سعيد بن جُبير بن أُمّ الطّويل , وميثم التّمار , وكُميل بن زياد , وقنبر عبد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , وأشباههم , حتّى محى آثار أهل البيت (عليهم السلام) , وقُتل زيد بن عليّ بن الحُسين (عليه السلام) على يد نصر بن خُزيمة الأسدي , وصلبه يوسف بن عمر بالكناسة (اسم موضع الكوفة) عرياناً , فكسى من بطنه جلدة سترت عورته , وبقي مصلوباً أربع سنوات , وكان لا يقدر أحد أن يندب عليه , وألقوا امرأة زيد بن عليّ على المزبلة , بعدما دُقّت بالضّرب حتّى ماتت.

ثمّ تبعه الوليد بن زيد , وأنفذ إلى يحيى , بن مُسلم بن جون في عشرة آلاف فارس , وليس مع يحيى – يومئذٍ – إلّا مئة وخمسون رجُلاً , فقُتلوا أجمعين وبقي يحيى يُقاتل حتّى قُتل يوم الجُمعة ، ثمّ صُلب وأُحرق وذُرّي.

وهكذا فعل بأشياعهم والتّابعين لهم ، ولله درّ مَن قال :

أبيت كأن الدهر يهوي إلى الأسى ... فأقداره طول الزمان به تسري

ففي كل يوم تنتحبني صروفه ... وقد خانني صبري وضيّعني فكري

كأن الرزايا ظل آل محمّد ... إذا مرّ قوم جاء قوم على الأثر

فانظروا يا إخواني إلى حال مَن تبع بني أُميّة الأرجاس , إلى أن ظهرت الدّولة العبّاسية.

افتتح أبو مُسلم بقتل عبد الله بن الحسن بن الحسن بخراسان , ثمّ سلّ المنصور سيفه في آل عليّ (عليهم السلام) , فقتلهم في كلّ ناحية , وقصدهم بالجيوش من كُلّ وجه , وحُمل عبد الله بن الحسن بن عليّ في أحد عشر رجُلاً , وهم ؛ عليّ بن الحسن بن عليّ ، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ , ونحوّهم من الحجاز إلى العراق فوق الأقتاب بالقيود والأغلال , وخلّدهم في سجنه معذّبين حتّى ماتوا كلّهم.

وخرج مُحمّد بن عبد الله , وقاتل حتّى قتله حميد بن قحطبة بن عيسى بن موسى ، وبنى جامع المنصور وجعل أساسه على السّادات من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) , ويُقال : إنّه دسّ في سوق الرّقة كثيراً منهم.

نُقل : إنّه لمّا بنى المنصور الأبنية ببغداد , جعل يطلب العلويّين طلباً شديداً , وجعل مَن ظفر به منهم , بالإسطوانات المجوّفة المبنيّة من الجصّ والآجر , فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه عليه شعر أسود من ولد الحسن بن عليّ بن أبي طالب , فسلّمه إلى البنّاء الذي كان يبني له , فأمر أن يجعله في جوف إسطوانة ويبني عليه , فوكّل به من ثقاته من يرعى ذلك حتّى يجعله في جوف إسطوانة بمشهده , فجعله البنّاء في جوف إسطوانة , فدخلته رقّة عليه ورحمة له , فترك في الإسطوانة فرجة يدخل منها الرّوح , وقال للغُلام : لا بأس عليك فاصبر , فإنّي سأخرجك من هذه الإسطوانة إذا جنّ الليل . فلمّا جنّ الليل , جاء البنّاء في ظلمته وأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الإسطوانة , وقال له : إتّق الله في دمي ودماء الفعلة الذين معي وغيّب شخصك , فإنّي إنّما أخرجتك في ظلمة هذا الليل من جوف هذه الإسطوانة ؛ إلاّ خفت إن تركتك في جوفها , يكون جدّك رسول الله خصمي يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ.

ثمّ أخذ شعره بألآت الجصّاصين ما أمكن , وقال له : غيّب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أُمّك . قال الغُلام : إن كان هكذا , فعرّف أُمّي إنّي قد نجوت وهربت ؛ لتطيب نفسها ويقلّ جزعها وبكاؤها , وإنّه لم يكن لعودي إليها وجه.

فهرب الغُلام ولا يدري إلى أين قصد من أرض الله تعالى , ولا أيّ بلد وقع , قال البنّاء : وكان الغُلام عرّفني مكان أُمّه وأعطاني شعره , فانتهيت إليها في الموضع الذي دلّني عليه , فسمعت دويّاً كدويّ النّحل من البكاء , فعلمت أنّها أُمّه , فدنوت منها

وعرّفتها خبر ابنها , وأعطيتها شعره وانصرفت . كذا في (عيون أخبار الرّضا)

فلمّا ولي الدّوانيقي قتل عبد الله بن مُحمّد بن عبد الله الحُسيني , بالسّند على يد هشام بن عمر التّغلبي , وخنق عبد الله بن الحسن في حبسه , وقتل ابنيه مُحمّداً وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العبّاسي , وهزم إدريس بفخّ حتّى وقع على الأندلس فريداً.

وما مات الدّوانيقي , إلّا أن ملأ سجونه من أهل بيت النّبوة والرّسالة , واقتفيت هذه الآثار حتّى قُتل في أيّام المهدي ؛ الحُسين بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ (عليهم السلام) ، وعبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسن (عليهم السلام) – المعروف بالأفطس – وكان مع القوم بفخّ.

وسمّ هارون الرّشيد موسى بن جعفر (عليهما السلام) , وقتل يحيى بن زيد بالسّجن بالجوع والعطش , ويحيى بن الحسن , إلى تمام السّتمئة رجل من أولاد فاطمة (عليها السلام) , قُتلوا في مقام واحد.

وقتل المأمون مُحمّد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن عليّ (عليهم السلام) , وكان قد خرج ومعه أبو السّرايا , عليّ بن هرثمة بن أعين ، وقتلوا من أصحاب زين العابدين (ع) مثل : خالد الكابُلي وسعيد بن جُبير ، ومن أصحاب الباقر (عليه السلام) مثل : بشر الرّحال والكُميت بن زيد , ومن أصحاب الصّادق (عليه السلام) مثل : المُعلّى بن خُنيس ، وقتل المُتوكل من أصحاب الرّضا (عليه السلام) مثل : يعقوب بن السّكّيت – الأديب – وسبب قتله ؛ إنّه كان مُعلّماً للمُعين والمؤيد ابني المتوكل , إذ أقبل فقال له : يا يعقوب , أهُما أحبّ إليك أم الحسن والحُسين ؟ فقال : والله , إنّ قنبراً غلام عليّ خير منهما ومن أبيهما . فقال المُتوكل : سلّوا لسانه من قفاه . فسلّوه فمات (رحمة الله عليه) , ومثل دعبل الخُزاعي.

وانتهت بالمُتوكل العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) , إلى أن أمر بهجو عليّ وفاطمة وأولادها (عليهم السلام) , فهجاهم ؛ ابن المُعتز وابن الجهم , وابن سكرة وآل أبي حفصة , ونحوهم لعنهم الله جميعاً , وصار من أمر المتوكل إلى أن أمر بهدم البناء على قبر الحُسين (عليه السلام) , وإحراق مقابر قُريش , وفي ذلك أنشد حيث قال :

قام الخليفة من بني العبّاس ... بخلاف أمر إلهه في النّاس

ضاهاها بهتك حريم آل محمّد ... سفهاً فعال أُميّة الأرجاس

والله ما فعلت أُميّة فيهم ... معشار ما فعلوا بنو العبّاس

مـــا قـــتلهم عنـــدي بأعظـــم مأتمـــاً مـــن حـــرقهم مـــن بعـــد في الأرمـــاس

ثمّ جرى الظُلم على ذلك , إلى أن هدم سبكتكين مشهد الرّضا (عليه السلام) , وأخرج أبوابه وأخرج منه وقر ألف جمل مالاً وثياباً , وقتل عدّة من الشّيعة.

قيل : وممّن دُفن حيّاً من الطّالبيين ؛ عبد العظيم الحسني بالرّي , ومُحمّد بن عبد الله بن الحُسين , ولم يبق في بيضة الإسلام بلدة إلاّ قُتل فيها طالبي أو شيعي , حتّى ترى الظَّلَمة يُسلّمون على مَن يعرفونه ؛ دهريّاً أو يهوديّاً أو نصرانيّاً ويقتلون مَن عرفوه شيعيّاً , ويسفكون دم مَن اسمه عليّ , ألا تسمعون ؛ بيحيى المُحدّث , كيف قطعوا لسانه ويديه ورجليه , وضربوه ألف سوط ثمّ صلبوه ؟ وبعليّ بن يقطين كيف اتهموه ؟ وزرارة بن أعين كيف جبهوه ؟ وأبي تراب الرّموزي كيف حبسوه ؟ ومنصور بن الزّبرقان من قبره كيف نبشوه ؟

ولقد لعن بنو أُميّة عليّاً (عليه السلام) ألف شهر في الجُمع والأعياد , وطافوا بأولاده في الأمصار والبلاد وليس فيها مُسلم ينكر ذلك , حتّى أنّ خطيباً من خُطبائهم بمصر , نسي اللعنة في الخطبة , فلمّا ذكرها , قضاها في الطّريق , فبني في ذلك الموضع مسجداً وسمّوه مسجد الذّكر يتبرّكون به.

ثمّ إنّهم لم يرضوا بذلك حتّى قالوا : مات أبو طالب كافراً . ولا تزال تسمع بذلك , دون أن تسمع عن أبي أو عن .. أو عن.. شيئاً من ذلك.

فيا عجباه , بقيت آثار كسرى إلى الآن وآثار رسول الله دارسة وأعلامه طامسة ! استولوا على ماله بعده وخرّبوا بيته , وأضرموا ناراً على أهل العبا , وحرّفوا كتاب الله , وغيرّوا السّنن وأبدعوا في الدّين , وخذلوا الأوصياء وقتلوا العترة ، وسبوا نساء النّبي وذرّيّته , وذبحوا أطفاله وصبيته , وداروا برؤوسهم في البُلدان من فوق عالي السّنان , فهذه رزيّة لم تُماثلها رزيّة , وبليّة عظمت على كُلّ بليّة ، ولله درّ مَن قال – وهو على ما نُقل : أوّل شعر قيل في الحُسين (عليه السلام) – :

إذا العـــين قـــرت في الحيـــاة وأنـــتم تخـــافون في الـــدنيا فـــأظلم نورهـــا
مـــررت علـــى قـــبر الحُســـين بكـــربلا ففـــاض عليـــه مـــن دمـــوعي غزيرهـــا
فمـــا زلـــت أبكيـــه وأرثـــي لشـــجوه ويســـعد عيـــني دمهـــا وزفيرهـــا
وأبكيـــت مـــن بعـــد الحُســـين عصـــائباً أطافـــت بـــه مـــن جانبيـــه قبورهـــا
ســـلام علـــى أهـــل القبـــور بكـــربلا وقُـــل لهـــا مـــني ســـلام يزورهـــا
ســـلام بآصـــال العشـــي وبالضـــحى تؤدّيـــه نكبـــات الـــرياح ومورهـــا

ولا يـــــــــبرح الوفـــــــاد زوار قـــــــــبره يفـــــوح علـــــيهم مســـــكها وعبيرهـــــا

وممّا يحسن في هذا الباب , ذكرُ مَن قتله الرّشيد من أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) , بعد قتله لموسى بن جعفر (عليه السلام) بالسّم في ليلة واحدة , سوى مَن قُتل منهم في الليالي والأيّام :

روي عن عبد الله البزاز النّيسابوري , قال : كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطّائي معاملة , فدخلت في بعض الأيّام فبلغه قدومي , فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السّفر لم أغيّرها , وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظّهر , فلمّا دخلت عليه , رأيته في بيت يجري فيه الماء , فسلّمت عليه وجلست , فأتى بطشت وإبريق فغسّل يده وأمرني فغسلت يدي , وأُحضرت المائدة وذهب عنّي , فقلت : إنّي صائم وإنّي في شهر رمضان . ثمّ ذكرت فأمسكت يدي , فقال حميد : مالك لا تأكل ؟ فقلت : أيّها الأمير , هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علّة توجب الإفطار , وإنّي لصحيح البدن . ثمّ دمعت عيناه وبكى , فقلت له – بعدما فرغ من طعامه – : ما يبكيك أيّها الأمير ؟ فقال : أنفذ إليّ هارون الرّشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب الأمير ، فلمّا دخلت عليه , رأيت بين يديه خادماً واقفاً , فلمّا قمت بين يديه , أذِن لي بالانصراف , فلم ألبث في منزلي حتّى عاد إليّ الرّسول وقال : أجب الأمير . فقلت في نفسي : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . وأخاف على نفسي أن يكون قد عزم على قتلي , وإنّه لما رآني , استحى منّي فعدت إلى بين يديه , فرفع رأسه وقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ قلت بالنّفس والمال والأهل والولد . فتبسّم ضاحكاً ، ثمّ قال : أذنت لك بالإنصراف . فلمّا دخلت منزلي , لم ألبث أن عاد إليّ الرّسول , فقال : أجب أمير المؤمنين . فحضرت بين يديه وهو على حاله , فرفع رأسه وقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت : بالنّفس والمال والأهل والولد والدّين . فضحك ثمّ قال : خُذ هذا السّيف , وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم.

قال : فتناول الخادم السّيف وناولنيه , وجاء إلى بيت بابه مُغلق ففتحه , فإذا فيه بئر في وسطه , وثلاث بيوت أبوابها مُغلقة , ففتح باب بيت منها , فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشّعور والذّوائب , شيوخ وكهول وشبّان مقيّدون , فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء . – وكانوا كلّهم علويين من ولد عليّ وفاطمة (عليهم السلام) – فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد

فاضرب عُنقه , حتّى أتيت على آخرهم , فرمى بأجسامهم ورؤوسهم في البئر.

ثمّ فتح باب آخر , فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلويين من ولد عليّ وفاطمة مقيّدون , فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء . فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد , فاضرب عُنقه ويرمي به في تلك البئر , حتّى اتيت على أخرهم.

ثمّ فتح باب البيت الثّالث , فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد عليّ وفاطمة مقيّدون , عليهم الشّعور والدّوائب , فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً . أتيت على تسعة عشر نفساً منهم , وبقي شيخ منهم عليه شعر , فقال لي : تبّاً لك يا ميشوم , أيّ عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله , وقد قتلت من أولاده ستّين نفساً من ولد عليّ وفاطمة (عليهم السلام) ؟! ثمّ قال : فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي , فنظر إليّ الخادم فزجرني , فاتيت على ذلك الشّيخ أيضاً فقتلته ورميت به في تلك البئر , فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستّين نفساً من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فما ينفعني صومي ولا صلاتي , وأنا لا أشكّ إنّي مُخلد في النّار . كذا في (عيون أخبار الرّضا).

فيا إخواني , أيّ قلب يستر بعد قتلهم ؟! وأيّ فؤاد يفرح بعد فقدهم ؟! أم أيّة عين تحبس دمعها وتبخل بأنّهما لها ودفعها ؟! كيف وقد بكت لهم ؛ السّبع الشّداد والجبال والأوتاد , والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها , والحيتان في لجج البحار , ومَن في جميع الأمصار والأقطار , والملائكة المقرّبون وأهل السّماوات أجمعين , وكيف لا , وقد أصبح أهل البيت ؛ مطرّدين مشرّدين مذوّدين عن الدّيار , والأوطان والأهل والولدان.

فيا إخواني , اجتهدوا في النّياحة والعويل , وتساعدوا على إقامة هذا المصاب الجليل , والبسوا لباس الأحزان , وتخلّقوا بجلباب الأشجان , وخاطبوا السّلوة خطاب الهجر متمثّلين بقول مَن قال : أيا سلوة الأيّام موعدك الحشر.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم.

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله)

لم أبك ربعاً للأحبّة قد خلا ... وعفا وغيره الجديد وامحلا

كلا ولا كلفت صحبي وقفة ... في الدار إن لم أشف صباً علا

ومطـــــارح النـــــادي وغـــــزلان النقـــــا ... والجـــــزع لم أحفـــــل بهـــــا متغـــــزلا
وبـــــواكر الأضـــــعان أســـــكب لهـــــا ... دمعـــــاً ولا خـــــل نأى وتـــــرحلا
لكـــــن بكيـــــت لفـــــاطم ولمنعهـــــا ... (فـــــدكاً) وقـــــد أتـــــت الخـــــؤون الأولا
إذ طالبتـــــه بإرثهـــــا فـــــروى لهـــــا ... خـــــبراً ينـــــافي المحكـــــم المتنـــــزلا
لهفـــــي لهـــــا وجفونهـــــا فرحـــــى وقـــــد ... حملـــــت مـــــن الأحـــــزان عبئـــــاً مـــــثقلا
وقـــــد اعتـــــدت منفيـــــة وحميهـــــا ... متطـــــيراً ببكائهـــــا متـــــثقلا
تخفـــــي تفجعهـــــا وتخفـــــض صـــــوتها ... وتظـــــل نادبـــــة أباهـــــا المرســـــلا
تبكـــــي علـــــى تكـــــدير دهـــــر مـــــا صـــــفا ... مـــــن بعـــــده وقريـــــر عـــــيش مـــــا حـــــلا
لم أنســـــها إذ أقبلـــــت في نســـــوة ... مـــــن قومهـــــا تـــــروي مـــــدامعها المـــــلا
وتنفســـــت صـــــعداً ونادت أيهـــــا ... الأنصـــــار يا أهـــــل الحمايـــــة والكـــــلا
أخـــذ الإلـــه لـــك العهـــود علـــى الـــورى ... في الـــذر لمـــا أن يـــرى وبـــك ابتلـــى
في يـــوم قـــال لهـــم : ألســـت بـــربكم ... وعلـــي مـــولاكم معـــاً قـــالوا : بلـــى
قســـماً بـــوردي مـــن حيـــاض معـــارفي ... وبشـــربتي العـــذب الرحيـــق السلســـلا
ومـــن اســـتجارك مـــن نـــبي مرســـلا ... ودعـــى بحقـــك ضـــارعاً متوســـلا
لـــو قلـــت إنـــك رب كـــل فضـــيلة ... مـــا كنـــت فيمـــا قلتـــه متـــنحلا
أو بحـــت بالخطـــر الـــذي أعطـــاك رب ... العـــرش كـــادوني وقـــالوا قـــد غـــلا
فإليـــك مـــن تقصـــير عبـــدك عـــذره ... فكثـــير مـــا أبكـــي أراه مقلـــلا
بـــل كيـــف يبلـــغ كنـــه وصـــفك قائـــل ... وأبيـــه في عليـــاك أبلـــغ مقـــولا
ونفـــائس القـــرآن فيـــك تنزّلـــت ... وبـــك اغتـــدى متحليـــاً مـــتجملا
فاســـتحلها بكـــراً فأنـــت مليكهـــا ... وعلـــى ســـواك تجـــل مـــن أن يجتلـــى
ولـــئن بقيـــت لأنظمـــن قلائـــداً ... ينســـى ترصـــعها النظـــام الأولا
شـــهد الإلـــه بأني متـــبرئ ... مـــن حبـــتر ومـــن الـــدلام ونعـــثلا
وبـــراءة الخلعـــي مـــن عصـــب الخنـــا ... تبـــنى علـــى أن الـــبرا أصـــل الـــولا

الباب الثّاني

أيّها الإخوان , الطّريق واضح والحقّ بيّن لائح , لا يضلّ عنه إلّا مَن دان الله على قلبه , وطبع على عقله ولبّه.
علم النّبي فيما أُوحي إليه , أنّ أصحابه من بعده

يبتزّون نحلة ابنته ويشجعون ببلغة ذرّيّته , قال : ((فاطمة بضعة منّي , مَن آذاها فقد آذاني)) . فلم يسمعوا , وقال: ((فاطمة يغضب الله لغضبها)) . فلم يرتدعوا ، ثمّ علم أنّ آله يُشرّدون عن الأوطان , ويُقتلون في كلّ مكان ، فقال – بعدما ورد في حقّهم من القُرآن – : ((مَن أحبّ أن ينسى له في أجله , وأن يُمتّعه الله بما خوّله الله؟ فليخلفني في أهلي خلافة حسنة , فمَن لم يخلفني فيهم , بتر الله عمره , وورد عليّ يوم القيامة مسودّاً وجهه)) . فلم يرجعوا.

فصبروا (عليهم السلام) على مضض الأحزان , واحتسبوا ذلك في جنب الرّحمن , وكان القادر على هلاكهم ذو الجلال على استئصالهم في الحال دون المآل , إلّا أنّ الحكم من الحكيم اقتضت تأخيرهم من العذاب الأليم ؛ رجاء أن يخرج من أصلابهم قوم , يعبدون الله ويسبّحونه ويهلّلونه ويقدّسونه.

قيل : لمّا بلغ فاطمة (عليها السلام) إصرار أبي بكر على منعها فدكاً والعوالي , قامت ولاثت خمارها واشتملت بإزارها , وأقبلت في لمّة من حفدتها ونسائها تطأ في أذيالها من شدّة الحياء , حتّى دخلت على أبي بكر وهو في مسجد أبيها وحوله جمع من المهاجرين والأنصار , فأمرت أن يُضرب بينها وبينهم ستر ، ثمّ إنّها أنّت أنّة أجهش القوم بالبكاء والنّحيب ؛ رحمة لها ، ثمّ أمهلت حتّى سكنوا من فورتهم , فقالت : ((يا معشر المُسلمين , كيف ابتزّ إرث أبي وأنتم الآن تزعمون إنّه إرث لي :﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] ؟! . فكيف أُحرم ميراث أبي وأنت (تعني أبا بكر) ترث أباك :﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[2] ؟!)) . فقال لها : ما أرّثك أبوك شيئاً , وإنّه قال : إنّ الأنبياء لا يورّثون شيئاً . فقالت : ((لهذا يُخالف ما أنزل في كتابه العزيز , حيث يقول : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[3].

ولم يجعل ذلك خاصّاً بالأُمّة دونه , وكيف تروي عن أبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورّث , وقد قال تعالى :﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾[4] . وقال تعالى عن زكريا , قَالَ رَبِّ :﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[5] ؟!)).

فلمّا ألحّت عليه بالجدال , قال : هاتي أسود وأبيض يشهدا لك بذلك . فقام إليه رجل من المؤمنين وقال له : مَن شهد لعلي ببيعته يوم الغدير من ذلك , الجم الغفير حتّى يشهد لفاطمة بفدك والعوالي ؟ فجاءت أُمّ أيمن وشهدت لها بذلك , قال : هذه امرأة لا يُقبل قولها . مع أنّ جميع الصّحابة رووا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : ((إنّ أُمّ أيمن من أهل الجنّة)) . ثمّ جاء عليّ

---

(1) سورة المائدة / 50 .
(2) سورة مريم / 27.
(3) سورة النّساء / 11.
(4) سورة النّمل / 16.
(5) سورة مريم / 5 – 6.

(عليه السلام) وشهد لها بذلك , فقال : هذا بعلك يجرّ النّفع إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك . مع أنّهم رووا جميعاً , إنّ رسول الله قال : ((عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ , يدور حيث ما دار , لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)).

قال : فعند ذلك غضبت فاطمة (عليها السلام) وانصرفت , وحلفت أن لا تكلّمه وصاحبه , حتّى تلقى أباها وتشكو إليه ما نالها منهما.

وروي من كرامتها (عليها السلام) وعظمتها عند الله.

لـمّا مُنعت حقّها , اخذت بعضادتي حجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) , وقالت : ((ليست ناقة صالح عند الله بأعظم منّي)) . ثمّ رفعت جنب قناعها إلى السّماء وهمّت أن تدعو , فارتفعت جدران المسجد عن الأرض وتَدلّ العذاب , فجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فمسك يدها الشّريفة وقال : ((يا بنت الصّفوة وبقيّة النّبوة وشمس الرّسالة ومعدن الرّحمة, إنّ أباك رحمة للعالمين , فلا تكوني عليهم نقمة , أقسمت عليك بالرّؤوف الرّحيم أن ترجعي)) . فعادت إلى مصلاها (عليها السلام) , ولله درّ مَن قال :

دكـــــــدك القـــــــوم مســـــــجدك منعـــــــوا فاطمـــــــاً فـــــــدك

فعلـــــــى القـــــــوم لعنـــــــة كلمـــــــا حـــــــرك الفلـــــــك

الله بعليّ , وهو أشرف أهل بيتك حسباً , وأعلاهم منصباً , وأرحمهم بالرّعية , وأعدلهم بالسّوية , وأبصرهم بالقضية . وقد سألت ربّي أن تكوني أوّل من يلحقني)) . فلم تبقَ بعده إلّا خمسة وسبعون يوماً , حتّى ألحقها الله به.

وبالإسناد المذكور قال : قال رسول لله (ع) : ((فيأتي المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنّما يقطر من شعره الماء, فيقول المهدي : تقدّم صلّ بالنّاس . فيقول عيسى : إنّما أُقيمت الصّلاة لك . فيُصلّي عيسى ثمّ خلفه رجل من ولدي , فإذا صُلّيت الصّلاة , قام عيسى حتّى جلس في المقام فبايعه , فيمكث أربعين سنة)) . أوّل الآيات في زمان الدّجال , ثمّ نزول عيسى , ثمّ نار تخرج من بحر عدن تسوق النّاس إلى المحشر.

فيا إخواني , أيّ فضل أعظم من فضل أئمتكم ؟ وأيّ حقّ أوجب من حقّ صفوتكم ؟ شهد القرآن بفضلهم وأكّد الله على النّاس بحقّهم , فقال – فيما أوحى على لسان الرّسول (صلى الله عليه وآله) – : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1] . فجعل جزاء الإسلام والخلاص من النّار محبّة الآل الأطهار , فانظروا إلى البلاء الذي رُفع بسبب مودّتهم عنكم , ولكن على قدرة المحبّة لهم منكم , ولله درّ مَن قال :

وإني قد علقت بحب قوم ... إذا ناداهم المضطر جاءوا

هم القوم الذي إذا ألمت ... من الأيام مظلمة أضاءوا

وإن بلادهم ما قد علمتم ... على الأيام أن يقع البلاء

بمديحهم يسعتين المادحون , فيتسع لهم المقال فيما يقول , كأنّ لهم الصّيب الكامل , بل الكلّ لديهم حاصل , وإن كان لغيرهم شيء من الشّرف , فمن بحرهم أخذ واغترف.

روى جمع من الصّحابة قالوا : دخل النّبي دار فاطمة فقال : ((يا فاطمة , إنّ أباك اليوم ضيفك)) . فقالت : ((يا أبة , إنّ الحسن والحُسين يطالباني بشيء من الزّاد , فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به)) . ثمّ إنّ النّبي دخل وجلس مع ؛ عليّ والحسن والحُسين وفاطمة (عليهم السلام) , وفاطمة مُتحيّرة ما تدري كيف تصنع , ثمّ إنّ النّبي نظر إلى السّماء ساعة , وإذا بجبرائيل قد نزل وقال : يا مُحمّد , العلي الأعلى يقرؤك السّلام ويخصّك بالتّحية والإكرام ويقول لك : ((قُل لعليّ وفاطمة والحسن والحُسين , أيّ شيء يشتهون من فواكه الجنّة ؟)) . فقال النّبي : ((يا عليّ ويا فاطمة ويا حسن ويا حُسين , إنّ ربّ العزّة

---

(1) سورة الشّورى / 23.

علم أنّكم جياع , فأيّ شيء تشتهون من فواكه الجنّة ؟)) . فأمسكوا عن الكلام ولم يردّوا جواباً ؛ حياء من النّبي (ص) , فقال الحُسين (ع) : ((عن إذنك يا أباه يا أمير المؤمنين , وعن إذنك يا أُمّاه يا سيدة نساء العالمين , وعن إذنك يا أخاه الحسن الزّكي , أختار لكم شيئاً من فواكه الجنّة ؟)) . فقالوا جميعاً (عليهم السلام) : ((قُل يا حُسين ما شئت , فقد رضينا بما تختاره لنا)) . فقال : ((يا رسول الله , قُل لجبرائيل إنّا نشتهي رُطباً جنيّاً)) . فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((قد علم الله ذلك)) . ثمّ قال : ((يا فاطمة , قومي ادخلي البيت واحضري إلينا ما فيه)) . فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلّور مُغطّى بمنديل من السّندس الأخضر , وفيه رُطب جني في غير أوانه , فقال النّبي : ((أنّى لك هذا ؟!)) . قالت : ((هو من عند الله , إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب)) . (كما قالت بنت عمران) . فقام النّبي وتناوله منها وقدّمه بين أيديهم , ثمّ قال : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) . ثمّ أخذ رطبة فوضعها في فم الحُسين , فقال : ((هنيئاً مريئاً يا حُسين)) . ثمّ أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن , وقال : ((هنيئاً مريئاً يا حسن)) . ثمّ أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزّهراء ، وقال : ((هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزّهراء)) . ثمّ أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم عليّ , وقال : ((هنيئاً مريئاً لك يا عليّ)) . ثمّ ناول عليّاً رطبة أُخرى , والنّبي يقول له : ((هنيئاً لك يا عليّ)) . ثمّ وثب النّبي قائماً ثمّ جلس , ثمّ أكلوا جميعاً من ذلك الرُطب , فلمّا اكتفوا وشبعوا , ارتفعت المائدة إلى السّماء بإذن الله تعالى , فقالت فاطمة : ((يا أبة , لقد رأيت اليوم منك عجباً !)) . فقال : ((يا فاطمة , أمّا الرّطبة الأولى التي وضعتها في فم الحُسين وقلت له : هنيئاً يا حُسين . فإنّي سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان : هنيئاً لك يا حُسين . فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول : هنيئاً لك يا حُسين . ثمّ أخذت الثّانية فوضعتها في فم الحسن , فسمعت جبرائيل وميكائيل يقولان : هنيئاً لك يا حسن . فقلت أنا موافقاً لهما في القول , ثمّ أخذت الثّالثة فوضعتها في فمك يا فاطمة , فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان , وهنّ يقلنّ : هنيئاً لك يا فاطمة . فقلت موافقاً لهنّ بالقول , ولمّا أخذت الرّابعة فوضعتها في فم عليّ , سمعت النّداء من الحقّ سبحانه وتعالى يقول : هنيئاً مريئاً لك يا عليّ . فقلت موافقاً لقول الله عزّ وجلّ , ثمّ ناولت عليّاً رطبة أُخرى ثمّ أُخرى , وأنا أسمع صوت الحقّ سبحانه وتعالى يقول : هنيئاً مريئاً لك يا عليّ . ثمّ قمت إجلالاً لرّب العزّة جلّ جلاله , فسمعته يقول : يا

محمّد , وعزّتي وجلالي , لو ناولت عليّاً من هذه السّاعة إلى يوم القيامة رُطبة رُطبة , لقلت له هنيئاً مريئاً بغير انقطاع)).

فيا إخواني , هذا هو الشّرف الرّفيع والفضل المنيع , ولله درّ مَن قال :

لمثـــل علاهـــم ينتهـــي المجـــد والفخـــر وعنـــد نـــداهم يخجـــل الغيـــث والبحـــر
وعمـــر ســـواهم في العلـــى مثـــل يـــومهم إذا مـــا عـــلا قـــدراً ويـــومهم عمـــر
وأيامهـــم بـــيض إذا اســـود حـــادث وأســـيافهم حمـــر وأكنـــافهم خضـــر
ملكـــتم فـــلا عـــدوى حكمـــتم فلاهـــوى علمـــتم فـــلا دعـــوى علـــوتم فـــلا كـــبر
وذكـــركم في كـــل شـــرق ومغـــرب علـــى النـــاس يتلـــى كلمـــا تلـــي الـــذكر

فيا إخواني , كيف الصّبر لمَن يتأمّل مولاه الحُسين (عليه السلام) واقفاً في عرصة كربلاء , وهو ينادي : ((ألا هل من نصير ينصر آل مُحمّد المختار ؟ ألا هل من ذاب يذبّ عن الذرّيّة الأطهار ؟ أين التُقاة البررة ؟ أين الأتقياء ؟ أين مَن أوجب حقّاً عليه الإسلام ؟ أين الوصيّة فينا من الرّسول (صلى الله عليه وآله) ؟)).

فوا عجباه من غفلة أهل هذا الزّمان واشتغالهم عن إقامة عزاء الشّهيد العطشان ! وما عذر أهل الإيمان في إضاعة البكاء والأحزان على سيّد شباب أهل الجنان ونسل سيّد ولد عدنان , ألم يعلموا أنّ النّبي (ص) أضحى لمصابه موتوراً ولقتله مضطهداً مقهوراً ؟!

وكيف لا نبكي لبكاء الزّهراء (عليها السلام) ؟! وكيف لا نحزن لحزن المُرتضى ؟! وكيف لا ننوح لقتل الإمام المنبوذ بالعراء ؛ لنفوز بثواب هذا المصاب ونحوز الجنّة يوم المآب.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم.

القصيدة للشيخ الجليل ابن حماد:

أهجـــــــرت يا ذات الجمـــــــال دلالا وجعلـــت جســـمي للصـــدود خيـــالا
وســـــقيتني كـــأس الفـــراق مـــرارة ومنعـــت عـــذب رضـــا بـــك السلســـالا
أســـفاً كمـــا منـــع الحُســـين بكـــربلا مـــاء الفـــرات وأوســـعوه خيـــالا
وســـقوه أطـــراف الأســـنة والقنـــا ويزيـــد يشـــرب في القصـــور زلالا
لم أنـــس مـــولاي الحُســـين بكـــربلا ملقـــى طريحـــاً بالـــدماء رمـــالا

واحسرتا كم يستغيث بجده ... والشمر منه يقطع الأوصالا

ويقول يا جداه ليتك حاضراً ... فعساك تمنع دونا الأنذالا

ويقول للشمر اللعين وقد علا ... صدراً تربى في تقى ودلالا

يا شمر تقتلني بغير جناية ... حقاً ستجزى في الجحيم نكالا

فاحتز بالغضب المهند رأسه ... ظلماً وهز برأسه العسالا

وعلا به فوق السنان وكبروا ... لله جلّ جلاله وتعالى

فارتجت السبع الطباق وأظلمت ... وتزلزلت لمصابه زلزالا

وبكين أطباق السماء وأمطرت ... أسفاً لمصرعه دما قد سالا

يا ويلكم اتكبرون لفقد من ... قتلوا به التكبير والتهليلا

تركوه شلواً في الفلاة وصيروا ... للخيل في جسد الحُسين مجالا

ولقد عجبت من الإله وحلمه ... في الحال جلّ جلاله وتعالى

كفروا فلم يخسف بهم أرضاً بما ... فعلوا وأمهلهم به إمهالا

وغدا الحصان من الوقيعة عارياً ... ينعي الحُسين وقد مضى إجفالا

متوجهاً نحو الخيام مخضباً ... بدم الحُسين وسرجه قد مالا

وتقول زينب ياسكينة قد أتى ... فرس الحُسين فانظري ذا الحالا

قامت سكينة عاينته محمحماً ... ملقي العنان فأعولت إعوالا

فبكت وقالت وا شماتة حاسدي ... قتلوا الحُسين وأيتموا الأطفالا

يا عمتاه جاء الحصان مخضباً ... بدم الشهيد ودمعه قد سالا

لما سمعن الطاهرات سكينة ... تنعي الحُسين وتظهر الأعوالا

ابرزن من وسط الخدور صوارخا ... ينددبن سبط محمّد المفضالا

فلطمن منهن الخدود وكشفت ... منها الوجوه وأعولت إعوالا

وخمشن منهن الوجوه لفقد من ... نادى مناد في السماء وقالا

قتل الإمام ابن الإمام بكربلا ... ظلماً وقاسى منهم الأهوالا

وتقول يا جداه نسل أُميّة ... قتلوا الحُسين وذبحوا الأطفالا

يا جدنا فعلوا علوج أُمية ... فعلا شنيعاً يدهش الأفعالا

يا جدنا هذا الحُسين بكربلا ... قد بضعوه أسنة ونصالا

ملقى على شاطئ الفرات مجدلا ... في الغاضرية للورى أمثالا

ثم استباحوا في الطفوف حريمه ... نهبوا السراة وقوضوا الاجمالا

وغدوا بزين العابدين مكتفا ... فوق المطية يشتكي الأهوالا

يبكي أباه بعبرة مسفوحة ... أسروه مضنى لا يطيق نزالا

وأتوا به نحو الخيام وأُمّه ... تبكي وتسحب خلفه الأذيالا

وتقول ليت الموت جاء ولم أرى ... هذي الفعال وانظر الأنذالا

لو كان والده عليّ المرتضى ... حياً لجندل دونه الأبطالا

ولفر جيش المارقين هزيمة ... من سيفه لا يستطيع قتالا

يا ويلكم فستسحبون أذلة ... وستحملون بفعلكم أثقالا

فعلى ابن سعد واللعين عبيدة ... لعن تجدد لا يزول زوالا

وعلى محمّد ثم آل محمّد ... روح وريحان يدوم مقالا

وعليهم صلّى المهيمن ما حدا ... في البيد ركبان تسير عجالا

فمتى تعود لآل أحمد دولة ... ونرى لملك الظالمين زوالا

يا آل أحمد أنتم سفن النجا ... وأنا وحقكم لكم أتوالا

أرجوكم لي في المعاد ذريعة ... وبكم أفوز وأبلغ الآمالا

فلأنتم حجج الإله على الورى ... من لم يقل ما قلت قال محالا

والله أنزل هل أتى في مدحكم ... والنمل والحجرات والأنفالا

والمرتقى من فوق منكب أحمد ... منكم ولو رام السماء لنالا

وعليكم نزل الكتاب مفضلا ... والله أنزله لكم إنزالا

نص بإذن الله لا من نفسه ... ذو العرش به نص لكم إفضالا

فتكلم المختار لما جاءه ... من ربه جبريلهم إرسالا

إذ قال هذا وارثي وخليفتي ... في أُمّتي فلتسمعوا ما قالا

أفديكم آل النّبي بمهجتي ... وأبي وأبذل فيكم الأموالا

وأنا ابن حماد وليكم الذي ... لم يرض غيركم ولم يتوالا

أصبحت معتصماً بحبل ولائكم ... جسداً وإن قصر الزمان وطالا

وأنا الذي أهواكم يا سادتي ... أرجو بذاك عناية ونوالا

بعد الصلاة على النّبي محمّد ... ما غرد القمري وأرخى البالا

المجلس الثّاني

في أوّل يوم من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

يا إخواني , لو تصوّر المُحب لآل الرّسول , ما لاقوا من الخطب المهول , لاختاروا الموت والفنا على الحياة والبقا، وكيف لا , والحُسين (عليه السلام) مجدّل فوق الرّمال , معلّى رأسه على رأس رمح ميّال , وذراريه تُسبى حسراً على الجمال , يُطاف بهم في البلاد مقيّدين في الأصفاد , كلّ هذا والدّموع جامدة , والعيون راقدة والأصوات خامدة , فسيلوا رحمكم الله على هذا المصاب شآبيب الهتان , وتجلببوا جلابيب الإكتئاب والأحزان , واظهروا النّوح والعويل على هذا الرّزء الجليل , أما علمتم أنّكم توافقون الملائكة في ثوابهم , وتواسون النّبي في الحزن على مصابهم ؟ أما تحبّون أن يرضى عنكم مبدع الموجودات ؟ أما تُريدون أن تكونوا بذلك آمنين من الكُربات يوم عرض الخلائق على ربّ السّماوات ؟ فإنّ مَن لم يحزن لمصابهم فليس هو من أتباعهم وأحبائهم ، ولله درّ مَن قال :

يا لكـــــــرب بكـــــــربلاء عظـــــــيم ولـــــــرزء علـــــــى النّـــــــبي ثقيـــــــل
كـــــم بكـــــى جبريـــــل ممـــــا دهـــــاه في بنيـــــه صـــــلوا علـــــى جبريـــــل
ســـــوف تأتي الزهـــــراء تلـــــتمس الحكـــــم إذا حـــــان محشـــــر التعـــــديل
وأبوهـــــا وبعلهـــــا وبنوهـــــا حولهـــــا والخصـــــام غـــــير قليـــــل
وتنـــــادي يا رب ذبـــــح أولادي لمـــــاذا وأنـــــت خـــــير مـــــديل

فينـــــاد بمالـــــك إلهـــــب النـــــار وأجـــــج وخـــــذ بأهـــــل الغلـــــول
يا بـــــني المصـــــطفى بكيـــــت وأبكـــــي ونفســـــي لم تأت بعـــــد بســـــول
ليـــــت روحـــــي ذابـــــت دموعـــــاً فـــــأبكي للـــــذي نالكـــــم مـــــن التـــــذليل
ومـــــتى كـــــادني النواصـــــب فـــــيكم حســـــبي الله وهـــــو خـــــير وكيـــــل

روي عن سيّد البّشر فيما جاء من الخبر , أنّه قال : ((مَن ذُكر الحُسين (عليه السلام) عنده , فخرج من عينه من الدّموع بقدر جناح الذّبابة , كان ثوابه على الله تعالى , ولم يرض له بدون الجنّة جزاء)).

وعن أبي هارون المكفوف أنّه قال : قال لي الصّادق (عليه السلام) : ((يا أبا هارون , أنشد لي في الحُسين شعراً)) . فأنشدته قصيدة , فبكا بكاءاً شديداً وكذلك أصحابه , فقال : ((زدني قصيدة أُخرى)) . فأنشدته , فبكى طويلاً وسمعت أيضاً نحيباً من وراء السّتر من أهل بيته , ولم أزل أسمع نحيب عياله وأهل بيته حتّى فرغت من إنشاد القصيدة, فلمّا فرغت , قال لي : ((يا أبا هارون , مَن أنشد في الحُسين (عليه السلام) شعراً فبكى أو أبكى واحداً , كتب الله له (ولهما) الجنّة)).

وحكى دعبل الخُزاعي , قال : دخلت على سيّدي ومولاي عليّ بن موسى الرّضا (عليه السلام) في مثل هذه الأيام , فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله , فلمّا رآني مُقبلاً , قال لي : ((مرحباً بك يا دعبل , مرحباً بناصرنا بيده ولسانه)) . ثمّ إنّه وسع لي وأجلسني إلى جانبه , ثمّ قال لي : ((يا دعبل , أحبّ أن تنشدني شعراً , فإنّ هذه الأيّام أيّام حزن كانت علينا أهل البيت , وأيّام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أُميّة . يا دعبل , مَن بكى أو أبكى على مصابنا ولو كان واحداً أجره على الله . يا دعبل , مَن ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا , حشره الله معنا في زمرتنا . يادعبل , مَن بكى على مصاب جدّي الحُسين غفر الله له ذنوبه البّتة)) . ثمّ إنّه (عليه السلام) نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه , وأجلس أهل بيته من وراء السّتر ؛ ليبكوا على مصاب جدّهم الحُسين (عليه السلام) , ثمّ التفت إليّ وقال : ((يا دعبل , ارث الحُسين , فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيّاً , فلا تقصّر عن نصرتنا ما استطعت)).

قال دعبل : فاسعبرت وسالت عبرتي , وأنشأت أقول :

أفـــاطم لـــو خلـــت الحُســـين مجـــدلا وقـــد مـــات عطشـــاناً بشـــط فـــرات
إذاً للطمـــــت الخـــــد فـــــاطم عنـــــده وأجريـــــت دمـــــع العـــــين في الوجنـــــات

أفـــاطم قـــومي يابنـــة الخـــير وانـــدبي ... نجـــــوم سمـــــاوات بأرض فـــــلات
قبـــور (بكوفـــان) وأُخـــرى بطيبـــة ... وأُخـــرى (بفـــخ) نالهـــا صـــلوات
قبـــور بـــبطن النهـــر مـــن جنـــب (كـــربلا) ... معرســـهم فيهـــا بشـــط فـــرات
توفـــوا عطاشـــى بالعـــرى فليتـــني ... توفيـــت فـــيهم قبـــل حـــين وفـــاة
إلى الله أشـــكوا لوعـــة عنـــد ذكـــرهم ... ســـقتني بكـــأس الثكـــل والصـــعقات
إذا فخـــروا يومـــاً أتـــوا بمحمّـــد ... وجبريـــل والقـــرآن والســـورات
وعـــدوا عليـــاً ذا المناقـــب والعلـــى ... وفاطمـــة الزهـــراء خـــير بنـــات
وحمـــزة والعبّـــاس ذا الـــدين والتقـــى ... وجعفرهـــا الطيـــار في الحجبـــات
أولئـــك مشـــؤمون هنـــداً وحربهـــا ... سميـــة مـــن نـــوكى ومـــن قـــذرات
هـــم منعـــوا الآباء مـــن أخـــذ حقهـــم ... وهـــم تركـــوا الأبنـــاء رهـــن شـــتات
ســـأبكيهم مـــا حـــج لله راكـــب ... ومـــا ناح قمـــري علـــى الشـــجرات
فيـــا عـــين أبكـــيهم وجـــودي بعـــبرة ... فقـــد آن للتســـكاب والهمـــلات
بنـــات زياد في القصـــور مصـــونة ... وآل رســـول الله منهتكـــات
وآل زياد في الحصـــون منيعـــة ... وآل رســـول الله في الفلـــوات
ديار رســـول الله أصـــبحن بلقعـــاً ... وآل زياد تســـكن الحجـــرات
وآل رســـول الله نحـــف جســـومهم ... وآل زياد غلـــظ القصـــرات
وآل رســـول الله تـــدمى نحـــورهم ... وآل زياد ربـــة الحجـــلات
وآل رســـول الله تســـبى حـــريمهم ... وآل زياد آمنـــوا الســـربات
إذا وتـــروا مـــدوا إلى واتـــرهم ... أكفـــاً عـــن الأوتار منقبضـــات
ســـأبكيهم مـــا در في الأرض شـــارق ... ونادى منـــادي الخـــير للصـــلوات
ومـــا طلعـــت شمـــس وحـــان غروبهـــا ... وبالليـــل أبكـــيهم وبالغـــدوات

فيا إخواني , كيف لا يحقّ لنا البُكاء عليهم وإظهار الجزع والإكتئاب لديهم , وهم أعلام الرّحمن وأُمناء القرآن ؟!

روي عن الباقر (عليه السلام) , أنّه قال : ((أيما مؤمن ذرفت عيناه على مصاب الحُسين (عليه السلام) حتّى تسيل على خدّه, بوأه الله في الجنّة غُرفاً , يسكنها أحقاباً . وأيما مؤمن مسّه أذى فينا , صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة, وآمنه من سخط النّار)).

وعن الصّادق (عليه السلام) أنّه قال : ((مَن ذُكرنا عنده

ففاض من عينه دمع ولو مثل رأس الذُبابة , غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر)).

وعنه (عليه السلام) , أنّه قال : ((رحم الله شيعتنا , لقد شاركونا في المصيبة , بطول الحزن والحسرة على مصاب الحُسين (عليه السلام))).

وعنه (عليه السلام) , أنّه قال : ((مَن بكى أو أبكى فينا مئة فله الجنّة , ومَن بكى أو أبكى عشرة فله الجنّة , ومَن بكى أو أبكى واحداً فله الجنّة , ومَن تباكى فله الجنّة ، ومَن لم يستطع أن يبكي , فليقشعر جلده من الحزن فينا)).

فيا إخواني , انظروا إلى عظم فضيلة البُكاء على هذا الشّخص الرّباني , واغسلوا درن ذنوبكم بماء دموعكم ، ونعوذ بالله من عين لا تدمع وقلب لا يخشع.

روي : أنّه لمّا أخبر النّبي (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة بقتل ولدها الحُسين , وما يجري عليه من المحن , بكت فاطمة (عليها السلام) بُكاءاً شديداً , وقالت : ((يا أبي ؛ متى يكون ذلك ؟)) . قال (ص) : ((في زمان خال منّي ومنك ومن عليّ)) . فاشتدّ بكاؤها وقالت : ((يا أبة ؛ فمَن يبكي عليه ؟ ومَن يلتزم بإقامة العزاء له ؟)).

فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((يا فاطمة , إنّ نساء أُمّي يبكون على نساء أهل بيتي , ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كُلّ سنة ، فإذا كان يوم القيامة , تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال ، وكُلّ مَن بكى منهم على مصاب الحُسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة . يا فاطمة , كُلّ عين باكية يوم القيامة , إلّا عين بكت على مصاب الحُسين , فإنّها ضاحكة مُستبشرة بنعيم الجنّة)).

فيا إخواني , أكثروا البكاء والعويل على هذا العزيز الجليل ؛ لتفوزوا بالثّواب الجزيل من الرّبّ الجليل , فإنّ الله جعل متابعتنا لهم فيما أمكن من الفعال ، وبكاؤنا عليهم بالدّمع السّجال ، وبعث عيوب أعدائهم أهل الضّلال قائماً مقام الجهاد معهم في يوم القتال ، كما ورد في الخبر عن وصي سيّد البشر , أنّه قال لأصحابه : ((الزموا بيوتكم واصبروا على البلاء , ولا تتحركوا بأيديكم وسيوفكم وهوى ألسنتكم , ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم , فإنّه مَن مات منكم على فراشه , وهو على معرفة من حقّ ربّه وحقّ رسوله وآل رسوله , كان كمن مات شهيداً ووقع أجره على الله تعالى , واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله , وقامت النّية مقام إصالته وجهاده بسيفه ويده , وإنّ لكُلّ شيء أجلاً

وانتهاءاً)).

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون ، وإيّاهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله)

أي عـــــذر لمهجـــــة لا تـــــذوب ... وحشـــاً لا يشـــب فيهـــا لهيـــب

ولقلـــب يفيـــق مـــن ألم للحـــزن ... ولعـــين دموعهـــا لا تصـــوب

وابـــن بنـــت النّـــبي بالطـــف مطـــروح ... ملقـــى والجبـــين منـــه تريـــب

حولـــه مـــني بـــني أبيـــه شـــباب ... صـــرعتهم أيـــدي المنـــايا وشـــيب

وحـــريم النّـــبي عـــبرى مـــن الثكـــل ... وحـــرى خمارهـــا منهـــوب

تلـــك تـــدعو أخـــي وتلـــك تنـــادي ... يا أبي وهـــو شـــاخص لا يجيـــب

لهـــف قلـــبي وطفلـــه في يديـــه ... يتلظـــى والنحـــر منـــه خضـــيب

لهـــف قلـــبي لأختـــه زينـــب تأوي ... اليتـــامى ودمعهـــا مســـكوب

لهـــف قلـــبي لفـــاطم خيفـــة السـبي ... تجـــافي وقلبهـــا مرعـــوب

لهـــف قلـــبي لأم كلثـــوم والخـــدان ... منهـــا قـــد خـــددتها النـــدوب

وهـــي تـــدعو يا واحـــدي يا شـــقيقي ... يا مغيثـــي قـــد برحـــت بي الخطـــوب

ثم تشـــكو إلى النّـــبي ودمـــع العـــين ... في خـــدها الأســـيل وصـــيب

جـــد يا جـــد لـــو تـــرانا حيـــارى ... قـــد عرتنـــا بكـــربلاء الكـــروب

جـــد يا جـــد لم يفـــد ذلـــك النصـــح ... وذاك الترغيـــب والترهيـــب

جـــد لم تقبـــل الوصـــية في الأهـــل ... ولم يـــرحم الوحيـــد الغريـــب

يصـــبح الجاحـــد البعيـــد مـــن الحـــقّ ... قريبـــاً مـــنهم ويقضـــي القريـــب

أيـــن عينـــاك والحُســـين قتيـــل ... وعلـــي مغلـــل مضـــروب

لـــو تـــرى ســـبطك المفـــدى طريحـــاً ... عـــارياً والـــرداء منـــه ســـليب

لـــو تـــرانا نســـاق بالـــذل مـــا بـــين ... العـــدى قـــد قســـمت علينـــا القلـــوب

لـــو تـــرانا حـــرى وقـــد أبـــرزت منـــا ... وجـــوه صـــينت وشـــقت جيـــوب

بأبي الطـــاهرات تحـــدى بهـــن العـــيس ... بـــين المـــلا وطـــوى الســـهوب

بأبي رأس جـــــل فاطمـــــة ... يشـــهره للعيـــون رمـــح كعـــوب

يا بـــن أزكـــى الـــورى نجـــاراً علـــى ... مثلـــك يستحســـن البكـــا والنحيـــب
هـــاجفوني لمـــا أُصـــيبت بـــه ... قرحـــي وقلـــبي لمـــا رزيـــت كئيـــب
أيـــن قلـــبي الشـــجي والفـــارغ البـــال ... وأيـــن المحـــق والمســـترب
لا هنـــاني عيشـــي ومبســـمك الـــدرى ... باد وقـــد عـــلاه ق-ضـــيب
ليـــت أبي فـــداك لـــو كـــان بالعبـــد ... يفـــدي المـــولى الحســـيب النســـيب
ســـهم بغـــي الأولى أصـــابك مـــن قبـــ ... ـــل ولله عنـــك ســـهم مصـــيب
أظهـــروا فيـــك حقـــد بـــدر مـــن قبـــ ... ـــل دعـــوا للهـــدى ولم يســـتجيبوا
يا بـــني أحمـــد إلى مـــدحكم قلـــب ... الخليعـــي مســـتهام طـــروب
كيـــف صـــبر امـــرئ بـــرى الـــود في ... القـــربى وجـــوباً وإرثكـــم مغصـــوب
أنـــتم حجـــة الإلـــه علـــى الخلـــق ... وأنـــتم للطالـــب المطلـــوب
بـــولاكم وبغـــض أعـــدائكم تقبـــل ... أعمالنـــا وتمحـــى الـــذنوب
لثنـــاكم شـــاهت وجـــوه ذوي النـــ ... ـــصب وشـــقت مـــن النغـــول القلـــوب

الباب الثّاني

اعلموا أيّها الأخوان , إنّ نفثات الأحزان إذا صدر عن زفير نيران الأشجان , فرجت بعض الكروب عن الواله المكروب ، والدّموع الهتان إذا أسبلت عن مقرحات الأجفان ، نفس ذلك الدّمع المصبوب ما يجده المتيم المتعوب , فليلبس كلّ واحد منكم شعار أحزانه , وليتجلبب بجلباب كآبته واشجانه.

أما تعلمون أنّ لكلّ واحد منكم تمام إيمانه ؟ أما تحبّون أن يرجع ذلك لكلّ واحد منكم بميزانه ؟ أأبلغ شاهد من هذا تريدون ؟ فلِمَ عن إقامة العزاء متقاصرون ؟ أما بلغكم أنّ بعينهم جميع ما تصنعون ؟ أما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] ؟ . بل والله أنّه قول لا مرية فيه ولا شكّ يعتريه , ولله درّ مَن قال :

يا مـــن بجـــاههم الظليـــل وعـــزهم ... لـــذوي المراتـــب في الـــبرايا ســـادوا
فلهـــم علـــى الســـبع الطرايـــق منصـــب ... عـــالي البنـــاء لـــه العـــلاء عمـــاد
وحيـــاض وردهـــم لكـــل مؤمـــل ... يـــروي بـــه الـــرواد والـــوراد

(1) سورة آل عمران / 169.

إن أوعـــدوا صـــفحوا عـــن الجـــاني وإن وعـــــدوا بخـــــير انجـــــزوا الميعـــــاد
تضـــع الملـــوك جبـــاههم في أرضـــهم ولزهـــــدهم تتـــــأدب الزهـــــاد
إن كـــان غـــيري ناســـياً لمصـــابكم فـــالحزن في قلـــبي لـــه تـــزداد
بالله أقســـــم لا تعـــــدي ديـــــنكم إلّا زنـــــيم دينـــــه الحـــــاد

عن الصّادق (عليه السلام) : ((إذا كان يوم القيامة , نُصب لفاطمة (عليها السلام) قبّة من نور , ويقبل الحُسين (عليه السلام) ماشياً ورأسه في يده , فإذا رأته فاطمة (عليها السلام) , شهقت شهقة عظيمة , فلا يبقى في ذلك الموقف ملك ولا نبيّ إلّا وبكى لبكائها , فيمثل الله الحُسين في أحسن صور , فيخاصم قتلته وهو بلا رأس , فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتاله فيقتلهم عليّ ، ثمّ يُنشرون فيقتلهم الحسن , ثمّ يُنشرون فيقتلهم الأئمة)).

وفي خبر آخر عن النّبي (صلى الله عليه وآله) , قال : ((إذا كان يوم القيامة , جاءت فاطمة الزّهراء في لـمّة من نساء أهل الجنّة , فيُقال لها : ادخلي . فتقول : لا ادخل حتّى أعلم ما صُنع بولدي الحُسين . فيُقال لها : انظري في قلب القيامة . فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحُسين وهو قائم ليس عليه رأس , فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة لصرختها , وتقول : وا ولداه وا ثمرة فؤاداه ! قال : فيشتدّ غضب الله عند ذلك , فيأمر الله ناراً اسمها هبهب , قد أوقدوا عليها ألف عام حتّى اسودّت واظلمّت , لا يدخلها روح ولا يخرج منها همّ ولا غمّ أبداً , فيُقال لها : التّقطي قتلة الحُسين . فتلتقطهم جميعاً واحداً بعد واحد , فإذا صاروا في حوصلتها , صهلت بهم وصهلوا بها , وشهقت بهم وشهقوا بها , واشتدّ عليهم العذاب , فيقولون : ربّنا لِمَ أوجبت علينا النّار قبل عَبدة الأوثان ؟ فيأتيهم الجواب عن الله : إنّ مَن علم ليس كمن لا يعلم)) . ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[1] . ولله درّ مَن قال :

عـــين تـــروم فـــراق شخصـــك ســـاعة كحلـــت بأميـــال العمـــى آماقهـــا
نفـــس للحظـــك لم تكـــن مشـــتاقة ضـــربت بأســـياف العـــدى أعناقهـــا

روي عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرّضا (عليه السلام) يقول : ((لـمّا أمر الله إبراهيم (عليه السلام) أن يذبح مكان إسماعيل الكبش – الذي أنزله عليه – , تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده , وإنّه يؤمر بذبح الكبش مكانه ؛ ليرجع إلى قلبه ما

---

(1) سورة الأحقاف / 20.

يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده , فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثّواب على المصائب , فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا إبراهيم , مَن أحبّ خلقي إليك ؟ فقال : يا ربّ , ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك مُحمّد (ﷺ) . فأوحى الله إليه : يا إبراهيم , هو أحبّ إليك أمّ نفسك ؟ فقال : بل هو أحبّ إليّ من نفسي . قال : فولده أحبّ إليك أم ولدك ؟ قال : بل ولده . قال : فذبح ولده ظُلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال : يا ربّ , بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي . قال : يا إبراهيم , إنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّته , ستقتل الحُسين ابنه من بعده ظُلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش , ويستوجبون بذلك بيدك ؛ بجزعك على الحُسين وقتله , وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثّواب على المصائب , وذلك قول الله تعالى :﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1])) . ولله درّ مَن قال :

عليك ابن خير المرسلين تأسفي ... وحزني وإن طال الزمان طويل

جللت فجل الرزء فيك على الورى ... كذا كل رزء للجليل جليل

فوا حسرتاه لتلك الجسوم المرمّلة بالدّماء ! ووا لهفتاه لتلك الأفواه اليابسة من الظّماء ! وواحرّ قلباه لمولاي الحُسين وهو يُنادي فلا يُجاب , ويستغيث وليس مَن يرد الخطاب , ويطلب شربة من الماء فلا يُسقى أو لا يدارى , وقد حرّموه عليه وحلّلوه على اليهود والنّصارى , ومنعوه من توديع الأحباب والأولاد , وأظهروا في الإسلام حُزناً لا ينقضي حتّى المعاد ! فلا غرو إن بكت عليه محاجري أو فرّ السّهاد عن ناظري.

فيا إخواني , كيف يحسن نوح النّائحين وبكاء الباكين على إلف وخدين ؟ ولا يحسن على ابن أمير المؤمنين وابن سيّدة نساء العالمين , بلى والله والحقّ المُبين , ولله درّ مَن قال :

يا أهل بيت محمد دمعي لكم ... جار وقلبي ما حييت كئيب

أنتم ولاة المسلمين وحبكم ... فرض ونهج هداكم ملحوب

طبتم فحبكم النجاة وبغضكم ... كفر برب العالمين وحوب

نُقل عن ابن عبّاس أنّه قال : لمّا حضرت رسول الله الوفاة , بكى بكاء شديداً حتّى بلّت دموعه لحيته ، فقلت له : يا رسول الله , ما يبكيك ؟ فقال :

---

(1) سورة الصّافات / 107.

((أبكي لذرّيّتي وما يصنع بهم من بعدي , وما يفعلون بهم أشرار أُمّتي , فكأنّي بفاطمة (عليها السلام) ابنتي وقد ظُلمت من بعدي , وغُصب حقّها وقُهر بعلها وغُصبت على ميراثها , فكأنّي بها وهي تُنادي : يا أبتاه يا أبتاه ! فلا يعينها أحد من أُمّتي)) . فسمعت فاطمة كلام أبيها فبكت , فقال لها النّبي : ((اسكتي يا فاطمة , ابشري يا بنت مُحمّد بسرعة اللحاق بي , ولم تلبثي بعدي إلّا قليلاً , وأنّك أوّل مَن يلحق بي من أهل بيتي)) . فسرّت بذلك سروراً عظيماً.

وفي بعض الأخبار عن أبي جعفر (عليه السلام) , قال : ((ما رأيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله))) . وقيل: ما كان في الدُنيا أعبد من فاطمة ,كانت تقوم للصّلاة حتّى تتورّم قدماها . وقيل : لـمّا دُفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجعت فاطمة إلى بيتها , اجتمع إليها نساؤها , فقالت : ((إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، انقطع عنّا خبر السّماء)) . ثمّ قالت :

أغبر آفاق البلاد وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

والأرض من بعد النّبي حزينة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مصر وكل يمان

نفسي فداؤك ما لرأسك مائلاً ... ما وسدوك وسادة الوسنان

ونُقل : إنّها وقعت على قبره , وقالت :

ما ضر من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

فيا إخواني , إن رغبتم في المنزل الكريم والثّواب العظيم الجسيم , فأديموا الحزن عليهم والجزع والكآبة لديهم ، فإنّه يكتب لكم في صحائف الحسنات ويمحو عنكم الذّنوب المعضلات . فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون، وإيّاهم فليندب النّادبن , ولمثلهم تذرف دموع العيون ، أولا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله)

خواطر فكري في الحشاء تجول ... وحزني على آل النبي طويل

أراق دموعي ظلم آل محمد ... وقتلي لنفسي في الهداة قليل

تهـــون الـــرزايا عنـــد ذكـــر مصـــابهم ورزؤهـــــم في العـــــالمين جليـــــل
لعمـــرك خطـــب لـــو علمـــت جليـــل وأمـــر عنيـــف لـــو علمـــت مهـــول
مصـــــارع أولاد النـــــبي بكـــــربلا عليـــهن حـــزني مـــا حييـــت يطـــول
قبـــور عليهـــا النـــور يزهـــو عنـــدها صـــعود لأمـــلاك الســـما ونـــزول
قبـــور بهـــا يســـتدفع الضـــر والأذى ويعطـــي بهـــا رب الســـما وينيـــل
ولمـــا رأيـــت الحـــير حـــارت مـــدامعي وكـــان لهـــا مـــن قبـــل ذاك همـــول
ومثـــل لي يـــوم الحُســـين وقولـــه لأعدائـــه بالطـــف وهـــو يقـــول :
أمـــا فـــيكم يا أيهـــا النـــاس راحـــم لعـــترة أولاد النـــبي وصـــول
أأقتـــل مظلومـــاً وقـــدما علمـــتم بأن لـــيس لي في العـــالمين عـــديل
ألـــيس أبي خـــير الوصـــيين كلهـــم أمـــا أنا للطهـــر النـــبي ســـليل
أمـــا فـــاطم الزهـــراء أُمـــي ويلكـــم وعمّـــاي أيضـــاً جعفـــر وعقيـــل
دعـــوني أرد مـــاء الفـــرات ودونكـــم لقتلـــي فعنـــدي للظمـــاء غليـــل
فنـــادوه مهـــلاً يابـــن بنـــت محمّـــد فلـــيس إلى مـــا تبتغيـــه ســـبيل
فـــداؤك روحـــي يا حســـين وعـــترتي وأنـــت غفـــير في الـــتراب جـــديل
فـــديتك لمـــا مـــر مهـــرك عـــارياً ورأســـك في رأس الســـنان مثيـــل
بناتـــك تســـبى كالإمـــاء حواســـراً وســـبطك مـــا بـــين العـــداة قتيـــل
وزينـــب تـــدعو بالحُســـين وقلبهـــا حـــزين لفقـــدان الســـلو ثكـــول
أخـــي يا أخـــي قـــد كنـــت عـــزي ومنعـــتي فأصـــبح عـــزي فيـــك وهـــو ذليـــل
أخـــي يا أخـــي لم أعـــط ســـؤلي ولم يكـــن لأختـــك مـــأمول ســـواك وســـول
أخـــي لـــو تـــرى عينـــاك مـــا فعـــل العـــدا بنـــا لـــرأت أمـــراً هنـــاك يهـــول
تـــرانا ســـبايا كالأمـــاء حواســـراً يجـــد بنـــا نحـــو الشـــئام رحيـــل
أخـــي لاهنـــتي بعـــد فقـــدك عيشـــتي ولا طـــاب لي حـــتى الممـــات مقيـــل
فـــإن كنـــت أزمعـــت المغيـــب فقـــل لنـــا أمـــا لـــك مـــن بعـــد المغيـــب قفـــول
أقـــول كمـــا قـــد قـــال عـــني والـــدي وأدمعـــه بعـــد البتـــول همـــول
أرى علـــل الـــدنيا علـــيّ كثـــيرة وصـــاحبها حـــتى الممـــات عليـــل
لكـــل اجتمـــاع مـــن خليلـــين فرقـــة وإن بقـــائي بعـــدكم لقليـــل

يريـــــد الفـــــتى أن لا يفـــــارق خلـــــه ... ولـــــيس إلى مـــــا يبتغيـــــه ســـــبيل
وإن افتقـــــادي فاطمـــــاً بعـــــد أحمـــــد ... دليـــــل علـــــى أن لا يـــــدوم خليـــــل
علـــــيكم ســـــلام الله يا خـــــيرة الـــــورى ... ومـــــن فضـــــلهم عنـــــد الإلـــــه جليـــــل
بكـــــم طـــــاب مـــــيلادي وإن ودادكـــــم ... بان علـــــى مـــــا في الأمـــــور دليـــــل
لأنكـــــم أعلـــــى الـــــورى عنـــــد ربكـــــم ... إذ الطـــــرف في اليـــــوم المعـــــاد كليـــــل
وإن مـــــوازين الخلائـــــق حـــــبكم ... خفيـــــف لمـــــا يأتي بـــــه وثقيـــــل
وأصـــــفيتكم ودي ودنـــــت بحـــــبكم ... مقـــــيم عليـــــه لســـــت عنـــــه أحـــــول
وإنكـــــم يـــــوم المعـــــاد وســـــيلتي ... ومـــــالي ســـــواكم إن علقـــــت وســـــيل
تســـــمع لهـــــا بكـــــر الغـــــواني إذا بـــــدت ... تتيـــــه علـــــى أقرانهـــــا وتصـــــول
منمقـــــة الألفـــــاظ مـــــن قـــــول قـــــادر ... علـــــى الشـــــعر إن رام القـــــريض يقـــــول
لســـــاني حســـــامي مرهـــــف الحـــــد قـــــاطع ... ورأيـــــي ســـــديد في الأمـــــور دليـــــل
وذلـــــك فضـــــل مـــــن إلهـــــي وطولـــــه ... وفضـــــل إلهـــــي للعبـــــاد جزيـــــل
ألا رب مغـــــرور تناســـــى ولـــــو درى ... لكـــــان إلى مـــــا في الأمـــــور يـــــؤول
تشـــــبه لي في الشـــــعر عـــــز فهـــــل تـــــرى ... يكـــــون ســـــواء عـــــالم وجهـــــول
ولـــــو لا حفـــــاظ العهـــــد بيـــــني وبينـــــه ... لقلـــــت ولكـــــن الجميـــــل جميـــــل
كفـــــى أن مـــــن يهـــــوى غـــــوات أراذل ... لأم تناشـــــوا في الخنـــــا ونغـــــول
وإني بحمـــــد الله مـــــا بـــــين عصـــــبة ... لهـــــم شـــــيم محمـــــودة وعقـــــول
بحـــــبكم يرجـــــو ابـــــن حمـــــاد ســـــؤله ... ويعلـــــوه ظـــــل في الجنـــــان ظليـــــل
فقـــــل للـــــذي يبغـــــي عنـــــادي لحينـــــه ... رويـــــداً رويـــــداً فالحـــــديث يطـــــول

الباب الثّالث

اتظنون أيّها المؤمنون إخوانكم أصحاب الحُسين (عليهم السلام) عظمت عليهم تلك الآلام , أو أضرّت بهم تلك الجراح في ميدان الكفاح ؟ لا وخالق الأرواح , أليس هُم بعين الملك الجبّار ؟ أليس هُم في نصرة النّبي المُختار ؟ أما هُم الذين باعوا الدُنيا بالآخرة في نصرة الذّرية الطّاهرة ؟ لقد والله , شاهدوا مقاعدهم في الجنان مشاهدة الحضور والعيان، وعلموا أنّهم قادمون عليها فبذلوا وسارعوا إليها , ولله درّ مَن قال فيهم :

قـــــوم إذا حضـــــر الـــــوغى لم يســـــألوا حـــــذر المنيـــــة عـــــن ســـــبيل الهـــــارب

وإذا الكمـــــــاة تطـــــــاعنوا ألفيـــــــتهم يتقـــــــدمون إلى مكـــــــان الضـــــــارب

فيا حبّذا نجم سعدهم اللائح ويا طيب نشر عطرهم الفائح ، كيف لا وقد تحقق أنّ القتيل منهم في سبيل المَلك الجليل لا يجب له التّغسيل ؛ لما ورد في الخبر عن سيّد البشر (ص) : ((رمّلوهم بدمائهم ؛ فإنّهم يُحشرون يوم القيامة تشخب أوداجهم دماً , اللون لون الدّم والرّيح ريح المسك)).

فيا إخواني , هل هذا إلّا لمكرمة حصلوها وفضيلة أدركوها ؟ وذلك هو الحظّ العظيم والنّيل الجسيم.

نُقل أنّه لـمّا قدم الحُسين (عليه السلام) إلى أرض كربلاء , كان معه اثنان وسبعون رجُلاً , وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً, وكان عسكر ابن سعد سبعين ألف فارس , فحملوا بأجمعهم على الحُسين وأصحابه (عليهم السلام) , فأمر ابن سعد برميهم في السّهام , فرموهم بها حتّى صار جسد الحُسين كالقنفذ , وجرحوه في بدنه ثلاثمئة ونيفاً وعشرين جرحاً ؛ بالرّماح والسّيوف والنّبل والحجارة ، حتّى أنّه (عليه السلام) حجم عنهم وضعف عن القتال , فطعنه سنان بسنانه فصرعه إلى الأرض , فابتدر إليه خولي ؛ ليحتز رأسه فارتعد ورجع عن قتله ، فقال له الشّمر : فتّ الله عضدك , ما لك ترعد ؟ ثمّ إنّ الشّمر نزل عن فرسه ودنا إلى الحُسين , فذبحه كما يُذبح الكبش , ألا لعنة الله على القوم الظّالمين.

وكان عدد مَن قُتل مع الحُسين من أهل بيته وعشيرته (عليه السلام) ثمانية عشر نفساً ، فمن أولاد عليّ ستة وهم ؛ العبّاس وعبد الله , وجعفر وعثمان , وعُبيد الله وأبو بكر ، ومن أولاد الحُسين (عليه السلام) اثنان , وهما ؛ عليّ بن الحُسين , وعبد الله الطّفل المذبوح بالسّهم ، ومن أولاد الحسن (عليه السلام) ثلاثة , وهم ؛ القاسم وأبو بكر وعبد الله ، ومن أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب اثنان , وهما ؛ مُحمّد وعون ، ومن أولاد عقيل ثلاثة , وهم ؛ عون وجعفر وعبد الرّحمن , ومن أولاد مُسلم بن عقيل اثنان , وهما ؛ عبد الله بن مُسلم وعُبيد الله بن مُسلم . فهؤلاء ثمانية عشر نفساً من أهل البيت (عليهم السلام) قُتلوا مع الحُسين (عليه السلام) , وكلّهم مدفونون مما يلي رجلي الحُسين في مشهده ، وإنّهم حُفر لهم حفيرة عميقة , وأُلقوا فيها جميعاً وسوّي عليهم التّراب (رحمة الله عليهم) ، وأمّا العبّاس , فإنّه دُفن ناحية عنهم في موضع المعركة عند (المسناة) , وقبره ظاهر على ما هو الآن ، وليس لقبور إخوته

وبني عمّه الذين سمعنا لهم أثر ظاهر , وإنّما يزورهم الزّائر عند رجلي الحُسين (ع) , ويومي إلى الأرض ويشير إليهم بالسّلام , وعليّ بن الحُسين من جملتهم ، وقيل : إنّه أقرب منهم إلى قبر أبيه.

وأمّا أصحاب الحُسين الذين قُتلوا معه من سائر النّاس , وهم ثلاثة وخمسون رجُلاً , فإنّهم دُفنوا حوله , وليس لهم أجداث على الحقيقة ، ولا شكّ أنّهم في الحائر المُقدّس على ما نُقل من الثُقاة , والحائر مُحيط بهم (رضوان الله عليهم أجمعين).

وأمّا رأس الحُسين (عليه السلام) , فنُقل عن بعض علمائنا , إنّه رُدّ من الشّام ودُفن مع جسده الشّريف . وفي خبر آخر عن الصّادق (عليه السلام) , إنّه بلغ في مسيره من المدينة إلى الغري شرّفه الله تعالى , ومعه ابنه إسماعيل وجماعة من أصحابه (عليه السلام) , نزل عن دابته في موضع عند الغري قريباً من القبر مما يلي الرأس , وزار الحُسين وصلّى عنده ركعتين , فقال له بعض مَن كان معه : يابن رسول الله , أليس رأس الحُسين بُعث إلى الشّام إلى يزيد ؟ فقال : ((بلى , ولكنّه رجل من موالينا اشتراه من بعد موت يزيد , وأتى به إلى هذا الموضع ودفنه هُنا)) . وليس هذا ببعيد , وكذلك اشتهر بين الأصحاب زيارته من عند رأس قبر أبيه.

وجاء في بعض الأخبار , أنّه كان للحُسين أربعة أولاد ذكور , وهم ؛ عليّ بن الحُسين الأكبر , وكان عمره يوم قُتل مع أبيه سبع عشر سنة ، وعليّ بن الحُسين الأصغر , وهو الإمام (عليه السلام) الذي عاش بعد حياة أبيه , وجعفر بن الحُسين (عليه السلام) , مات في حياة أبيه ودُفن بالمدينة ولا بقية له ، وعبد الله بن الحُسين (عليه السلام) , هو الطّفل الذي قُتل في حجر أبيه , جاءه سهم ميشوم وهو يستقي له من القوم ماءاً , فجاءه السّهم في نحره , فذبحه من الأُذن إلى الأُذن , فجعل أبوه الحُسين (ع) يلقي الدّم من نحره ويرمي به إلى السّماء , فلا يسقط منه قطرة , وهو مع ذلك يبدي الشّكاية إلى الله تعالى ويبكي ويقول : ((قتل الله قوماً قتلوك يا بُني , ما أجرأهم على انتهاك حُرمة الرّسول , على الدُنيا بعدك العفا)).

فانظروا يا إخواني بعيون بصائركم إلى مصاب العترة الطّاهرة, واعملوا فكركم فيما أصابهم من الفئة الفاجرة, أتدرون إذا حزنتم على المصاب أيّ شيء تحوزون من الأجر والثّواب؟.

لقد طال ما أسهر أجفاني تمثلهم في خاطري وجناني

ولله درّ مَن قال :

حـــــتى مـــــتى وإلى مـــــتى تتصـــــبر فلمثـــل هـــذا اليـــوم دمعـــك يـــذخر

اليـــــوم فلتـــــذب النفـــــوس كآبـــــة وعلـــى الخـــدود مـــن المحـــاجر تقطـــر

روي عن الإمام أبي عبد الله (ع) , قال : ((سمعت أبي يقول : إنّ فاطمة (عليها السلام) كانت تأتي قبور الشُهداء فتبكي , ثمّ تأتي قبور البقيع بين اليوم واليومين , فكانت إذا وهجها الشّمس تفيّأت بظل أراكة هُناك , فبلغ الرّجلين ذلك فبعثا فقطعا الإراكة)) . فلا جرم , لقد كانت الأراكة سبباً لإعمال سيوف فتّاكة في نسلها وبنيها وولدها وذرّيّتها , ولله درّ من قال :

ســـــتعلم في الحســـــاب إذا التقينـــــا غـــــداً عنـــــد الإلـــــه مـــــن الظلـــــوم

إلى ديان يـــــوم الـــــدين نمضـــــي وعنـــــد الله تجتمـــــع الخصـــــوم

روي عن الصّادق (عليه السلام) , أنّه إذا هلّ هلال عاشور , اشتدّ حزنه وعظم بكاؤه على مصاب جدّه الحُسين (عليه السلام) , والنّاس يأتون إليه من كُلّ جانب ومكان ؛ يُعزّونه بالحُسين ويبكون وينوحون على مصاب الحُسين (عليه السلام) , فإذا فرغوا من البكاء , يقول لهم : ((أيّها النّاس , اعلموا أنّ الحُسين حيّ عند ربّه يُرزق من حيث يشاء , وهو (عليه السلام) دائماً ينظر إلى موضع عسكره ومصرعه ومَن حلّ فيه من الشُهداء , وينظر إلى زوّاره والباكين عليه والمقيمين العزاء عليه , وهو أعرف بهم وباسمائهم واسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنازلهم في الجنّة , وإنّه ليرى مَن يبكي عليه فيستغفر له , ويسأل جدّه وأباه وأُمّه وأخاه أن يستغفروا للباكين على مصابه والمقيمين عزاءه , ويقول : لو يعلم زائري والباكي عليّ ما له من الأجر عند الله تعالى , لكان فرحه أكثر من جزعه , وأنّ زائري والباكي عليّ لينقلب إلى أهله مسروراً , وما يقوم من مجلسه إلاّ وما عليه ذنب , وصار كيوم ولدته أُمّه)).

وعنه (عليه السلام) أنّه قال : ((لمّا قُتل الحُسين (عليه السلام) , بكت عليه السّماوات السّبع , ومَن فيهنّ من الجن والإنس , والوحوش والدّواب , والأشجار والأطيار , ومَن في الجنّة والنّار وما لا يرى , كلّ ذلك يبكون على الحُسين (عليه السلام) ويحزنون لأجله , إلاّ ثلاث طوائف من النّاس , فإنّها لم تبك عليه أبداً)) . فقيل : فمَن هذه الثّلاثة التي لم تبك على الحُسين ؟ فقال : ((هُم ؛ أهل دمشق ، وأهل البصرة , وبنو أُميّة , لعنة الله على الظّالمين)).

فيا عجباً من القلوب القاسية والنّفوس العاصية , كيف لا تبكي لـمَن بكاه مُحمّد الـمُصطفى , وعليّ الـمُرتضى وفاطمة الزّهراء سيّدة

النّساء , وملائكة السّماء وما بينهما وما تحت الثّرى ؟!

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله)

ألا يا عين لا لمراتع وخيامي ... أودت بساكنها يد الأيام

لا ينفع الغلل الدموع بربها ... ألا إذا ندب القتيل الظامي

ما عذر من لم يبكي يوم مصابه ... متأسفاً بدم ودمع هام

سحي الدموع على الحُسين وحا ... ذري تسترلك ألسن اللوام

وتمثليه بكربلا يا ظامياً ... يرنو إلى ماء الفرات الطامي

وأبكي على الشيب التريب معفراً ... وأبكي على النحر الخضيب الدامي

وتمثيله إخوانه وبناته ... يندبنه بتفجع ولطامي

هذي تنوح وهذي تبكي لما ... سلب العدى من برقع ولثام

وأبكي اليتامى للطغاة خواضعا ... وارحمتاه لتخضع الأيتام

وأبكي مصارع فتية علوية ... شربوا على ظمأ كؤوس حمام

أحشاء فاطمة لهم مقروحة ... وعلى النبي توجع الأيتام

وأبكي لزينب تستغيث بأُمها ... ذات المفاخر والمحل السامي

يا أُم قومي من ثراك وسارعي ... وتبيني ذلي وسوء مقامي

وقفي على المقتول وانفجعي له ... وأبكي له فرداً بغير محمامي

وأبكي على الطفل الصغير مضمخاً ... بدماه بعد تحرق وأوام

وأبكي عزيزات الحُسين حواسراً ... يسترن أوجههن بالأكمام

وأبكي لزين العابدين مقيداً ... في الأسر يشكو كربة الأسقام

وأبكي لنا نسبي على الأقتاب ما ... بين الملأ في مهمه وأكام

وأبكي لرأس السبط يشهر في القنا ... كالبدر يجلو حندس الأظلام

يا للرجال لثار عترة أحمد ... الهادي وبالحمية الإسلام

أيكون صاحب شرعة الأحكام ... والداعي الأنام منكس الأعلام

تبيد آل زياد آل محمّد ... قتلاً بحد صوارم وسهام

ويبيت جسم ابن النّبي مرملاً ... تتربا يوطئ الخيل والأقدم

وإلى ابن آكلة الكبود برأسه ... يسري بعين الواحد العلام

ويمكن الرجس القضيب بجهله ... وبضغنة من ثغره البسام

لكنه أملى لهم فتمردوا ... في الكفر وازدادوا من الآثام

يا سادة شرف الكتاب بما حوى ... فيهم من الإجلال والإعظام

يا من إذا ذكر اللبيب مصابهم ... هانت عليه مصائب الأيام

قسماً بمن فرض الولاء على الورى ... لكم وذلك أعظم الأقسام

ما أطمع الأرجاس فيما أبدعوا ... فيكم وجرأهم على الأقدام

إلّا الذين تعاقدوا أن ينقضوا ... ما أحكم الهادي من الإبرام

يا قاسم النيران يا من حبه ... فرض عليّ مؤكد الإلزام

أنا عبدك الخلعي لا أخشى لظى ... وعليك معتمدي وأنت عصامي

فلقد عرفت بغير نكر خالقي ... ونبي الهادي معاً وإمامي

ولقد دللت على وجوب رئاسة ... المعصوم لا حصر ولا متعامي

فلتعطفن على يوم تقول للأشياع ... طبتم فادخلو بسلام

وتقاد أعداء الرسول إلى الردى ... عصب الخنا والرجس والآثام

ويعجل الله العذاب لمعشر ... غدروا فأبلغ من عداك مرامي

المجلس الثّالث

في الليلة الثّانية من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

اعلموا أعزّكم الله بقيام الدّين واحياكم واماتكم على سنّة سيّد المُرسلين , إنّ نور الإسلام ما ظهر ولا استقام إلّا بعليّ (عليه الصّلاة والسّلام) ، وجهاده بين يدي سيّد الأنام لاظهار الإسلام ، فقتل الرّجال وجدّل الأبطال في حومة النّزال ، فلم يبق بيت من قُريش إلّا وعمل صليل حسامه في جوانبه ، وأخنى على أهله وأقاربه ، لا جرم بغضه أهل الشّقاق , فأبطنوا الخلاف وأظهروا الوفاق , فحين عرف النّبي ذلك من ضمائرهم – إذ هو المُطّلع على ما في سرائرهم – قام فيهم بالوصية فيه وفي ذرّيّته وبنيه , مقاماً بعد مقام حتّى أسمع كافة الإسلام , فلم يسعهم إلّا القبول في الظّاهر لما يقول , فلمّا توفي (صلى الله عليه وآله) , ارتدّوا وقصدوه وأساءوا إلى وصيه وقتلوه , وثنوا ببنيه وأشياعه ومواليه , فحقّت عليهم كلمة الكفر ؛ بالإرتداد التي وعدهم بها ربّ العباد.

روي عن ابن عبّاس قال : حضرت مسألة فعجز عمر عن ردّها ، فقال ما تقولون يا صحابة رسول الله , مَن ترون يقوم بجواب هذه المسألة ؟ فقالوا : أنت أعرف منّا . قال : كُلّنا والله يعلم ابن بجدتها والخبير بها . فقالوا : لعلّك أردت عليّ بن أبي طالب . قال : وإنّ يعدل بي عنه . قالوا : لوبعثت إليه لأتاك . قال : هيهات هُناك شمخ من هاشم وأثره من علم يؤتى لا يأتي ، قوموا بنا إليه . فقام القوم بأجمعهم , فإذا هو (عليه السلام) في حائط له مُتّك على مسحاة في يده ,

يتلو قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾[1]. ودموعه تجري على خدّيه , فأجهش القوم لبكائه ثمّ سكن وسكنوا ، فأصدر إليه عمر مسألته وأدّى عليّ جوابها ، فقال : يا أبا الحسن , لقد أرادك الحقّ ولكن أبى قومك . فقال (ع) : ((يا أبا حفص , خفّظ عليك من هُنا ومن هُناك :﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾[2])) . فلمّا أراد عمر الإنصراف , قال : أؤنسك يابن عباس ؟ قال ابن عبّاس : فأخذ بيدي وقال : يابن عبّاس , لقد كان ابن عمّك أحقّ بهذا الأمر لو لا ثلاث . قُلت : وما هي ؟ قال : حداثة سنّه ومحبّته لأهل بيته وبغض قُريش له . قال , فقلت : يا أمير المؤمنين , أتأذن لي في الجواب ؟ فقال : قُل . فقلت : أمّا حداثة سنّه , فوالله ما استحدثه الله حين جعله أخاً لنبيّه , وجعل نفسه كنفسه ، وأمّا محبّته لأهل بيته , فقد عمل بقول الله تعالى فيهم : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[3] . وأمّا بغض قُريش له , فعلى مَن نقمت قُريش , أعلى الله حيث أمر رسوله بحربها ؟ أم على رسوله حيث أمر عليّاً بقتالها ؟ أم على عليّ حيث أطاع رسوله فيها ؟ قال : فجذب يده وقال : يابن عبّاس , إنّك لتغرق من بحر.

فانظروا يا إخواني إلى ما في ضمائرهم من الأحقاد , حيث قتل بسيفه منهم الآباء والأولاد ؛ امتثالاً لأمر ربّ العباد ، طلبوا نيل مفاخرة الجميلة , فعجزوا عنها وأعيتهم وجوه الحيلة , فلمّا صارت أزمة الأُمور إليهم ووردوها عليهم , صوّبوا صوائب المصائب في ذرّيّته وبنيه وشيعته ومُحبّيه , فلا ترى إلاّ قتيلاً على وجه الثّرى , أو مأسوراً قد أضربه طول السّرى , أو نسوة حواسر على أقتاب الجمال , تصفح وجوههم الرّجال , يندبن جدّهم المُصطفى وأباهم المُرتضى وأُمّهم الزّهراء , يُسار بهم بالعنف الشّديد إلى أشر العبيد , كأنّهم أُسارى بعض اليهود والنّصارى ، ولله درّ مَن قال من الرّجال :

يا للرجـــال لعظـــم هـــول مصـــيبة ... جلّـــت مصـــيبتها وخطـــب هايـــل
الشـــمس كاســـفة لفقـــد إمامنـــا ... خـــير الخلائـــق والإمـــام العـــادل
يا خـــير مـــن ركـــب المطـــى ومـــن مشـــى ... فـــوق الثـــرى مـــن محتـــف أو ناعـــل
يابـــن النّـــبي لـــرزءكم هـــدم الهـــدى ... والحـــق أصـــبح خاضـــعاً للباطـــل

روي عن أبي سلمة قال : حججت مع عمر بن الخطاب , فلمّا صرنا بالأبطح , فإذا بأعرابي قد أقبل علينا فقال: يا عمر , إنّي خرجت من منزلي وأنا حاج

---

(1) سورة القيامة / 37.
(2) سورة النّبأ / 17.
(3) سورة الشّورى / 23.

مُحرم , فأصبت بيض النّعام فاجتنيت وشويت وأكلت , فما يجب عليّ ؟ قال : ما يحضرني في ذلك شيء فاجلس , لعلّ الله يُفرّج عنك ببعض أصحاب مُحمّد (صلى الله عليه وآله) . فإذا بأمير المؤمنين (عليه السلام) قد أقبل والحُسين يتلوه , فقال عمر : يا أعرابي , هذا عليّ بن أبي طالب فدونك ومسألتك . فقام الأعرابي فسأله , فقال عليّ (عليه السلام) : ((يا أعرابي , سل هذا الغلام عندك)) . (يعني : الحُسين (عليه السلام)) فقال الأعرابي : إنّما يحيلني كلّ واحد منكم على الآخر . فأشار النّاس إليه : ويحك ! هذا ابن رسول الله فاسأله . فقال الأعرابي : يابن رسول الله , إنّي خرجت من بيتي حاجّاً مُحرماً وقصّ عليه القصّة . فقال الحُسين (عليه السلام) : ((ألك إبل ؟)) . قال : نعم . قال : ((خُذ بعدد البيض الذي أصبت نوقاً , فاضربها بالفحولة , فما فضلت فاهدها إلى بيت الله الحرام)) . فقال عمر : يا حُسين , النّوق يزلقن . فقال الحُسين : ((يا عمر , إنّ البيض يمرقن)) . فقال : صدقت وبررت . فقام عليّ (عليه السلام) وضمّه إلى صدره , وقال : ﴿ ذُرّيّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

فوا عجباه من قوم عرفوا فضائلهم الكريمة وارتكبوا منهم هذه الأفعال العظيمة ! ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور , ولله درّ مَن قال :

مطهـــــــرون نقيـــــــات ثيـــــــابهم ... تجـــري الصـــلاة علـــيهم أيـــن مـــا ذُكـــروا

مـــــن لم يكـــــن علـــــوياً حـــــين تنســـــبه ... فمـــــا لـــــه مـــــن قـــــديم الـــــدهر مفتخـــــر

والله لمـــــــا بـــــــدأ خلقـــــــاً فأتقنـــــــه ... صـــــفاكم واصـــــطفاكم أيهـــــا البشـــــر

فـــــأنتم المـــــلأ الأعـــــلا وعنـــــدكم ... علـــم الكتـــاب ومـــا جـــاءت بـــه الســـور

روى بشّار بن عبد الله قال : دخلت على مولاي الصّادق (عليه السلام) وهو يومئذٍ مُقيم بالكوفة , فرأيت قدّامه طبقاً فيه رطب وهو يأكل منه , فقال لي : ((يا بشّار , ادن فكلّ معي من هذا الرّطب)) . فقلت : هنّاك الله به وجعلني فداك . فقال لي : ((لِمَ لا تأكُل ؟)) . فقلت : إنّي في همّ عظيم من شيء رأيته الآن في طريقي هذا , قد أوجع قلبي وأهاج حزني , فقال لي : ((بحقّي عليك , إلاّ ما أخبرتني بما رأيت)) . فقلت : يا مولاي , رأيت ظالماً يضرب امرأة ويسوقها إلى الحبس , وهي تنادي : المُستغاث بالله وبرسول الله . ولم يغثها أحد من النّاس ، فقال : ((ولِمَ فُعل بها ذلك ؟)) . فقلت : سمعت من النّاس يقولون : إنّها عثرت بحجر وهي تمشي , فقالت : لعن الله ظالميك يا فاطمة

---

(1) سورة آل عمران / 34.

الزّهراء . فسمعها هذا الجلواز فصنع بها ما سمعت ، قال : فقطع الصّادق (عليه السلام) أكله وتظاهر حزنه , ولم يزل يبكي حتّى ابتلّ منديله ولحيته , وقال لي : ((نغّصت عليّ يا بشّار , قُم بنا إلى مسجد سهيل ؛ لندعوا الله عزّ وجلّ ونسأله خلاص هذه المرأة)) . قال : ووجّه بعض أصحابه إلى باب السّلطان , وقال له : ((لا تبرح حتّى تأتيني بالخبر الصّحيح , فإن حدث في المرأة حدث , سر إلينا حيث كُنّا)) . فسرنا إلى مسجد السّهلة , وصلّى كلّ منّا ركعتين لله عزّ وجلّ ، ثمّ رفع الصّادق (عليه السلام) يديه بالدُعاء , وابتهل إلى الله تعالى بالثّناء , ثمّ خرّ ساجداً لله ساعة ثمّ رفع رأسه , وقال : ((الحمد لله ، قُم يا بشّار أُطلقت المرأة)) . فبينما نحن على الطّريق , إذ أتانا الرّجل الذي وجهه الصّادق إلى باب السّلطان , فقال له : ((ما الخبر ؟)) . فقال : أُطلقت المرأة . فقال ((كيف كان إطلاقها ؟)) . قال : كنت واقفاً عند باب السّلطان , إذ خرج الحاجب فدعا المرأة وقال لها : ما الذي تكلّمت به ؟ قالت: عثرت بحجر فقلت : لعن الله ظالميك يا فاطمة الزّهراء . ففُعل بي ما ترون . قال : فناولها مئتي درهم وقال : خُذي هذا المال واجعلي السّلطان في حلّ . فأبت أن تأخذها وانصرفت إلى منزلها , فقال الصّادق (عليه السلام) : ((أبت أن تأخذها وهي والله محتاجة إليها)) . ثمّ إنّه (عليه السلام) أخرج من جيبه صرّة فيها سبعة دنانير لم يكن عنده غيرها ، وقال لي : ((اذهب أنت يا بشّار إلى منزلها , واقرأها عنّي السّلام وادفع إليها هذه الدّنانير)) . فقال : فمضيت إليها واقرأتها منه السّلام , فقالت : بالله عليك , اقرأني مولاي الصّادق السّلام ؟ فقلت : أي والله . فخرّت ساجدة لله ساعة ورفعت رأسها , وقالت : اقرأني مولاي السّلام ؟ فقلت : نعم . فسجدت لله شكراً حتّى فعلت ذلك ثلاث مرّات ، فقلت لها : يا أمة الله , خُذي ما أرسله إليك سيدي وابشري بالجنّة . فأخذت واستبشرت وشكرته على ذلك , وقالت : يا بشّار , اسأله أن يستوهب أمة الله من الله تعالى . قال فرجعت إليه وحدّثته بما جرى , فجعل يبكي ويقول : ((غفر الله لها)).

فتفكّروا يا إخواني بمصائب سادة النّاس وما حلّ بهم من الكفرة الأرجاس , أزالوهم عن مناصبهم التي أحلّهم الله فيها , ودفعوهم عن الدّرجة التي لم يصلوا إليها ، فهذه القضية أصل كلّ بليّة إن كنت تعيها , ولأن علا نحيبي من هذا المصاب ؛ فلعظم ما في قلبي من الحزن والاكتئاب , وعظم شوقي وتزايد زفرتي , غير خفيّ على مواليّ وسادتي , ولله درّ مَن قال :

سلوا ضمائركم عني فإن وجدت غير الصفا فلوموني على الكدر
فإن وفت فأنا ذاك الوفي على ما تعهدون إلى أن ينقضي عمري

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أولا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله)

العين عبرى دمعها مسفوح والقلب من ألم الأسى مقروح
ما عذر مثلي يوم عاشورا إذا لم أبك آل محمّد وأنوح
أم كيف لا أبكي الحُسين وقد غدا شلواً بأرض الطف وهو ذبيح
والطاهرات حواسر من حوله كل تنوح ودمعها مسفوح
هذي تقول أخي وهذي والدي ومن الرزية قلبها مقروح
أسفي لذاك الشيب وهو مضمخ بدمائه والوجه فيه قروح
ولفاطم تبكي عليه بحرقة وتقبل الوجنات هي تصيح
ظلت تلعع حاسراً مسبية وسكينة ولهى عليه تنوح
يا والدي لا كان يومك إنه يوم لباب مصائبي مفتوح
اليوم مات محمّد يا والدي والطهر موسى والمسيح ونوح
اليوم آدم في العزاء وعرسه حوى وقد جل المصاب جموح
اليوم تبكيك السماء بأدمع مثل الدماء أسفاً ويكسف نوح
لهفي عليه مرملاً بدمائه ومن السوافي كفنته الريح
لهفي له يبغى النصيح وماله في كربلاء من الأنام نصوح
لهفي له والجسم مه مجدلا فوق الثرى حتّى حواه ضريح
لهفي لرأس ابن النّبي محمّد كالبدر من فوق السنان يلوح
والطهر زين العابدين مقيد يمشي وقد أردى به التبريح
والطاهرات على المطايا حسر تغدوا العداة عليهم وتروح
قد أقفلوهن الشئام بلا وطا وعلى الجسوم لباسهن مسفوح
وإلى الذبول جيوبهن وقد غدت تلك الجسوم بها القروح تسيح

والجـــو معتكـــر الظـــلام بـــلا ضـــحى باد وفي وجـــــه الثـــــراء كلـــــوح
والأرض ترجـــف مـــن رزيـــة أحمـــد وعليـــه وحـــش الفـــلا مقـــروح
وعلـــى الزمـــان مـــن الكآبـــة ذلـــة وإليـــه طـــرف الحـــادثات لمـــوح
يا آل أحمـــــد أن شـــــعري فـــــيكم والمـــدح مـــا طـــال المـــدى تســـبيح
شـــرفي بكـــم وبمـــدحكم ولطـــال مـــا في النـــاس شـــرف مادحـــاً ممـــدوح
أتـــرى أرى المهـــدي يظهـــر قبـــل مـــا يومـــاً علـــى جســـدي يضـــم ضـــريح
فهنالـــك الخلعـــي يبلـــغ مـــا نـــوى وبظـــاهر الســـر الخفـــي يبـــيح
وإلـــيكم مرثيـــة مـــا أنشـــدت إلّا ومنهـــا المســـك ظـــلٍ يفـــوح
شـــعر الـــورى في غـــير آل محمّـــد جســـم بـــلا روح وشـــعري روح
ولقـــد روى عـــن جعفـــر بـــن محمّـــد خـــبر أتـــى والنقـــل عنـــه صـــحيح
إن الـــولاء بـــلا بـــراء مـــا ينفـــع المـــولى وهـــذا واضـــح مشـــروح
صـــلّى الإلـــه علـــيكم يا ســـادتي مـــا غـــاب نجـــم في الســـماء يلـــوح

الباب الثّاني

أيّها المؤمنون , اجروا ماء العيون ، ويا أيّها الباكون , سلوا لذيذ الرّقاد من جفون الجفون ، أما تنظرون إلى هذا الخطب الفادح وهذا المصاب الفادح ؟ أما تستحقّ مواليكم أهل العُلا المماديح بكاء باك ونوح نائح ؟ بلى والله ؛ لأنّه خطب تذلّ له النّفوس وتحلّ بين أطباق الثّرى والرّموس . مصاب أبكى فاطمة البتول وأحزن قلب المُصطفى الرّسول , مصاب بكت عليه السّماء دماً وأُقيم له فوق الطّباق مأتماً ، افيُعذر أحدٌ من ذوي الألباب في ترك الحزن والإكتئاب على المصاب ، كيف ؟ وهم الذين فيهم قال بعض مادحيهم :

أمحـــب آل محمّـــد جـــد بالبكـــا إن كنـــت مـــن يهـــوى النـــبي المرســـلا
واســـكب شـــآبيب الـــدموع فـــإن تكـــن فيـــه الأخـــير فقـــد تبعـــت الأولا
وابـــك الفـــروع الطيبـــات تفرعـــت مـــن دوحـــة لمحمّـــد فســـقت عـــلا
وابـــك الغصـــون النـــاظرات ومـــن عـــلا ذرواتهـــا ناحـــت حمامـــات الـــبلا
وابـــك البـــدور الطالعـــات كـــواملا حـــاق المحـــاق بهـــا فأمســـت أفـــلا
وابـــك البحـــور الزاخـــرات ووردهـــا قـــد كـــان للـــوارد عـــذباً سلســـلا

وأبـــك الجبـــال الراســـخات ومـــن بـــنى مجـــداً أسمـــى سمـــا العـــلاء مـــؤثلا
فمصـــابه أبكـــى الســـماء كأبـــة والشـــهب حـــزناً والســـماك الأعـــزلا
مـــن أجـــل ذلـــك أن قلـــبي لم يـــزل متقلقـــاً لمصـــابهم مـــتقلقلا
والعـــيش في الـــدنيا إذا مـــا نغصـــوا فيهـــا فمـــا يحلـــو فكيـــف ومـــا حـــلا

روي : أنّ آدم (عليه السلام) لمّا هبط إلى الأرض , لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها , فمرّ بكربلاء , فاعتلّ وأعاق وضاق صدره من غير سبب , وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحُسين (عليه السلام) حتّى سال الدّم من رجله , فرفع رأسه إلى السّماء وقال : إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به , فإنّي طفت جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض ؟ فأوحى الله إليه : ((يا آدم , ما حدث منك ذنب , ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحُسين (عليه السلام) ظُلماً , فسال دمك موافقة لدمه)) . فقال آدم : يا ربّ , أيكون الحُسين نبيّاً ؟ قال : ((لا , ولكنّه سبط النّبي مُحمّد)) . فقال : ومَن القاتل له ؟ قال : ((قاتله يزيد)) . فقال آدم : فأيّ شيء أصنع يا جبرائيل ؟ فقال : العنه يا آدم . فلعنه أربع مرّات , ومشى خطوات إلى جبل عرفات , فوجد حواء هُناك.

وروي : أنّ نوحاً (عليه السلام) لمّا ركب في السّفينة , طافت به جميع الدُنيا , فلمّا مرّت بكربلاء , أخذته الأرض وخاف نوح الغرق , فدعا ربّه وقال : إلهي طفت جميع الدّنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض . فنزل جبرائيل وقال : يا نوح , في هذا الموضع يُقتل الحُسين (عليه السلام) سبط مُحمّد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء . فقال : ومَن القاتل له يا جبرائيل ؟ قال : قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين . فلعنه نوح أربع مرّات , فسارت السّفينة حتّى بلغت الجودي واستقرّت عليه.

وروي : أنّ إبراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً , فعثرت به وسقط إبراهيم (عليه السلام) وشج رأسه وسال دمه , فأخذ في الاستغفار وقال : إلهي أيّ شيء حدث منّي ؟ فنزل إليه جبرائيل وقال : يا إبراهيم , ما حدث منك ذنب , ولكن هُنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء ؛ فسال دمك موافقة لدمه . قال : يا جبرائيل , ومَن يكون قاتله ؟ قال : لعين أهل السّماوات والأرض , والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه , فأوحى الله تعالى إلى القلم : أنّك استحقّيت الثّناء بهذا اللعن . فرفع إبراهيم (عليه السلام) يديه ولعن يزيداً لعناً كثيراً ,

وأمّن فرسه بلسان فصيح , فقال إبراهيم لفرسه : أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دُعائي ؟ فقال : يا إبراهيم , أنا أفتخر بركوبك عليّ , فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري , عظمت خجلتي , وكان سبب ذلك من يزيد.

وروي : أنّ إسماعيل (عليه السلام) كانت أغنامه ترعى بشط الفرات , فأخبره الرّاعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً , فسأل ربّه عن سبب ذلك , فنزل جبرائيل (عليه السلام) , وقال : يا إسماعيل , سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك . فقال : لِمَ لا تشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح : قد بلغنا أنّ ولدك الحُسين (عليه السلام) سبط مُحمّد يُقتل عطشاناً , فحن لا نشرب من هذه المشرعة حُزناً عليه . فسألها عن قاتله , فقالت : يقتله لعين أهل السّماوات والأرضين والخلائق أجمعين . فقال إسماعيل : اللهمّ العن قاتل الحُسين.

وروي : أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون , فلمّا جاء إلى أرض كربلاء , انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه , فقال : إلهي ! أيّ شيء حدث منّي ؟ فأوحى الله إليه : ((إنّ هُنا يُقتل الحُسين , وهُنا يُسفك دمك موافقة لدمه)) . فقال : ربّ ومَن يكون الحُسين ؟ فقيل له : ((هو سبط مُحمّد المُصطفى وابن عليّ المُرتضى)) . فقال : ومَن يكون قاتله ؟ فقيل : ((هو لعين السّمك في البحار , والوحوش في القفار , والطّير في الهواء)) . فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعى عليه , وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

وروي : أنّ سُليمان (عليه السلام) كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء , فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء , فأدارت الرّيح بساطه ثلاث دورات حتّى خافوا السّقوط , فسكنت الرّيح ونزل البساط في أرض كربلاء , فقال سُليمان للريح : لِمَ سكنتي ؟ فقالت : إنّ هُنا يُقتل الحُسين (عليه السلام) . فقال : ومَن يكون الحُسين ؟ قال : هو سبط مُحمّد المُختار وابن عليّ الكرار . فقال : ومَن قاتله ؟ قالت : لعين أهل السّماوات والأرض يزيد . فرفع سُليمان يديه ولعنه ودعى عليه , وأمّن دعائه الإنس والجن , فهبّت الرّيح وسار البساط.

وروي : أنّ عيسى (عليه السلام) كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون , فمرّوا بكربلاء , فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطّريق , فتقدّم عيسى إلى الأسد , وقال له : لِمَ جلست في هذا الطّريق ولا تدعنا نمرّ فيه ؟ فقال الأسد بلسان فصيح : إنّي لم أدع لكم الطّريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحُسين . فقال عيسى

ومَن يكون الحُسين ؟ قال : سبط مُحمّد النّبي الأُمّي وابن عليّ الوليّ . قال : ومَن قاتله ؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذّئاب والسّباع أجمع خصوصاً أيّام عاشوراء . فرفع عيسى (عليه السلام) يديه ولعن يزيد ودعى عليه , وأمّن الحواريون على دعائه , فتنحّى الأسد عن طريقهم ومشوا لشأنهم.

فيا إخواني الذين اقتدوا بالأنبياء والمرسلين والملائكة المُقرّبين , باللعن على يزيد الغوي العنيد , ألا لعنة الله على الظّالمين . ولله درّ مَن قال :

إذا جاء عاشوراء تضاعف حسرتي ... لآل رسول الله وانهل عبرتي

هو اليوم فيه اغبرت الأرض كلها ... وجوماً عليهم والسماء اقشعرت

مصائب ساءت كل من كان مسلماً ... ولكن عيون الفاجرات أقرت

إذا ذكرت نفسي مصيبة كربلا ... وأشلاء سادات بها قد تفرت

أضاقت فؤادي واستباحت تجارتي ... وعظم كربي ثمّ عيشي أمرت

أريقت دماء الفاطميات بالملا ... فلو عقلت شمس النهار لخرت

ألا بأبي تلك الدماء التي جرت ... بأيدي كلاب في الجحيم استقرت

توابيت من نار عليهم قد أطبقت ... لهم زفرة في جوفها بعد زفرة

فشتان من في النار قد كان هكذا ... ومن هو في الفردوس فوق الأسرة

روي عن طريق الخصم ، مما صح روايته عن أبي هريرة , قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه حسن وحُسين (عليهما السلام) , هذا على عاتقه الأيمن وهذا على عاتقه الأيسر , وهو يلثم هذا مرّة وهذا أُخرى حتّى انتهى إلينا , فقال له رجل : إنّك لتحبّهما ؟ قال : ((ومَن أحبّهما فقد أحبّني ، ومَن أبغضهما فقد أبغضني)).

وبالطّريق المذكور عن ابن عبّاس : إنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) , قال للحسن والحُسين : ((مَن أحبّكما كان معي في الجنّة , ومَن أبغضكما ففي النّار)).

فيا عاذلي خل عن عذلي ... أيحسن أن يسلو مثلهم مثلي

أتروم ويحك سلواني ، أو تحاول إطفاء نيراني وتبريد وجدي وأشجاني ؟ هيهات هيهات هذا لا يكون ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فيا حرقي تزايدي ويا نار وجدي توقّدي ، ويا فؤادي القريح من الحزن والكآبة لا يستريح ، ويا

قلبي الولهان دم في العناء والأحزان ، ولله درّ مَن قال :

لا أضـــحك الله ســـن الـــدهر إن ضـــحكت وآل أحمـــــد مظلومـــــون قـــــد قهـــــروا

مشـــــردون نفـــــوا عـــــن عقـــــر دارهـــــم كـــــأنهم قـــــد جنـــــوا مـــــا لـــــيس يغتفـــــر

روي عن بعض الأخبار : أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) أجلس يوماً الحُسين (عليه السلام) على فخذه الأيمن , وولده إبراهيم على فخذه الأيسر , وجعل يلثم هذا مرّة وهذا أُخرى ؛ من شدّة شغفه بهما , فهبط جبرائيل من ربّ العالمين , وقال : يا مُحمّد , إنّ الله لم يكُن ليجمع لك بينهما , فاختر من شئت منهما ؛ فإنّ الله قد أمر بقبض روح واحد منهما . فقال : ((يا أخي جبرائيل , إن مات الحُسين , بكى عليه عليّ وفاطمة والحسن وأنا ، وإن مات ولدي إبراهيم بكيت أنا وحدي , فسل ربّك إليه يقبض إبراهيم ولدي)) . فمات إبراهيم بعد ثلاثة أيّام ، فكان النّبي (صلى الله عليه وآله) إذا رأى حُسيناً مُقبلاً إليه , يقول له : ((مرحباً بمن فديته بابني إبراهيم)).

فانظروا يا إخوتي إلى هذا الشّخص العظيم الرّباني , أيفديه سيّد المُرسلين بولده الذي هو من فلذة أحشائه وكبده ؟ ويقتله أولاد الزّواني وتخون فيه الأماني , أُولئك هم الخاسرون : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم فيهم وقال :

القصيدة للخليعي (رحمه الله)

جفـــــون لا تمـــــل مـــــن الهمـــــول وجســـــم لا يفـــــك مـــــن النحـــــول

وقلـــــب لا يفيـــــق مـــــن الـــــرزايا لتـــــذكار القتيـــــل ابـــــن القتيـــــل

قتيـــــل بالطفـــــوف أطـــــال نـــــوحي وأســـــلمني إلى الحـــــزن الطويـــــل

قتيـــــل أورث المختـــــار حـــــزناً وأذكـــــى النـــــار في قلـــــب البتـــــول

بنفســـــي وهـــــو يســـــري والمنـــــايا أمـــــام الركـــــب تســـــري بالحمـــــول

بنفســـــي وهـــــو يســـــري مســـــتدلا وضـــــوء ســـــناه نهـــــج هـــــذا الـــــدليل

يقـــــول ألا أخـــــبروني مـــــا اســـــم أرض أراني كارهـــــاً فيهـــــا نـــــزولي

أبينـــــوا مـــــا اسمهـــــا المشـــــهور عنهـــــا؟ فقـــــالوا كـــــربلا يابـــــن الرســـــول

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

فقال هي البلا وفي ثراها ... تريق دماؤنا أيدي النغول
بها تضحى أعزتنا أسارى ... يلوح عليهم كسر الذليل
بها تسبى كرائمنا وفيها ... يتامانا تعثر في الذيول
إلى الرحمن أستعدي وأشكو ... على عضب رموني بالذحول
أضاعوا عهد جدي عن قريب ... وساقوني إلى الورد الوبيل
ألا حطوا رحالكم وقيلوا ... فليس من المنية من مقيل
ومن رام النجاة وحاد عني ... إلى الدنيا ففي دعة الجليل
فقالوا ما لنا فيها خلود ... وليس متاعها غير القليل
وكيف يلذ بعدك طيب عيش ... لأرباب البصائر والعقول
أنا وأبيك لا نلوي وظل ... سيوف مظنة الظل الظليل
فمر إلى المضارب غير وأن ... بقلب عاطف بر وصول
ونادى زينباً يا أخت قومي ... إلى التوديع من قبل الرحيل
أوصيكم بتقوى الله إنا ... قبيل مُحمّد خير القبيل
عليك بطاعة السجاد بعدي ... محل الذكر والعلم الجزيل
وإن نودي بقتل أخيك بين ... الورى فعليك بالصبر الجميل
وقولي في سبيلي الله إني ... رزيت فإنه خير السبيل
ولطم الخد يقبح بالموالي ... وشق الجيب يرزي بالأصيل
ومر مشمراً للحرب يسطو ... على الأبطال بالسيف الصقيل
فلما أثخنوا وخر ملقى ... وراح المهر يعلن بالصهيل
برزن الطاهرات مهتكات ... حيارى لا يفقن من العويل
ونادت زينب لما رأته ... يجود بنفسه تحت الخيول
أخي هل للسبايا من ولي ... أخي هل لليتامى من كفيل
وخرت فوقه تلقي دماءاً ... براحتها على الخد الأسيل
وتدعو أمها الزّهراء وتطفي ... بسح دموعها حر الغليل
ألا يا أُم قومي وساعديني ... على نكبات دهري واندبي لي
ترى هل أنت عالمة بأنا ... نجرر بالحزون وبالسهول

وهـــل أخـــبرت بالســـجاد أضـــحى مـــع الأعـــداء في قيـــد ثقيـــل
علـــيلا يشـــتكي مرضـــاً وأســـراً فـــوا أســـفي علـــى العـــاني العليـــل
ويـــدعو الســـبط وهـــو لقـــي رميـــل يلاحظهـــا بنـــاظره الكليـــل
فيـــا لله مـــن نـــوب رمتنـــا بأســـهمها ومـــن خطـــب جليـــل
أيحمـــل رأس مـــولى الخلـــق طـــراً إلى الأمصـــار في رمـــح طويـــل
وتهـــدى الطـــاهرات إلى يزيـــد ســـبايا بالمذلـــة والخمـــول
ألا يابـــن النّـــبي ومـــن هـــداني بحـــبكم إلى نهـــج الســـبيل
مصـــابك يا قتيـــل الطـــف أدمـــى جفـــوني لا البكـــاء علـــى الطلـــول
وبعـــدي عـــن مـــزار ثـــراك أضـــنى فـــؤادي لا مفارقـــة الخليـــل
وإن وليـــك الخلعـــي يرجـــو الشـــفاعة منـــك في اليـــوم المهـــول
محـــبكم وعـــارفكم يقينـــاً بإيضـــاح المحجـــة والـــدليل
يـــواليكم ويـــبرئ مـــن عـــداكم ولا يصـــغي إلى عـــذل العـــذول
ينـــوح علـــيكم مـــا دام حيـــا ويبكـــيكم ومـــا هـــو بالملـــول
لقـــد بلـــغ المـــنى عبـــد عطفـــتم عليـــه وفـــاز مـــنكم بالقبـــول

الباب الثّالث

أيّها الإخوان , ألا تستنهضون مُضمرات الأحزان , فتجرونها في ميادين الأشجان ؟ ألا تمتطون كواهل عوامل الأشواق وتحثونها في ميادين السّباق , فتحوزوا قصب السّبق التي أنتم أولى بها وأحقّ ؟ أما علمتم أنّ المُقصّر عن هذه الغاية بنفسه قصّر , والمُتأخر عن بلوغ النّهاية لحظة أُخرى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[1] ؟ ولئن سحت من جفوني الدّموع , فإنّها عن نيران بين الضّلوع ، ولئن جزعت من هذا المصاب , فلعظم ما في قلبي من الوجد والاكتئاب . ولله درّ مَن قال من الرّجال :

لأي مصـــاب يـــذرف الشـــان مـــاءه وتقضـــي نفـــوس أو تفـــت كبـــود
لأعظـــم مـــن هـــذا المصـــاب وخطبـــه عظـــيم علـــى أهـــل السّـــماء شـــديد
مصـــاب لـــه في قلـــب كـــلّ مصـــيبة ســـهام لحبـــات القلـــوب تبيـــد
وللهـــم هـــم والـــرزايا رزيـــة وللحـــزن حـــزن زايـــد ويزيـــد

(1) سورة فصّلت / 46.

روي في بعض الأخبار عن الصّحابة الأخيار , قال : رأيت النّبي (ﷺ) , يمصّ لعاب الحُسين كما يمصّ الرّجل السّكرة , وهو يقول : ((حُسين منّي وأنا من حُسين , أحبّ الله مَن أحبّ حُسيناً , وأبغض الله مَن أبغض حُسيناً ، حُسين سبط من الأسباط لعن الله قاتله)) . فنزل جبرائيل , وقال : يا مُحمّد , إنّ الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً من المُنافقين , وسيقتل بابن ابنتك الحُسين , سبعين ألفاً من الكافرين وسبعين ألفاً من المُعتدين , وإنّ قاتل الحُسين في تابوت من نار , ويكون عليه نصف عذاب أهل الدّنيا , وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار , وهو منكس على أُمّ رأسه في قعر جهنّم , وله ريح يتعوذ أهل النّار من شدّة نتنها , وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم لا يفتر عنه , ويسقى من حميم جهنم.

وروي عن الصّادق (عليه السلام) أيضاً في بعض الأخبار : ((أنّ ملكاً من ملائكة الصّف الأعلى , اشتاق لرؤية النّبي (ﷺ) , واستأذن ربّه بالنّزول إلى الأرض لزيارته , وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً مُنذ خُلق , فلمّا أراد النّزول , أوحى الله تعالى إليه يقول : أيّها الملك , أخبر مُحمّداً أنّ رجلاً من أُمّته اسمه يزيد , يقتل فرخه الطّاهر بن الطّاهرة , نظيرة البتول مريم بنت عمران . فقال الملك : لقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيك مُحمّد (ﷺ) , فكيف أخبره بهذا الخبر الفظيع , وإنّني لاستحي منه أن أفجعه بقتل ولده , فليتني لم أنزل إلى الأرض ، قال فنودي الملك من فوق رأسه : أن أفعل ما أُمرت به . فدخل الملك إلى رسول الله ونشر أجنحته بين يديه , وقال: يا رسول الله , اعلم أنّي أستأذنت ربّي في النّزول إلى الأرض ؛ شوقاً لرؤيتك وزيارتك , فليت ربّي كان حطّم أجنحتي ولم آتك بهذا الخبر , ولكن لا بدّ من إنفاذ أمر ربّي عزّ وجلّ ، اعلم يا مُحمّد , إنّ رجُلاً من أُمّتك اسمه يزيد , (زاده الله لعناً في الدُنيا وعذاباً في الآخرة) , يقتل فرخك الطّاهر ابن الطّاهرة , ولن يتمتّع قاتله في الدُنيا من بعده إلّا قليلاً , ويأخذه الله مُقاصّاً له على سوء عمله , ويكون مُخلّداً في النّار . فبكى النّبي (ﷺ) بُكاءاً شديداً , وقال: أيّها الملك , هل تفلح أُمّة تقتل ولدي وفرخ ابنتي ؟ قال : لا يا مُحمّد , بل يرميهم الله باختلاف قلوبهم وألسنتهم في دار الدّنيا , ولهم في الآخرة عذاب أليم)).

وعن كعب الأحبار حين أسلم في أيّام خلافة عمر بن الخطاب , وجعل النّاس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزّمان ,

فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحكم والفتن التي تظهر في العالم , ثمّ قال : وأعظمها فتنة وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين , مصيبة الحُسين (عليه السلام) , وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد , حيث قال : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ ﴾[1] . وإنّما فُتح الفساد بقتل هابيل بن آدم , وخُتم بقتل الحُسين (عليه السلام) , أو لا تعلمون أنّه تُفتح يوم قتله أبواب السّماوات , ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً , فرأيتم الحمرة في السّماء قد ارتفعت , فاعلموا أنّ السّماء تبكي حُسيناً.

فقيل : يا كعب , لِمَ لا تفعل السّماء كذلك ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممّن كان أفضل من الحُسين ؟ فقال : ويحكم ! إنّ قتل الحُسين أمر عظيم , وإنّه ابن سيّد المُرسلين , وإنّه يُقتل علانية مبارزة ظُلماً وعدواناً , ولا تُحفظ فيه وصيّة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) , وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه , يُذبح بعرصة كربلاء ، فو الذي نفس كعب بيده , لتبكينّه زمرة من الملائكة في السّماوات السّبع , لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدّهر ، وإنّ البقعة التي يُدفن فيها خير البقاع , وما من نبيّ إلّا ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه , ولكربلاء في كلّ يوم زيارة من الملائكة والجن والإنس , فإذا كانت ليلة الجُمُعة , ينزل إليها تسعون ألف ملك , يبكون على الحُسين ويذكرون فضله، وإنّه يُسمّى في السّماء حُسيناً المذبوح , وفي الأرض أبا عبد الله المقتول – وفي البحار : الفرخ الأزهر المظلوم – وإنّه يوم قتله , تنكسف الشّمس بالنّهار , ومن الليل ينخسف القمر , وتدوم الظُلمة على النّاس ثلاثة أيّام , وتمطر السّماء دماً , وتدكدك الجال وتغطمط البحار ؛ ولو لا بقية من ذرّيّته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثاره , لصبّ الله عليهم ناراً من السّماء , أحرقت الأرض ومَن عليها.

ثمّ قال كعب : يا قوم , كأنّكم تتعجبون بما أُحدّثكم فيه من أمر الحُسين (عليه السلام) , وإنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أوّل الدّهر إلى آخره , إلّا وقد فسّره لموسى (عليه السلام) , وما نسمة خُلقت إلّا وقد رُفعت إلى آدم (عليه السلام) في عالم الذّر وعُرضت عليه ، ولقد عُرضت عليه هذه الأُمّة , ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدّنيا الدّنية ، فقال آدم : يا ربّ , ما لهذه الأُمّة الزّكية وبلاء الدّنيا وهم أفضل الأُمم ؟ فقال له : ((يا آدم , إنّهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم , وسيظهرون الفساد في الأرض , كفساد قابيل حين قتل هابيل , وأنّهم يقتلون فرخ

---

(1) سورة الرّوم / 41.

حبيبي مُحمّد المُصطفى)) . ثمّ مثّل لآدم (عليه السلام) مقتل الحُسين ومصرعه , ووثوب أُمّة جدّه عليه , فنظر إليهم فرآهم مسودّة وجوههم ، فقال : يا ربّ , أبسط عليهم الانتقام , كما قتلوا فرخ نبيك الكريم عليه أفضل الصّلاة . ولله درّ مَن قال من الرّجال :

إذا أبصـــرتك العـــين مـــن بعـــد غايـــة وعـــارض فيـــك الشـــك أثبتـــك القلـــب

ولـــــو أن قومـــــاً يمـــــوك لقـــــادهم باسمـــك حـــتّى يســـتدل بـــك الركـــب

وروي عن ريان بن شبيب , قال : دخلت على الرّضا (عليه السلام) في أوّل يوم من المُحرّم , فقال لي : ((يابن شبيب , أصائم أنت ؟)) . فقلت : لا . فقال : ((إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا زكريا ربّه عزّ وجلّ , فقال :﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنّكَ سَمِيعُ الدّعَاءِ ﴾[1] . فاستجاب الله تعالى له , وأمر الملائكة فنادت زكريا :﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾[2] . فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله تعالى , استجاب الله له كما استجاب لزكريا . يابن شبيب , إنّ المُحرّم هو الشّهر الذي كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال لحُرمته , فما عرفت هذه الأُمّة حُرمة شهرها ولا حُرمة نبيّها , لقد قتلوا في هذا الشّهر ذرّيّته , وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله , فلا غفر الله لهم ذلك أبداً . يابن شبيب , إن كُنت باكياً لشيء , فابك للحُسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) , فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش , وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجُلاً ما لهم في الأرض شبيه , ولقد بكت السّماء والأرض لقتله , ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فلم يؤذن لهم , فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم (عليه السلام) فيكونون من أنصاره , وشعارهم يا لثارات الحُسين (عليه السلام) . يابن شبيب , لقد حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه (عليه السلام) , أنّه لمّا قُتل جدّي الحُسين (عليه السلام) , أمطرت السّماء دماً وتراباً أحمراً.

يابن شبيب , إن بكيت على الحُسين , ثمّ تصير دموعك على خدّيك , غفر الله لك كُلّ ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً . يابن شبيب , إن سرّك أن تلقى الله ولا ذنب عليك , فزر الحُسين (عليه السلام) . يابن شبيب , إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنّة مع النّبي (صلى الله عليه وآله) , فالعن قاتل الحُسين . يابن شبيب , إن سرّك أن يكون لك من الثّواب مثل ما لمن استشهد مع الحُسين (عليه السلام) , فقُل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ! يابن شبيب , إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العُلى من الجنات , فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا

---

(1) سورة آل عمران / 38.

(2) سورة آل عمران / 39.

وعليك بولايتنا , فلو أنّ رجُلاً أحبّ حجراً , لحشره الله معه يوم القيامة)).

فيا أيّها الأبرار , لا تبخلوا بالدّموع الغزار على عترة النّبي المُختار , ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويجزل ثوابكم ؟ أليس هم شفعاءكم يوم المعاد إذا وقفتم بين يدي ربّ العباد ؟ أليس بهم تحطّ الأوزار ؟ أليس هم الجنن الواقية من النّار ؟ فسارعوا رحمكم الله إلى النّوح والبكاء عليهم , فإنّ ذلك من أعظم القرب إلى الله وإليهم ، فيا عجباً ممّن يطيل النّوح على الدّيار , ويندب الرّبوع المقفرة والآثار , ولا يبكي لمصاب السّادة الأطهار وأولاد عليّ الكرّار ! ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القُلوب التي في الصّدور.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم فيهم وقال :

القصيدة للنيلي (رحمه الله)

لا تنكـــري إن ألفـــت الهـــم والأرقـــا ... وبـــت مـــن بعـــدهم حلـــف الأســـى قلقـــا

قـــد كنـــت آمـــل روحـــي أن تفـــارقني ... ولا أرى شملنـــــا الملتـــــام مفترقـــــا

ليـــــث الركائـــــب لازمـــــت لبيـــــنهم ... وليـــت ناعـــق يـــوم البـــين لا نعقـــا

كـــم هـــد ركـــني وكـــم أوهـــى قـــوى جلـــدي ... وكـــــم دم بمواضـــــي جـــــوره هرقـــــا

لا تطلبـــوا أبـــداً مـــني البقـــاء فهـــل ... يرجـــى مـــع البـــين مـــن أهـــل الغـــرام بقـــا

يحـــق لي أن بكـــت عيـــني دمـــاً لهـــم ... وإن غـــــدوت بنـــــار الحـــــزن محترقـــــا

يا منـــزلا لعبـــت أيـــدي الشـــتات بـــه ... لعـــب النحـــول بجســـمي إذ بـــه علقـــا

مـــالي علـــى ربعـــك البـــالي غـــدوت بـــه ... وظلـــت أســـأل عـــن أهليـــه مـــا نطقـــا

أبكـــي عليـــه ولـــو أن البكـــاء علـــى ... ســـوى بـــني أحمـــد المختـــار مـــا خلقـــا

تحكمـــت فـــيهم الأعـــداء ويلهـــم ... ومـــن نجيـــع الـــدما أســـقوهم علقـــا

تـــداركت مـــنهم الأعـــداء ثارهـــم ... يـــوم الطفـــوف وداروا حـــولهم حلقـــا

ذادوهـــم عـــن ورود المـــاء ويلهـــم ... ومـــن نجـــيعهم اســـقوهم العلقـــا

تا لله كـــم قصـــموا ظهـــراً لحيـــدرة ... وكـــم بـــروا للرســـول الـــمُصطفى عنقـــا

والله مـــا قبلـــوا بالطـــف يـــومهم ... إلّا بمـــا يـــوم (بـــدر) فـــيهم ســـبقا

وقـــد رواه حـــديثاً صـــادقاً لهـــم ... زيـــد بـــن أرقـــم إذ كـــان أمـــره حـــذقا

إذا قـــال كنـــت مقيمـــاً في دمشـــق ... جـــاءت ســـبايا حســـين تـــذرف الأمقـــا
حـــتّى إذا أحضـــروهن الطغـــاة إلى ... يزيـــد إذ زاده مـــن كفـــره حنقـــا
حـــتّى إذا أبـــرزت للســـبي جاريـــة ... كأنهـــا البـــدر مـــن حســـن إذا اتســـقا
فقـــال مـــن هـــذه قـــالوا ســـكينة بنـــت ... الخـــارجي الـــذي عـــن حكمنـــا أبقـــا
فقـــال كيـــف رأيـــت الله مكنـــني ... رقـــابكم إذ لنـــا صـــرتم مـــن العتقـــا
أخـــذت ثأري مـــن ابـــن النّـــبي ومـــن ... غـــدا مـــن أســـلافنا مـــن جـــدكم ســـبقا
هنـــاك قالـــت أمـــه أنى ثكلتـــك يا ... أردى الأنام ويا مـــن لـــيس فيـــه تقـــا
اسمـــع منامـــاً رأت عينـــاي بارحـــتّى ... يزيـــد قلبـــك همـــاً عنـــدما طفقـــا
فقـــال قصـــي لنـــا رؤياك فابتـــدرت ... تقـــص والـــدمع منهـــا يســـبق النطقـــا
فبينمـــا أنا إذ صـــلّيت نافلـــتي ... أثـــنى علـــيّ خـــالقي والليـــل قـــد غســـقا
إذ الحُســـين أبي قـــد جـــاء ملتثمـــاً ... فرقـــى وقـــد مـــد لي كفيـــه معتنقـــا
وعاينـــت مقلـــتي مـــن بعـــد ذاك إلى ... قصـــر مـــن النـــور يزهـــو أبيضـــاً يققـــا
عـــال شـــرانفه اليـــاقوت حمرتهـــا ... للنـــاظرين إليهـــا يـــدهش الامقـــا
فبينمـــا أنا نحـــو القصـــر ناظـــرة ... إذ شـــرع البـــاب لي مـــن بعـــدما غلقـــا
وعاينـــت مقلـــتي خمســـاً وقـــد بـــرزوا ... مـــن المشـــايخ في تـــرتيبهم نســـقا
ومـــن بـــين أيـــديهم شـــخص فقلـــت لـــه ... والقلـــب مـــني لمـــا عاينـــت قـــد خفقـــا
لمـــن تـــرى يا فـــتى ذا القصـــر قـــالوا لمـــو ... لاك الحُســـين ولـــولاه لمـــا خلقـــا
وهـــذه الخمســـة الأشـــباح آدم ... ثمّ الطهـــر نـــوح الـــذي في حـــبكم ســـقا
وذا الخليـــل وهنـــاك الكلـــيم وذا ... عيســـى النّـــبي الـــذي يـــبرئ بغـــير رقـــا
وعاينـــت مقلـــتي شخصـــاً لطلعتـــه ... نـــور عـــلا الشـــمس لمـــا تبلـــغ الأفقـــا
وكفـــه قـــابض مـــن فـــوق لمتـــه ... باك بعبرتـــه قـــد صـــار مختنقـــا
وقـــد قطعـــت زفـــرات الحـــزن مهجتـــه ... والقلـــب منـــه لمـــا قـــد نالـــه حنقـــا
فقلـــت مـــن ذا فقـــالوا يا ســـكينة ذا ... النّـــبي جـــدك ينجـــو مـــن بـــه علقـــا
فقمـــت اســـعى إليـــه ثمّ قلـــت لـــه ... يا جـــد لم يبـــق منـــا مـــن بـــه وثقـــا
يا جـــدنا لـــو تـــرى بالطـــف قـــد قتلـــت ... رجالنـــا وإبنـــك الســـبط الشـــهيد لقـــا
يا جـــدنا لـــو تـــرانا نســـتغيث فـــلا ... نغـــاث قـــد قطعـــوا مـــن دوننـــا الطرقـــا

يا جـــدنا لـــو تـــرانا إذ نحـــث علـــى ... الأقتـــاب نطلـــب مـــن أعـــدائنا الرفقـــا
فعنـــدها ضـــمني جـــدي وقبلـــني ... وخـــر مـــن عظـــم مـــا حدثتـــه صـــعقا
ومـــد كفـــي وصـــيف القـــوم أدخلـــني ... في القصـــر وهـــو بطيـــب المســـك قـــد عبقـــا
وفيـــه خمـــس نســـاء لـــو بـــرزن إلى ... الشـــمس الظهـــيرة خلتـــا نورهـــا شـــفقا
وبـــين تلـــك النســـاء الخمـــس باكيـــة ... قـــد أكثـــرت دونهـــن النـــوح والحرقـــا
أثوابهـــا مـــن ســـود قـــد صـــبغن وفي ... أزياقهـــا الـــدمع في الأردان قـــد خرقـــا
وشـــعرها فـــوق كتفيهـــا تنشـــره ... علـــى الحُســـين ومنهـــا الجيـــب قـــد مزقـــا
فقلـــت أخـــبرني يا ذا الوصـــف فمـــن ... هـــذي النســـاء فقـــل لي لا لقيـــت شـــقا
فقـــال هاتيـــك يا ســـكينة و ... الأُخـــرى خديجـــة أو في العـــالمين تقـــا
وهـــذه مـــريم أيضـــاً وســـارتها ... مـــع هـــاجر قـــد ملكـــن الخلـــق والخلقـــا
وذي القمـــيص الـــذي قـــد ضـــمخته دمـــاً ... بنـــت النّـــبي الـــذي فـــوق الـــبراق رقـــا
فقمـــت أســـعى إليهـــا ثمّ قلـــت لهـــا ... أخـــبرك أن أبي بالبـــيض قـــد مزقـــا
يا جـــدنا لـــو تـــرى عينـــاك إبنـــك ... بـــين الـــرأس منـــه وبـــين الجسـم قـــد مزقـــا
يا جـــدنا لـــو رأيتنـــا ولـــيس لنـــا ... عـــن أعـــين النـــاس مـــن فـــوق المطـــى وقـــا
فعنـــدها صـــرخت في الحـــل فاطمـــة ... حـــتّى لقـــد خلـــت أن القصـــر قـــد طبقـــا
وأقبلـــت وهـــي تشـــكي تســـتغيث علـــى ... قتـــل الحُســـين وتـــذري الـــدمع منـــدفقا
والهفتـــاه لحـــزني فيـــك يا ولـــدي ... وا حســـرتا يا قتيـــل الصـــحب والرفقـــا
وا طـــول لهفـــي عليـــك اليـــوم يا ولـــدي ... لأهجـــرن ســـهادي فيـــك والأرقـــا
وظـــل مـــن حولهـــا النســـوان في ثكـــل ... ينـــدبن للســـبط لا لهـــواً ولا ملقـــا
هنـــا قامـــت وضـــمتني براحتهـــا ... لصـــدرها فســـكبت الـــدمع منـــدفقا
وأقبلـــت وهـــي تـــذري الـــدمع تســـألني ... عـــن الحُســـين وعـــن طـــاغ بـــه طرقـــا
وتســـتغيث وتـــدعو يا ســـكينة مـــن ... أضـــحى يغســـل إبـــني مـــن بـــه رفقـــا
ويـــلاه ويـــلاه مـــن أضـــحى يكفنـــه ... ومـــن رأى وجهـــه والنحـــر والحـــدقا
ويـــلاه ويـــلاه مـــن عـــبى الحنـــوط ... ومـــن تـــرى ســـار حـــول الـــنعش والنطلقـــا
ويـــلاه ويـــلاه مـــن صـــلّى عليـــه ومـــن ... أيضـــاً تـــرى للثـــرى في لحـــده طبقـــا
ومـــن تـــرى يكفـــل الأيتـــام ويحـــك بعـــد ... ابـــني الحُســـين ومـــن في حبنـــا صـــداقا

وكيف خلف زين العابدين ومن ... أوصى إليه من الأصحاب والرفقا
متى أرى القائم المهدي يقدم جيش ... الله والسنجق المنصور قد خفقا
هناك أظهر عن ما لو أردت به ... خرق السموات من دون الورى خرقا
يا آل طه لقد نال الأمان بكم ... في البعث كلّ ولي مؤمن صدقا
أحب أعدائي فيكم إذ تحبكم ... وإنني أهجر الأهلين والرفقا
فهانموها من النيلي رائقة ... تحكي الحيا رقة لفظاً ومنتسقا
إذا تلا نائح يوماً محاسنها ... أزرت على كلّ من بالشعر قد نطقا
من شاعر في مجال الشعر خاطره ... إلى طريق العلا والمجد قد سبقا
بها سموت على من قال مقتدما ... حي الفريق الحي فافترقا
وأزفت ما قال نصر في قصيدته ... طيف لخنساء من بعد الكرى طرقا
بعد الصلاة على المختار سيدنا ... خير الورى شرفاً ما مثله خلقا

المجلس الرّابع

في اليوم الثّاني من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها المؤمنون , ألم تسمعوا بمصائب آل الرّسول وأولاد الزّهراء البتول ؟ أم سمعتم وأنتم غافلون بإهراق الدّموع متباخلون ؟ ليس هذا من فعل المُحبّين ولا من دأب المُريدين , وكيف لا يحزن على مثلهم وهم أُمناء الرّحمن , ومَن شهد بفضلهم القرآن , وبكى عليهم كلّ مخلوق كان , والمخدومون والملائكة الكرام , والمُباهي بفضلهم النّبي (ﷺ) ؟! تركهم الأعداء بين مقتول بالسّم , وشهيد مضرّج بالدّم , وفقيد لا يُعرف قبره وإلى أيّ شيء آل أمره , وبين رأس على سنان , وبدن بلا رأس بين الأبدان , وبين شيبة بالدّماء مخضوبة , وبنت لرسول الله مسلوبة , وحرمة الرّسول مهتوكة , وطريدة بالعلى منهوكة . فيا شوهاً لطوائف الأدعياء وقُبحاً لأولئك الأشقياء , كيف تروهم ينظر إليهم النّبي أو يسقيهم من الحوض الوصي ؟! وكيف بهم إذا أتت بنت سيّد الثّقلين , مصبوغة ثيابها بدماء الحُسين , وتعلّقت بقائمة العرش وهي تقول : ((يا عدل يا حكيم , احكم بيني وبين قاتل ولدي)) . فهنالك حقّت عليهم كلمة العذاب , ولهم عذاب شديد غير مبيد , ولله درّ بعض ذوي العقول حيث يقول :

بنفسي طريحاً نازحاً عن دياره ... تريب المحيا عاري الجسم مجتلا

بنفسي نساء السبط يبكين حوله ... ظمايا حيارى حاسرات وثكلا

بنفسي عليّ بن الحُسين مقيداً بقيد ثقيل بالحديد مكبلا
تناديه بالشجو العظيم سكينة أيا أبتا ماذا دهانا وأثكلا
وزينب تدعو جدها يا مُحمّد أيا جدنا صفوة الله ذي العلا
أيا جدنا يعزز عليك بأن يرى حبيبك مقتولاً عفيراً مجدلا
وساقوا السايا حاسرات أذلة وقادوا عليّ بن الحُسين مغلا
وساروا برأس الطاهرين وخلفوا حسيناً بأرض الطف شلواً مجدلا
تجر عليه العاصفات ذيولها ويبكي عليه الوحش والطير في الفلا
الا لعن الرّحمن آل أُميّة وعجلهم ثمّ الدلام ونعثلا
وأشياعهم أو من رضي بفعالهم واتبعهم أو من لهم كان قد تلا
عليكم سلام الله ما در شارق وما أن حدي الحادي وركب تحملا

روى شرحبيل بن أبي عون , أنّه قال : لمّا ولد الحُسين (عليه السلام) , هبط ملك من ملائكة الفردوس الأعلى ونزل إلى البحر الأعظم , ونادى في أقطار السّموات والأرض : يا عباد الله , البسوا ثوب الأحزان واظهروا التّفجع والأشجان ؛ فإنّ فرخ مُحمّد مذبوح مظلوم مقهور . ثمّ جاء ذلك الملك إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) , وقال : يا حبيب الله , يُقتل على هذه الأرض قوم من أهل بيتك , تقتلهم فرقة باغية من أُمّتك , ظالمة معتدية فاسقة , يقتلون فرخك الحُسين ابن ابنتك الطّاهرة , يقتلوه بأرض كربلاء وهذه تربته . ثمّ ناوله قبضة من أرض كربلاء , وقال له : يا مُحمّد , احفظ هذه التّربة عندك حتّى تراها وقد تغيّرت واحمرّت وصارت كالدّم , فاعلم أنّ ولدك الحُسين قد قُتل.

ثمّ إنّ ذلك الملك , حمل من تربة الحُسين (عليه السلام) على بعض أجنحته وصعد إلى السّماء بها , فلم يبق ملك في السّماء إلّا وشمّ تربة الحُسين (عليه السلام) وتبرّك بها , قال : ولمّا أخذ النّبي (صلى الله عليه وآله) تربة الحُسين (عليه السلام) , جعل يشمّها ويبكي وهو يقول : ((قتل الله قاتلك يا حُسين , وأصلاه في نار الجحيم ، اللّهمّ لا تُبارك في قاتله , واصله حرّ نار جهنّم وبئس المصير)) . ثمّ دفع تلك التّربة من تربة الحُسين إلى زوجته أُمّ سلمة , وأخبرها بقتل الحُسين (عليه السلام) بطفّ كربلاء , وقال لها : ((يا أُمّ سلمة , حُذي هذه التّربة إليك وتعاهديها بعد وفاتي , فإذا رأيتيها وقد تغيّرت واحمرّت وصارت دماً عبيطاً , فاعلمي أنّ ولدي الحُسين قد قُتل بطفّ كربلاء)) . فلمّا أتى للحُسين سنة

كاملة من مولده , هبط إلى رسول الله اثني عشر ألف ملك على صور شتّى , محمرّة وجوههم باكية عيونهم , ونشروا أجنحتهم بين يدي رسول الله وهم يقولون : يا مُحمّد , إنّه سينزل بولدك الحُسين مثل ما نزل بهابيل من قابيل.

قال : ولم يبق ملك في السّماء إلّا ونزل على رسول الله ؛ يُعزّيه بولده الحُسين , ويخبره بما يُعطى من الأجر لزائره والباكي عليه , والنّبي مع ذلك يبكي ويقول : ((اللهمّ اخذل من خذله واقتل من قتله , ولا تمتعه بما أمله في الدّنيا , واصله حرّ نارك في الآخرة)) . ولله درّ مَن قال :

أزالـــوهم بالقهـــر عـــن إرث جـــدهم عنـــاداً ومـــا شـــاءوا أحلـــوا وحرمـــوا
وقـــادوا عليـــاً في حمائـــل ســـيفه وعمـــار دقـــوا ضـــلعه وتهجمـــوا
علـــى بيـــت بنـــت الـــمُصطفى وإمـــامهم ينـــادي ألا في بيتهـــا النـــار فاضـــرم
فـــو الله مـــا أدري الحُســـين ورهطـــه وصـــبرهم فيئـــاً يحـــاز ويقســـم
ســـوى حبـــتر ثم الـــدلام ونعثـــل لأنهـــم في كـــلّ ظلـــم تقـــدموا
وتلـــك الـــتي جـــاءت تقـــود عســـكراً علـــى جمـــل يحـــدوا بهـــا المـــترنم
أبوهـــا يـــولي الـــدبر في كـــلّ موقـــف وابنتـــه عنـــد اللقـــا تتقـــدم
ألا لعـــن الله المهـــيمن حبـــترا وابنتـــه تعـــداد مـــا الله يعلـــم

روي في بعض الأخبار عن ثقاة الأخيار : أنّ نصرانياً أتى رسولاً من ملك الرّوم إلى يزيد , وقد حضر في مجلسه الذي أتى فيه برأس الحُسين (عليه السلام) , فلمّا رأى النّصراني رأس الحُسين , بكى وصاح وناح حتّى ابتلّت لحيته بالدّموع , ثمّ قال : اعلم يا يزيد , إنّي دخلت المدينة تاجراً في أيّام حياة النّبي (صلى الله عليه وآله) , وقد أردت أن آتيه بهدية , فسألت من أصحابه : أيّ شيء أحبّ إليه من الهدايا ؟ فقالوا : الطّيب أحبّ إليه من كُلّ شيء , وإنّ له رغبة فيه . قال : فحملت من المسك فارتين , وقدراً من العنبر الأشهب , وجئت به إليه وهو يومئذ في بيت زوجته أُمّ سلمة (رضي الله عنها) , فلمّا شاهدت جماله , أزاد لعيني من لقائه نوراً ساطعاً , وزادني منه سروراً , وقد تعلّق قلبي بمحبّته , فسلّمت عليه ووضعت العطر بين يديه , فقال : ((ما هذا ؟)) . قُلت : هدية محقرة أتيت بها إلى حضرتك . فقال لي : ((ما اسمك ؟)) . فقلت : اسمي عبد شمس . فقال لي : ((بدّل اسمك , فأنا أسمّيك عبد الوهاب . إن قبلت منّي الإسلام قبلت منك الهدية)) . قال : فنظرته وتأمّلته , فعلمت أنّه نبيّ وهو الذي أخبرنا عنه عيسى , حيث قال : إنّي

مبشر لكم برسول يأتي من بعدي , اسمه أحمد . فاعتقدت ذلك وأسلمت على يده في تلك السّاعة , ورجعت إلى الرّوم وأنا أخفي الإسلام , ولي مدّة من السّنين وأنا مُسلم مع خمس من البنين وأربع من البنات , وأنا اليوم وزير ملك الرّوم , وليس لأحد من النّصارى اطلاع على حالنا.

واعلم يا يزيد , إنّي يوم كنت في حضرة النّبي وهو في بيت أُمّ سلمة , رأيت هذا العزيز الذي رأسه وضع بين يديك مُهاناً حقيراً , قد دخل على جدّه من باب الحجرة , والنّبي فاتح بابه ليتناوله , وهو يقول : ((مرحباً بك يا حبيبي)) . حتّى أنّه تناوله واجلسه في حجره , وجعل يُقبّل شفتيه ويرشف ثناياه , وهو يقول : ((بُعداً , لا رحمه الله مَن قتلك يا حسين وأعان على قتلك)) . والنّبي مع ذلك يبكي , فلمّا كان اليوم الثّاني , كنت مع النّبي (ﷺ) في مسجده , إذ أتاه الحسن (عليه السلام) مع أخيه الحُسين (عليه السلام) , وقال : ((يا جدّاه , قد تصارعت مع أخي الحُسين (عليه السلام) , ولم يغلب أحدنا الآخر , وإنّما نريد أن نعلم أيّنا أشدّ قوّة من الآخر)) . فقال لهُما النّبي (ﷺ) : ((يا حبيبي ويا مهجتي , إنّ التّصارع لا يليق لكما , اذهبا فتكاتبا , فمَن كان خطّه أحسن , كذلك تكون قوّته أكثر)) . قال : فمضيا وكتب كُلّ واحد منهما سطراً , وأتيا إلى جدّهما النّبي (ﷺ) , فأعطياه اللوح ليقضي بينهما , فنظر النّبي إليهما ساعة ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما , فقال لهما : ((يا حبيبي , إنّي أُمّيّ لا أعرف الخط , اذهبا إلى أبيكما ليحكم بينكما , وينظر أيّكما أحسن خطّاً)) . قال : فمضيا إليه وقام النّبي (ﷺ) أيضاً معهما , ودخلوا جميعاً إلى منزل فاطمة (عليها السلام) , فما كان إلّا ساعة وإذا النّبي (ﷺ) مُقبل وسلمان الفارسي معه , وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودّة , فسألته : كيف حكم أبوهما , وخطّ أيّهما أحسن ؟ قال سلمان (رضي الله عنه) : إنّ النّبي (ﷺ) لم يجبهما بشيء ؛ لأنّه تأمّل أمرهما وقال : ((لو قُلت خطّ الحسن أحسن كان يغتمّ الحُسين , ولو قُلت خطّ الحُسين أحسن كان يغتمّ الحسن , فوجهتهما إلى أبيهما)) . فقلت : يا سلمان , بحقّ الصّداقة والإخوّة التي بيني وبينك , وبحقّ دين الإسلام , إلّا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما ؟ فقال : لمّا أتيا إلى أبيهما وتأمّل حالهما , رقّ لهما ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما , قال لهما : ((امضيا إلى أُمّكما فهي تحكم بينكما)) . فأتيا إلى أُمّهما وعرضوا عليها ما كتبا في اللوح وقالا : ((يا أُمّاه , إنّ جدّنا أمرنا أن نتكاتب , فكلّ مَن كان خطّه أحسن تكون قوّته أكثر , فتكاتبنا وجئنا إليه , فوجّهنا إلى أبينا فلم

يحكم بيننا , ووجّهنا إلى عندك)) . فتفكّرت فاطمة (عليها السلام) بأنّ جدّها وأباها ما أرادا كسر خاطرهما , أنا ما أصنع وكيف أحكم بينهما , فقالت لهما : ((يا قرّتي عيني , إنّي أقطع قلادتي على رأسكما , فأيّكما يلتقط من لؤلؤها أكثر , كان خطّه أحسن وتكون قوّته أكثر)) . قال : وكان في قلادتها سبع لؤلؤات . ثمّ إنّها قامت فقطعت قلادتها على رأسهما , فالتقط الحسن ثلاث لؤلؤات , والتقط الحُسين ثلاث لؤلؤات وبقيت الأُخرى , فأراد كُلّ منهما تناولها , فأمر الله تعالى جبرائيل (عليه السلام) بنزوله إلى الأرض , وأن يضرب بجناحيه تلك اللؤلؤة ويقدّها نصفين بالسّوية , ليأخذ كُلّ منهما نصفاً ؛ لئلا يغتمّ قلب أحدهما , فنزل جبرائيل (عليه السلام) كطرفة عين وقدّ اللؤلؤة نصفين , فأخذ كُلّ منهما نصفاً . فانظر يا يزيد , إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يدخل على أحدهما ألم التّرجيح في الكتابة , ولم يرد كسر قلبهما , وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) , وكذلك ربّ العزّة لم يرد كسر قلب أحدهما , بل أمر مَن يقسم اللؤلؤة بينهما ؛ لجبر قلبهما , وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟! أفّ لك ولدينك يا يزيد.

ثمّ إنّ النّصراني نهض إلى رأس الحُسين (عليه السلام) , واحتضنه وجعل يُقبّله , وهو يبكي ويقول : يا حُسين , اشهد لي عند جدّك مُحمّد المُصطفى , وعند أبيك المُرتضى , وعند أُمّك فاطمة الزّهراء (صلوات الله عليهم أجمعين).

فيا إخواني , أديموا رحمكم الله الحزن الطّويل , وواظبوا على النّدب والعويل , فعلى مثل أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للخليعي (رحمه الله)

لم أبـــــك ربعـــــاً دارس العرصـــــات ... أضـــحت معارفـــه مـــن النكـــرات

درســـت معاهـــده وغيرهـــا البلـــى ... ونأت بســـاكنها يـــد الغـــربات

عفـــت الوقـــوف علـــى الـــديار تجنـــبي ... منهـــا الصـــدى بـــتردد الكلمـــات

لكـــن بكيـــت علـــى حـــريم مُحمّـــد ... يشـــهرن فـــوق غـــوارب البـــدنات

وتـــذكري رفـــع الكـــريم أعـــاد لي ... حـــزناً كيـــوم مصـــارع الســـادات

بأبي ربيبـــات البتـــول نـــوادباً ... مـــن عظـــم أحـــزان وطـــول شـــتات

لمـــا قفلـــن إلى الشـــآم قريحـــة ... أجفـــانهن ســـواكب العـــبرات

والـــــرأس منتصـــــب وزينـــــب عنـــــده ودموعهـــــا تجـــــري علـــــى الوجنـــــات
تشـــــكو إليـــــه ووجهـــــه متوقـــــد كالبـــــدر يجلـــــو حنـــــدس الظلمـــــات
وتصـــــيح وا حـــــزاني وتـــــدعو يا أخـــــي وخليفـــــتي لعظـــــائم النكبـــــات
لهفـــــي عليـــــك وأنـــــت ثاو بالعـــــرى ملقـــــى علـــــى الرمضـــــاء في الفلـــــوات
لهفـــــي عليـــــك وأنـــــت تشـــــتكي حـــــر الظمـــــا وتلهـــــب الزفـــــرات
لهفـــــي علـــــى مـــــا نيـــــل منـــــك بكـــــربلا مـــــن قتـــــل أبنـــــاء وســـــبي بنـــــات
لهفـــــي لهـــــن مســـــلبات حســـــرا فواضـــــل الأردان مختمـــــرات
لهفـــــي لمـــــا أودعـــــت قلـــــب مُحمّـــــد وفـــــؤاد فاطمـــــة مـــــن الحســـــرات
يا واحـــدي لـــو كنـــت شـــاهد مـــا جـــرى مـــن ذلنـــا وتعـــزز الشـــمات
صـــبت علـــي مصـــائب لا تنقضـــي مـــن فقـــد أحبـــاب وقتـــل حمـــات
وتعـــج والأيام ســـكرى حولهـــا قرحـــى الجفـــون خوافـــت الأصـــوات
ولـــرأس مـــولاي الحُســـين تـــرنّم في الليـــل يتلـــو محكـــم الآيات
والســـيد الســـجاد يـــدعوها ألا اصـــطبري فـــإت كلمـــا هـــو آت
وكفـــي الـــدموع ورأفـــتي رب العـــلا فعليـــك منـــه أفضـــل الصـــلوات
وتيقـــني أن الشـــهيد مخلـــد لا تحســـبيه يعـــد في الأمـــوات
واستبشـــري يا عمـــتي فلـــك الهنـــا بقيـــام دولـــة آخـــذ الثـــارات
والقـــائم المهـــدي والمـــولى الـــذي يستأصـــل الأعـــداء بالنقمـــات
يا ســـادتي يا مـــن بنـــور هـــداهم وســـناهم يجلـــي دجـــى الظلمـــات
بـــولاكم يا خـــير وطـــأ الثـــرى نيـــل المـــنى وتقبـــل الطاعـــات
وكـــذا الـــبراءة مـــن أعـــاديكم بهـــا يعفـــو الإلـــه غـــدا مـــن الـــزلات
واليـــتكم ونصـــبت حـــرب عـــداكم فـــرفعتم فـــوق العلـــى درجـــات
وتناوشـــوني حاســـد ومعانـــد وتظـــاهرا بالحقـــد والأحنـــات
يا رب فاشـــهد أنـــني متـــبرء مـــنهم وممـــن خـــان عقـــد ولات
مـــن معشـــر جحـــدوا النّـــبي حقوقـــه وتحـــاملوا ظلمـــا علـــى مـــولاتي
نال الخليعـــي الأمـــان بحـــبكم ونجـــا مـــن النـــيران أي نجـــات
لا تحســـب الشـــعراء إن قـــد أدركـــوا تحديـــد فضـــلكم بكنـــه صـــفات

لكـــــنهم نظـــــروا الكتـــــاب فضـــــمنوا مـــــن مـــــدحكم مـــــا جـــــاء في الآيات
ليبـــــــدلن الله خـــــــوف ولـــــــيكم أمنـــــاً ويجزيـــــه علـــــى الحســـــنات
ويمكـــــن الـــــدين الـــــذي لكـــــم ارتضـــــى جهـــــراً علـــــى رغـــــم الـــــزنيم العـــــات

الباب الثّاني

اعلموا تقبّل الله أعمالكم وأحسن لديه آلكم , إنّ الله تعالى لا يقبل الأعذار في ترك المآتم على الآل الأطهار ؛ لأنّه تعالى جرت عادته بتكليف العباد بعد إلهامهم الرّشاد ؛ ليفيض عليهم من الخيرات فيصلون إلى الكمالات , ولا شيء لعمري , أدّعى لحصول الثّواب العظيم وإزالة العذاب الأليم , من إظهار شعائر الأحزان وإجراء الدّموع الهتان , على ما أصابهم في ذلك الزّمان من أهل الغدر والخذلان , فكم من دم مسفوح وطفل مذبوح وقلب مقروح , ومرمّل بالدّماء ومسلوب للرداء , ومنبوذ بالعرى ومذبوح من القفا , وقرّة عين المُصطفى , وثمرة فؤاد الزّهراء بنت خاتم الأنبياء , فيا لله ! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرمة الرّسول , فنوحوا أيّها الإخوان , وضجّوا بالعويل وعجّوا بالبكاء على هذا الرّزء الجليل , ولله در مَن قال من الرّجال :

بنفســـــي خـــــدوداً في الـــــتراب تعفـــــرت بنفســـــي جســـــوماً بالعـــــراء تعـــــرت
بنفســـــي رؤوســـــاً معليـــــات علـــــى القنـــــا إلى الشـــــام تهـــــدي بارقـــــات الأســـــنتى
بنفســـــي شـــــفات ذابـــــلات مـــــن الظمـــــا ولم تحـــــظ مـــــن مـــــاء الفـــــرات بقطـــــرة
بنفســـــي عيـــــونا غـــــابرات شـــــواهرا الى المـــــاء منهـــــا نظـــــرة بعـــــد نظـــــرة
بنفســـــي مـــــن آل النّـــــبي خرائـــــد حواســـــر لم تغـــــدف علـــــيهم بســـــترة
تفـــــيض دموعـــــاً بالـــــدماء مشـــــوبة كقطـــــر الغـــــوادي مـــــن مـــــدامع ثـــــرت
علـــــى خـــــير جيـــــل مـــــن كهـــــول وفتيـــــة مصـــــاليت انجـــــاد إذا الخيـــــل كـــــرت
ربيـــــع اليتـــــامى والأرامـــــل فابكهـــــا مـــــدارس للقـــــرآن في كـــــل ســـــحرة
وأعـــــلام ديـــــن الـــــمُصطفى وولاتـــــه وأصـــــحاب قـــــربان وحـــــج وعمـــــرة
ينـــــادون يا جـــــداه أيـــــة محنـــــة نراهـــــا علينـــــا مـــــن أُميـــــة مـــــرّت
ضـــــغائن بـــــدر بعـــــد ســـــتين أظهـــــرت وكانـــــت أجنـــــت في الحشـــــا وأســـــرت

كـــأني ببنـــت الـــمُصطفى قـــد تعلقـــت يـــداها بســـاق العـــرش والـــدمع أذرت
وفي حجرهـــا ثـــوب الحُســـين مضـــمخا وعنهـــا جميـــع العـــالمين بحســـرت
تقـــول أيا عـــدل أقـــض بيـــني وبـــين مـــن تعـــدى علـــى ابـــني بعـــد قهـــر وقســـرت
أجـــالوا عليـــه بالصـــوارم والقنـــا وأســـقوه كـــأس المـــوتّ طعـــم الممـــرت
هـــم أول العـــادين ظلمـــاً علـــى الـــورى ومـــن ســـار فـــيهم بالأذى والمضـــرت
مضـــوا وانقضـــت أيامهـــم وعهـــودهم ســـوى لعنـــة باءوا بهـــا واســـتمرت

روي عن السّيد السّعيد عبد الحميد يرفعه إلى مشايخه , عن منذر الثّوري , عن أبيه , عمّن أخبره , قال : قال الحُسين (عليه السلام) : ((أنا قتيل العبرة , ما ذُكرت عند مؤمن إلّا بكى واغتمّ لمصابي)).

وروى أيضاً عبد الحميد يرفعه إلى مشايخه إلى جابر الجعفي , يرويه عن أبي عبد الله , ثمّ قال : ((يا جابر , كم بينكم وبين قبر الحُسين (عليه السلام) ؟)) . قال , قُلت : يوم وبعض آخر . قال , فقال لي : ((أتزوره ؟)) . قال , قلت : نعم . قال : ((ألا أُفرّحك ألا أُبشرّك بثوابه ؟)) . قلت : بلى جعلت فداك ! قال : ((إنّ الرّجل منكم ليتهيأ لزيارته , فتباشر به أهل السّماء , فإذا خرج من باب منزله راكباً أو ماشياً , وكّل الله عزّ وجلّ به أربعين ألفاً من الملائكة , يُصلّون عليه حتّى يوافي قبر الحُسين (عليه السلام) , وثواب كُلّ قدم يرفعها , كثواب المتشحّط بدمه في سبيل الله , فإذا سلّمت على القبر , فاستلمه بيدك وقُل : السّلام عليك يا حُجّة الله في أرضه . ثمّ انهض إلى صلاتك , فإنّ الله تعالى يُصلّي عليك وملائكته حتّى تفرغ من صلاتك , ولك بكُلّ ركعة تركعها عنده ؛ ثواب مَن حجّ ألف حجّة , واعتمر ألف عُمرة , وأعتق ألف رقبة , وكمَن وقف في سبيل الله ألف مرّة مع نبي مرسل , فإذا أنت قمت من عند القبر , نادى مناد لو سمعت مقالته , لأفنيت عمرك عند قبر الحُسين (عليه السلام) , وهو يقول : طوبى لك أيّها العبد , لقد غنمت وسلمت , قد غفر الله لك ما سلف فاستأنف العمل)) . قال : ((فإن مات من عامه أو من ليلته أو من يومه , لم يقبض روحه إلّا الله تعالى)) . قال : ((ويقوم معه الملائكة يُسبّحون ويُصلّون عليه حتّى يوافي منزله , فتقول الملائكة : ربّنا , عبدك وافى قبر وليّك وقد وافى منزله , فأين نذهب ؟ فيأتيهم النّداء من قبل السّماء : يا ملائكتي , قفوا بباب عبدي , فسبّحوني وقدّسوني وهلّلوني , واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم وفاته . فإذا توفّي ذلك العبد , شهدوا غسله

وكفنه والصّلاة عليه , ثمّ يقولون : ربّنا , وكلتنا بباب عبدك وتوفّي , فأين نذهب ؟ فيأتيهم النّداء : يا ملائكتي , قفوا بقبر عبدي , فسبّحوني وقدّسوني وهلّلوني , واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم القيامة)).

فيا طوبى لمَن أحبّهم ووالاهم , ويا خسران مَن أبغضهم وعاداهم :

عـــــدوي عـــــن محبـــــتكم فنـــــادى ومـــــوتي تحـــــت أرجلكـــــم صـــــلاحي
هـــــواكم قبلـــــة تهـــــوي إليهـــــا قلـــــوب النـــــاس مـــــن كـــــلّ النـــــواحي
فـــــلا والله لا أســـــلو هـــــواكم ولا أصـــــبو إلى قـــــول اللـــــواحي

فلعمري , لو تضاعفت أحزاني فتزايدت أشجاني , وأُجريت عوض الدّموع دماً , وجعلت عمري كلّه مأتماً , وبقيت من شدّة الجزع والاكتئاب كالخلال , لم أوف ببعض ما يجب عليّ من حقّ الآل.

روي عن عاصم , عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : ((يا عاصم , مَن زار الحُسين (عليه السلام) وهو مغموم , أذهب الله غمّه , ومَن زاره وهو فقير , أذهب الله الفقر عنه , ومَن كانت به عاهة فدعى الله أن يذهبها , أُستجيبت دعوته وفرّج همّه وغمّه , فلا تدع زيارته , فكأنّك كُلمّا أتيته , كتب الله لك بكُلّ خطوة تخطوها عشر حسنات , ومحى عنك عشر سيئات , وكتب لك ثواب شهيد في سبيل الله أهريق دمه , فإيّاك أن تفوتك زيارته , وأمّا في الآخرة , فبولايتهم يحصل الفوز بالنّعيم الدّائم المُقيم , وبحبّهم يحصل الخلاص من العذاب الأليم)).

وعن الإمام أبي عبد الله (ع) قال : ((قال الحُسين (عليه السلام) : مَن زارني بعد موتي , زرته يوم القيامة ولو لم يكُن إلّا في النّار لأخرجته)) . :

يا عـــــترة الهـــــادي النّـــــبي ومـــــن هـــــم عـــــزي وكنـــــزي والرجـــــا والمفـــــزع
واليـــــتكم وبرئـــــت مـــــن أعـــــدائكم فـــــأنا بغـــــير ولاكـــــم لا أقنـــــع
صـــــلّى الإلـــــه علـــــيكم مـــــا أحييـــــت فكـــــروا وقضـــــت العيـــــون الهجـــــع

روي عن إسحاق بن عمّار , عن أبي عبد الله (عليه السلام) , قال : ((ما بين قبر الحُسين (عليه السلام) إلى السّماء مُختلف الملائكة)) . وعن بشير الدّهان قال , قُلت لأبي عبدالله : ربّما فاتني الحجّ وأعرف عند قبر الحُسين . قال : ((أحسنت يا بشير , أيما مؤمن أتى قبر الحُسين (عليه السلام) , عارفاً بحقّه في غير يوم عيد , كتب الله له عشرين حجّة وعشرين

عمرة مبرورات مُتقبّلات , وألف غزوة مع نبيّ مُرسل أو إمام عادل)) . قال , قلت : وكيف لي مثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المُغضب , ثمّ قال : ((يا بشير , إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحُسين يوم عرفة , فاغتسل بالفُرات ثمّ توجّه إليه , كتب الله عزّ وجلّ له بكُلّ خطوة حجّة بمناسكها)) . ولا أعلمه إلّا وقال : ((عمرة)).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) , أنّه قال : ((خلق الله تعالى كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام , ثمّ قدّسها وبارك فيها , فما زالت أرض كربلاء مُقدّسة مباركة طاهرة , قبل أن يخلق الله الخلق وقبل أن يكون الكون , ولم تزل كذلك حتّى جعلها الله أفضل أرض في الجنّة , وأفضل منزل ومسكن يسكن الله أولياءه في الجنّة , وهي أعلا وأرفع مساكن الجنّة , وأنّها إذا زلزل الله الأرض وسيّرها , رُفعت كما هي بتربتها نورانية صافية , فجُعلت أوّل روضة من رياض الجنّة , وأفضل مسكن في الجنّة , لا يسكنها إلّا النّبيون والمرسلون وأولوا العزم من الرّسل , وأنّها لتزهو بين رياض الجنّة , كما يزهو الكوكب الدّرّي لأهل الأرض , يغشي نورها أبصار أهل الجنّة جميعاً , وهي تُنادي: أنا الأرض المُقدّسة والطّينة المُباركة التي تضمّنت جسد سيّد الشُهداء , وسيّد شباب أهل الجنّة أبا عبد الله الحُسين)).

وفي بعض الأخبار : إنّ الله تعالى لـمّا خلق أرض الكعبة , افتخرت وابتهجت وقالت : مَن مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري , ويأتيني النّاس من كلّ فجّ عميق , وجُعلت حرم الله وأمنه ؟! فاوحى الله تعالى إليها : ((يا أرض الكعبة , كفّي وقرّي , فوعزّتي وجلالي , ما فضّلتك به فيما أعطيت كربلاء , إلّا بمنزلة الإبرة التي أُغمست في البحر , ولو لا تربة كربلاء ما فضّلتك , ولو لا ما تضمّنته أرض كربلاء , ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به , فقرّي واستقرّي وكوني متواضعة ذليلة مهينة , غير مستنكفة ولا مستكبرة على أرض كربلاء , وإلّا سخت بك وأهويت بك في نار جهنّم)) . كلّ ذلك تعظيماً للحُسين (عليه السلام) وإجلالاً له :

ما لي إذا وضع الحساب وسيلة ... أنجو بها من حر نار الموعد

إلّا اعترافي بالذنوب واني ... متمسك بولاء آل مُحمّد

روي في بعض الأخبار , إنّ رجلاً جاء إلى الصّادق (عليه السلام) وشكا إليه من علّة أردته , فقال له الصّادق (عليه السلام) : ((يا هذا , استعمل تربة جدّي الحُسين (عليه السلام) , فإنّ الله

تعالى جعل الشّفاء فيها من جميع الأمراض , وأماناً من جميع الخوف , وإذا أراد أن يستعملها للشفاء , فليأخذ من تلك التّربة , ثمّ يقبّلها ويضعها على وجهه وعينيه وينزلها على جميع بدنه , ويقول : اللّهمّ بحقّ هذه التّربة وبحقّ مَن حلّ بها وثوى فيها , وبحقّ جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه والأئمة من ولده , بحقّ الملائكة الحافّين به , إلّا جعلتها شفاء من كلّ داء , وبرء من كلّ مرض , ونجاة من كلّ خوف , وحرزاً مما أخاف وأحذر , برحمتك يا أرحم الرّاحمين . ثمّ استعمل من تلك التّربة أقل من الحمّصة , فإنّك تبرئ بإذن الله تعالى)) . قال الرّجل : فو الله , إنّي فعلت ذلك فشفيت من علّتي في وقتي وساعتي , من بركات سيدي وابن سيدي أبي عبد الله الحُسين (عليه السلام).

وعن إسحاق بن إسماعيل , أنّه قال : سمعت من الصّادق (عليه السلام) , يقول : ((إنّ لموضع قبر الحُسين (عليه السلام) حرمة معروفة , مَن عرفها واستجار بها أُجير)) . فقلت : يا مولاي , فصف لي موضعها جعلت فداك ! فقال : ((امسح من موضع قبره الآن خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه , ومن ناحية رجليه كذلك , وعن يمينه كذلك وعن شماله , واعلم أنّ ذلك روضة من رياض الجنّة , ومنه معراج الملائكة تعرج فيه إلى السّماء بأعمال زوّاره , وليس ملك في السّموات ولا في الأرض , إلّا وهم يسألون الله عزّ وجلّ في زيارة قبر الحُسين , ففوج منهم ينزل وفوج يعرج إلى يوم القيامة)).

يا جوهر قام الوجود به ... والناس بعدك كلهم عرض
أسهرت عيناً أنت قرتها ... ولهي عليك وليس تغمض
وأتهت قلباً أنت منيته ... القصوى بحزن فيك يعترض

روي : أنّ الصّادق (عليه السلام) أصابه مرض , فأمر مولى أن يستأجر له أجيراً يدعو له بالعافية عند قبر الحُسين (عليه السلام) , فخرج المولى فوجد رجلاً مؤمناً على الباب , فحكى له ما أمر به الصّادق , فقال الرّجل : أنا أمضي , لكنّ الحُسين إمام مُفترض الطّاعة , والصّادق إمام مُفترض الطّاعة , فكيف ذلك ؟! فرجع مولاه وعرّفه بمقالة الرّجل، فقال الصّادق : ((صدق الرّجل في مقالته , لكنّ لله بقاعاً يُستجاب فيها الدُعاء , فتلك البقعة من تلك البقاع , وإنّ الله عزّ وجلّ عوّض الحُسين (عليه السلام) من قتله بثلاثة أشياء ؛ إجابة الدُعاء تحت قُبّته والشّفاء في تُربته والأئمّة من ذُرّيّته)) . :

يا بفعة مات بها سيد ... ما مثله في الناس من سيد

مـــات الهـــدى مـــن بعـــده والنـــدا والعلـــم والحلـــم مـــع الســـؤدد

روي في بعض الأخبار : إنّ رجُلاً صالحاً , قال : رفعت إليّ امرأة غزلاً أبيض , فقالت لي : ادفع هذا الغزل إلى سدنة مكّة , ليخيط بها كسوة الكعبة . فكرهت أن أدفعه إلى الحجبة , فقال (عليه السلام) : ((اشتر به عسلاً وزعفراناً , وخُذ قليلاً من طين قبر الحُسين (عليه السلام) , واعجنه بماء السّماء , واجعل فيه العسل والزّعفران , وفرّقه على أوليائنا المؤمنين ليداووا به مرضاهم)) . ففعلت ما أمرني مولاي , فكلّ مريض أخذ منه شفي بإذن الله تعالى.

فيا إخواني , ما أطيب نشر فضائلهم الفاضلة , وما أعذب ذكر مدائحهم الكاملة , تقدست أنفس امتنعت عليهم من الهجوع , وطهرت أعين أسبلت عليهم شآبيب الدّموع , وظفر بالنّصيب الوافر مَن والاهم , وحصل الشّرف الظّاهر مَن مال عمّن عاداهم ، ما ضرّهم ما تجرّعوه من الآلام , لم تكن لحظة واحدة فيحلّون دار السّلم جوار الملك العلام . فيا عيني سحّي دموعي ويا جفوني وافقي وأطيعي.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مُحمّد السمين (رحمه الله)

بان صـــبري وبان خـــافي شـــجوني واســـتهلت بالـــدمع مـــني جفـــوني
واســـتهلت لمـــا اســـتهلت بـــدمع حـــين جـــادت بـــه شـــؤون شـــؤوني
وقلـــت مقلـــتي الرقـــاد ارتقـــاباً بالســـهي والســـهاد ألـــف عيـــوني
وأستســـرت مســـرت الســـر لمـــا بان خـــوفي مـــن ســـرها المكنـــون
فتبـــدت مصـــونة الحـــزن مـــن قلـــبي المعـــنى المتـــيم المحـــزون
ثمّ قالـــت للطـــرف أبـــرز مـــا كـــان مصـــاناً مـــن دمعـــك المســـجون
واســـتمد الـــدماء أن نفـــد الـــدمع فبالـــدمع أنـــت غـــير ضـــنين
وانـــدب الســـبط في الطفـــوف فريـــداً قـــد تخـــلا مـــن مســـعد ومعـــين
يتمـــنى لكـــي يبـــل غلـــيلاً وشـــربه مـــن مبـــاح مـــاء معـــين
فســـقاه العـــدو كأســـاً دهاقـــا مـــن كـــؤوس الـــردى ومـــاء المنـــون
لهـــف قلـــبي عليـــه وهـــو فـــؤول يهـــدو في قولـــه وســـكون

ويحكـــم لا تهونـــوا بقتـــل حســـين ... فتـــذوقوا طعـــم العـــذاب المهـــين
لا تقولـــوا يـــوم القيامـــة إنا ... مـــا علمنـــا وإنكـــم تجهلـــوني
تعرفـــوني بأنـــني خـــير خلـــق الله ... قـــدماً وآنفـــاً تنكـــروني
تنكـــروني فلـــم بغـــير اجـــترام ... تقتلـــوني وأنـــتم تعرفـــوني
إن جـــدي النّـــبي أشـــرف خلـــق الله ... ذو الفضـــل والفخـــار المبـــين
وأبي المرتضـــى الوصـــي علـــيّ ... وهـــو رب الإمكـــان والتمكـــين
والبتـــول الزّهـــراء بنـــت رســـول الله ... أمـــي لأجلهـــا راقبـــوني
فأجـــابوه قـــد علمنـــا يقينـــاً ... أن هـــذا الكـــلام حـــق اليقـــين
غـــير أنا نـــروم منـــك مرامـــاً ... فاعطيـــاه بالطـــوع يابـــن الأمـــين
قـــل رضـــينا يزيـــد مـــولا وليـــاً ... واليـــاً حاكمـــاً بحـــق مبـــين
فمـــتى قلـــت أنـــت في دعـــة الله ... وحـــرز مـــن بأســـنا بيقـــين
عنـــدما أفحشـــوا الجـــواب اجـــتراءاً ... آب عـــنهم بصـــفقة المغبـــون
ثمّ نادى أهـــل الخيـــام ودمـــع العـــين ... جازيـــة برقـــة وبلـــين
أم كلثـــوم يا ســـكينة يا زينـــب ... يا بنـــت فاطمـــة جـــاوبيني
أنـــت في عـــترتي وفي أهـــل بيـــتي ... وعيـــالي وصـــبيتي تخلفيـــني
ثمّ قـــومي إذا أردت وداعـــاً ... ودعيـــني مـــن قبـــل أن تفقـــديني
إن هـــذا الأوان آن انتقـــالي ... وارتحـــالي وحـــان يا أخـــت حيـــني
أخـــت ابـــني علـــيّ بعـــد وليـــي ... وإمـــام هـــاد لـــدنيا وديـــن
أخـــت صـــبراً صـــبراً فلـــيس يضـــيع ... الله أجـــر الصـــبور والمســـتكين
لا تشـــقي جيبـــاً علـــيّ وابكـــي ... كـــلّ حـــين بفـــيض دمـــع هتـــون
وإذا مـــا مـــررت بالجســـد الملقـــى ... علـــى الأرض شـــاحباً فانـــدبيني
وإذا مـــا تلـــوت نافلـــة الـــذكر ... وصـــلّيت دائمـــاً فـــاذكريني
والعـــني مـــا شـــربت مـــاء فـــرات ... مـــن عـــن المـــاء ظاميـــاً منعـــوني
فأجابتـــه عـــزّ والله مـــا قلـــت ... علينـــا ولـــيس ذاك بهـــون
لـــو قـــدرنا علـــى الفـــداء فـــديناك ... وبأرواحنـــا وبالمخـــزون
وشـــربنا مـــن شـــربك كاســـات ... المنـــايا مـــن كـــف ســـاقي المنـــون

ثمّ لمـــا رأتـــه ملقـــى علـــى الـــترب ... تريـــب الخـــدين دامـــي الجبـــين
صـــرخت صـــرخة وقالـــت أجـــدة ... العـــيس رفقـــاً هنيـــة أوقفـــوني
لأودعـــه كـــي أبـــل غليلـــي ... بـــوداعي منـــه ولا تمنعـــوني
فهـــو روحـــي فـــأين عنـــه رواحـــي ... وهـــو قلـــبي فعنـــه لا تقلبـــوني
وهـــو شخصـــي فـــأين عنـــه شخوصـــي ... فاشخصـــوا ثمّ عنـــه لا تشخصـــوني
وهـــو عـــدلي فـــأين عنـــه عـــدولي ... فاعـــدلوا ثمّ عنـــه لا تعـــدلوني
فأجـــابوا صـــوت الشـــجي بســـوط ... وبضـــرب يبـــدي خفـــي الأنـــين
فاســـتغاثت بجـــدها وأبيهـــا ... وأخيهـــا الزاكـــي الإمـــام المبـــين
بـــدموع علـــى الخـــدود تجـــاري ... مـــن جفـــون قرحـــى وقلـــب حـــزين
ثمّ قالـــت يا مـــوئلي يا مـــآلي ... يا حصـــوني وأيـــن مـــني حصـــوني
آه يا كســـرتي لفقـــد حمـــاتي ... آه يا خـــذلتي لفقـــد معـــين
آه يا حســـرتي ويا طـــول وحـــدي ... أه يا ذلـــتي ويا طـــول هـــوان
جـــدي هـــذا القنـــاع يســـلب مـــني ... ثم بالســـوط بعـــد قنعـــوني
جـــدي هـــذا صـــدر الحُســـين فقـــد ديـــس ... عنـــاداً لـــه بقـــب البطـــون
رضضـــوه بغـــير إفـــراض غســـل ... جـــامع للحنـــوط والتكفـــين
جـــدي هـــذا الكـــريم فـــوق ســـنان ... وســـنان يغلـــه باليمـــين
جـــدي هـــذي الـــرؤوس فـــوق قناهـــا ... وهـــي تهـــدي إلى يزيـــد اللعـــين
جـــدي هـــذي ســـكينة أســـكنوها ... بعـــد دار الأعـــزاز في دار هـــون
والســـبايا علـــى المطـــايا عـــرايا ... مبـــديات لكـــل وجـــه مصـــون
ســـائرات بنـــا بغـــير وطـــاء ... في ســـهول مـــن بيـــدها وحـــزون
وإذا قلـــت للحـــداء رويـــداً ... أزعجـــوا العـــيس عامـــداً وأزعجـــوني
وإذا قلـــت اســـتروني بثـــوب ... ســـلبوني ثـــوبي ومـــا ســـتروني
وإذا قلـــت احجبـــوني عـــن النـــاس ... تعـــدوا كفـــراً ومـــا حجبـــوني
وإذا مـــا شـــكوت ضـــراً وبؤســـاً ... رجمـــوني بغيـــاً ومـــا رحمـــوني
وإلى الله مشـــتكانا ومـــا نلقـــاه ... فيـــه مـــن الأذى والهـــون
يا ذوي البيـــت والمشـــاعر والأركـــان ... والحجـــر والصـــفا والحجـــون
يا ذوي الـــذاريات والطـــور ... والأعـــراف والنحـــل والنســـاء ونـــون

فـــاز مـــن مكـــن اليـــدين مـــن الـــود وفـــــازت يـــــداه بالتمكـــــين
فـــاز بالصـــدق في الـــولاء كمـــا فـــاز بصـــدق الـــولاء نجـــل السـمين
عبـــدكم أهـــدى إلـــيكم نظامـــاً فـــاق في نظمـــه نظـــام الثمـــين
فعلـــيكم مـــن ربكـــم صـــلوات وســـلام في كـــل وقـــت وحـــين

الباب الثّالث

تفكّروا يا إخواني في الدّين ، فيما قدم عليه الأنصار من إخوانكم المؤمنين , لكنّهم ظهر لهم السّر المكنون فعلموا ما كان وما يكون ، ورضوا عن الرّحمن فسمحوا في محبته بالأرواح ، وغضبوا الملك الدّيان فأجادوا في سبيله بالكفاح , آساد غيل غرير عرينها قليل قرينها ، جاهدوا في سبيل ذي الجلال وبذلوا نفوسهم في محاربة أهل الزّيغ والضّلال ، رموهم بالجياد حتّى انطوين , وضربوهم بالسّيوف حتّى انحنين ، وطعنوهم بالرّماح حتّى ارتوين , أو ليس هم القوم الذين إذا دعوا لم يقولوا أين أين ولم يخافوا الحين ، ولا سقطوا بين بين وأين ؟ لكم مثل أنصار مولاكم الحُسين أين ؟ ولله درّ مَن قال فيهم من الرّجال :

هـــم القـــوم أقيـــال مناجيـــد ســـادة مـــذ أو يـــد أبطـــال لهـــا الحـــرب منـــزل
كمـــاة حمـــاة يرهـــب المـــوت بأســـهم ولـــيس لهـــم عـــن حومـــة الضـــرب معـــدل
فكـــم غـــادروا مـــن غـــادر في كريهـــة وكـــم عقلـــوا مـــن كـــافر لـــيس يعقـــل
وحـــادوا وجـــادوا بالنفـــوس أمامـــه وذاك مـــن الجـــود العظـــيم المؤمـــل
وســـادوا فشـــادوا منـــزلاً متطـــاولاً دعائمـــه فـــوق الســـماكين أطـــول
وحـــاموا فحـــاموا دون ســـبط محمـــد إلى أن تـــداعوا للمنـــايا وقتلـــوا
فلهفـــي لهـــم صـــرعى أمـــام إمـــامهم ومـــن دمهـــم وجهـــه الثـــرى متبلـــل
وقـــد نســـجت أيـــدي الـــرياح مـــن الثـــرى لهـــم حلـــلاً مـــن فـــوقهم تتجلـــل
فلـــو أنـــني شـــاهدت مشـــهد كـــربلا وســـيفي بكفـــي كنـــت للـــنفس أبـــذل
وواســـيتهم بالطعـــن والضـــرب والقنـــا فـــذاك المـــنى لـــو أن ذلـــك يحصـــل

روي من طريق الخصم ، وعن أنس بن مالك , قال : قرأ رسول الله (ﷺ) : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ

لّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ ﴾[1]. فقام إليه رجل , فقال : أيّ بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال : ((بيوت الأنبياء)) . فقام الأوّل فقال : يا رسول الله , هذا البيت منها – يعني بيت عليّ وفاطمة – ؟ قال : ((نعم ، من أفاضلها)).

ومن طريقهم أيضاً في الصّحيحين , قال : لـمّا نزل قوله تعالى : ﴿ قُل لاَ أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2] . قالوا : يا رسول الله , ومَن قرابتك التي أوجبت علينا مودتهم ؟ فقال : ((عليّ وفاطمة وابناهما)).

ومن طريقهم أيضاً , ما رواه الفقيه المغازلي الشّافعي , بإسناده عن ابن عبّاس , قال : سُئل النّبي (ﷺ) عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه . فقال : ((سأله بمُحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحُسين إلّا تبت عليّ , فتاب عليه)) . :

آل طـــه يا مـــن بهـــم يغفـــر الله ... ذنـــوبي ومـــا جنتـــه يميـــني
وإمـــامي في يـــوم بعثـــي وأمـــني ... عنـــد خـــوفي في كـــلّ خطـــب وضـــيني
أنتمـــوا قبلـــتي وحجـــي وفرضـــي ... وصـــلاتي وأصـــل نســـكي وديـــني
مـــن تمســـك بكـــم وأم إلـــيكم ... قـــد نجـــا والتجـــا بحصـــن حصـــين
لا أبالي وإن تعـــاظم ذنـــبي ... يـــوم بعثـــي لكـــن يقيـــني يقيـــني
كـــل عـــزى بـــين الأنام وفخـــري ... يـــوم أخشـــى بابكـــم تقبلـــوني
أنا مـــنكم لكـــم بكـــم والـــيكم ... فـــرط وجـــدي وذا حنـــين أنيـــني
فعلـــيكم مـــن الإلـــه صـــلاة ... كلمـــا ناح طـــائر بالغصـــون

يا إخواني , مَن علق بحبّهم سلم , والتجأ إلى كهف عزّهم ربح وغنم , ومَن اقتفى أثرهم حصل على سواء الطّريق، ومَن تنكّب عن سمتهم وقع في المضيق بالتّحقيق , إذا أحبّ الله عبداً القى حجّتهم عليه ، وإن أبغض عبداً ألقى الشّيطان بغضهم إليه ، فمحبّتهم المقرّبة إلى الملك العلام , المؤدّية إلى أعظم المرام , لا تحصل بمجرّد الكلام ما لم تفترق بإعتقاد يحصل به برد الإيمان , وتشبّ به على مصابهم نيران الأحزان.

روى قتادة : أنّ أروى بنت الحارث بن عبد الملك , دخلت على معاوية بن أبي سفيان وقد قدم المدينة – وهي عجوز كبيرة – , فلمّا رآها معاوية , قال : مرحباً بك يا خالة , كيف كنت بعدي ؟ قالت : كيف أنت يابن أختي , لقد كفرت النّعمة وأسأت لابن عمّك الصّحبة , وتسمّيت بغير اسمك

---

(1) سورة النّور / 36 – 37.

(2) سورة الشّورى / 23.

, واخذت غير حقّك بلا بلاء كان منك ولا من آبائك في ديننا , ولا سابقة كانت لكم , بل كفرتم بما جاء به مُحمّد (ﷺ) , فانغس الله الخدود , وأصغر منكم الخدود , وردّ الحقّ إلى أهله ، فكانت كلمتنا هي العليا , ونبينا هو المنصور على مَن ناواه ، فوثبت قُريش علينا من بعده حسداً لنا وبغياً , فكنّا بحمد الله ونعمته , أهل بيت فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان سيّدنا فيكم بعد نبيّنا (ﷺ) , بمنزلة هارون من موسى ، غايتنا الجنّة وغايتكم النّار.

فقال لها عمرو بن العاص : كفّى أيّتها العجوز الضّالة , واقصري من قولك مع ذهاب عقلك , إذ لا تجوز شهادتك وحدك . فقالت : وأنت يا بن الباغية , تتكلّم وأُمّك أشهر بغي بمكّة وأقلّهم أجرة , وادعاك خمسة من قُريش , فسألت أُمّك عن ذلك , فقالت : كلّ أتاها . فانظروا أشبههم به فالحقوه به , فغلب شبه العاص بن وايل جزار قُريش , ألأمهم مكراً وأبهتهم خبراً , فما ألومك ببغضاً.

قال مروان بن الحكم : كفّى أيّتها العجوز واقصدي لما جئت له . فقالت : وأنت يابن الزّرقاء تتكلّم , والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبه منك بالحكم بن العاص , وقد رأيت الحكم سبط الشّعر مديد القامة , وما بينكما قرابة إلّا كقرابة الفرس الضّامر من الأتان المقرف ، فاسأل عمّا أخبرتك به أُمّك , فإنّها ستخبرك بذلك.

ثمّ التفتت إلى معاوية , فقالت : والله , ما جرّأ هؤلاء غيرك , وإنّ أُمّك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات السعر

إلى آخر الأبيات , فأجابتها ابنة عمّي :

خزيت في بدر وغير بدري يا بنت وقاح عظيم الكفر

إلى آخر الأبيات.

فالتفت معاوية إلى مروان وعمرو , وقال : والله , ما جرّأها عليّ غيركما , ولا أسمعني هذا الكلام سواكما ، ثمّ قال : يا خالة , اقصدي ودعي أساطير النّساء عنك . قالت : تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار . قال : ما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوّج فقراء بني الحارث بن عبد المُطلب . قال : هي لك ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أستعين بها على شدّة الزّمان وزيارة بيت الله الحرام . قال : قد أمرت بها لك . قال : فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت :

أشتري بها عيناً خرّارة في أرض خوّارة , تكون لفقراء بني الحارث بن عبد الملك . قال : هي لك يا خالة ، أما والله لو كان ابن عمّك على ما أمر لك بها . قالت : تذكر عليّاً فضّ الله فاك وأجهد بلاك . ثمّ علا نحيبها وبكاؤها وجعلت تقول :

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا فابكي أمير المؤمنينا

رزينا خير من ركب المطايا ... وجال بها ومن رب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمبينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا

ألا فابلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الخلق طراً أجمعينا

مضى بعد النّبي فدته نفسي ... أبو حسن وخير الصالحينا

كأن الناس إذ فقدوا علياً ... نعام جال في بلد سنينا

فلا والله لا أنسى علياً ... وحسن صلاته في الراكعينا

لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

فلا يفرح معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا

قال : فبكى معاوية ثمّ قال : يا خالة , لقد كان كما قُلت وأفضل.

فانظروا يا إخوان الدّين إلى هؤلاء الكفرة الملاعين , يعترفون بالحقّ ويرغبون عنه , ويتطلّعون إليه ويفرّون منه , استحوذ عليهم الشّيطان فسلك بهم في أودية الهوان , وقادتهم أزمّة الباطل وأرخت لهم العنان , فباءوا بالخيبة والخسران واستحقّوا عذاب النّيران : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

روي عن بعض الصّادقين , أنّه قال : دخلت إلى جامع بني أُميّة لأُصلّي صلاة الصّبح , وإذا أنا برجل من بني أُميّة جاء ووقف يصلّي قريباً منّي , فلمّا طأطأ رأسه للسجود , سقطت عمامته عن رأسه , فإذا رأسه ووجهه كرأس الخنزير وشعره كشعر الخنزير , فلمّا نظرته , طار عقلي وطاش لبّي , ولم اعلم ما صلّيت ولا ما قلت في صلاتي , فلمّا فرغ من الصّلاة , تنفّس الصّعداء وقال : لا حول ولا قوة إلّا بالله ، يا أخي , إنّي أخبرك بقصّتي وأظهرك على حالي. ثمّ إنّه كشف عن رأسه ونزع قميصه , فإذا رأسه ووجهه كالخنزير , وبدنه وشعره مثل جلد الخنزير , فتعجبت منه وقلت له : ما الذي أرى

---

(1) سورة النّحل / 118.

بك من البلاء ؟ فقال : اعلم أنّي كنت مؤذّناً لبني أُميّة , وكنت كلّ يوم العن عليّ بن أبي طالب ألف مرّة بين الأذان والإقامة , وإذا كان يوم الجُمُعة العنه أربعين ألف مرّة , فبينما أنا نائم ليلة الجُمُعة , رأيت في منامي كأنّ القيامة قد قامت , ورأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّاً والحسن والحُسين وماء الكوثر مترع , وبيد الحسن (عليه السلام) إبريق من نور , وبيد الحُسين (عليه السلام) كأس من نورهما , يسقيان النّاس كافّة وأنا في عطش شديد , فدنوت من الحُسين (عليه السلام) وقلت له : اسقني يابن رسول الله . فقال لي : ((ستشرب من حميم جهنّم)) . فقال له النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((لِمَ لا تسقيه ؟)) . فقال : ((يا جدّاه , كيف اسقيه وهو يلعن أبي كلّ يوم ألف مرّة ؟)) . فالتفت إليّ النّبي (صلى الله عليه وآله) , وقال لي : ((ما لك يا لعين يا شقي ! أتلعن أخي وخليفتي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب ؟!)) . ثمّ بصق في وجهي , وقال : ((غيّر الله ما بك من نعمة)) . فانتبهت من منامي مرعوباً وإذا هو قد مُسخ كما ترى , وصار عبرة لمن يسمع ويرى , وأنا أحمد الله تعالى مما كان منّي , ووالیت عليّ بن أبي طالب وتبرأت من أعدائه . :

أيا مـــن هـــم فلـــك النجـــاة ومـــن هـــم ... هـــــداة وغـــــوث لـــــلأنام وجـــــود
ولـــــولاهم مـــــا كـــــان نـــــور ولا دجـــــا ... ظـــــلام ولا للخلـــــق كـــــان وجـــــود
علـــــيكم ســـــلام الله حيـــــث ثنـــــاءكم ... حكـــــى نشـــــره نـــــداً يضـــــوع وعـــــود
وحيـــــث بكـــــم هبـــــت نســـــيم ونســـــمة ... هبـــــوب وللعيـــــدان رنـــــح عـــــود
وأزهـــــر مـــــن زهـــــر الـــــبروج زواهـــــر ... وورد مـــــن زهـــــر المـــــروج ورود

فالويل الدّائم لمن عاداهم ! والخيبة لمن ضلّ عن هُداهم وما والاهم !

روي : أنّه دخل أبو أمامة الباهلي على معاوية , فقرّبه وأدناه ثمّ دعا بالطّعام ، فجعل يطعم أبا أمامة بيده , ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده , وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه , ثمّ قال : يا أبا أمامة , أبالله أنا خير أم عليّ بن أبي طالب ؟ فقال أبو أمامة : نعم ولا كذب , ولو بغير الله سألتني لصدقت ، عليّ والله خير منك وأكرم , وأقدم إسلاماً وأقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة , وأشدّ في المُشركين نكاية ، وأعظم عند الأُمّة غناء , أتدري مَن عليّ يا معاوية ؟ عليّ ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين ، وأبو الحسن والحُسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، وابن أخي حمزة سيّد الشّهداء , وأخو جعفر ذي الجناحين ، فأين تقع أنت من

هذا يا معاوية ؟! أظننت أنّي اخترك على عليّ بألطافك وإطعامك وعطائك , فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً، بئس ما سوّلت لك نفسك يا معاوية ! ثمّ نهض وخرج من عنده , فاتبعه بالمال , فقال : لا والله , لا أقبل منك ديناراً واحداً.

فهذه هي المحبّة النّاصحة والمودّة الرّائقة الخالصة ، وعلى مثل أهل البيت فليبك الباكون ، وإيّاهم فلينـدب النّادبون، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

ألا مـــا لجفـــني بالســـهاد توكـــل ... وقلـــبي لأعبـــاء الهـــوى يتحمـــل

ومـــا بال عيـــني لـــيس ترقـــى دموعهـــا ... وقلـــبي بعـــبء الســـم يـــذوي فينحـــل

ولم يشـــجني فقـــد الأنـــيس ولم أطـــل ... وقـــوفي علـــى الربـــع الـــدريس فأســـأل

ولا قلـــت للحـــادي ترفـــق هنيئـــة ... وللركـــب لمـــا ســـار أيـــن ترحـــل

ولم ارتقيـــت طيـــف الخيـــال مـــن الكـــرى ... ولا أنا ممـــن بالمـــنى يتعلـــل

ولكـــن شـــجتني عصـــبة علويـــة ... تـــداعوا جميعـــاً بالفـــتى ثمّ قتلـــوا

لهـــم طـــال حـــزني وأســـكنت أظـــالعي ... علـــى جمـــرة في عشـــرة عاشـــور تشـــعل

ولم أنـــس مـــولاي الحُســـين وقـــد غـــدا ... يـــودع أهليـــه ويوصـــي ويعجـــل

ينـــادي ألا يا أهـــل بيـــت محمـــد ... أصـــيخوا لمـــا أوصـــيكموا وتقبلـــوا

علـــيكم بتقـــوى الله لا تتغـــيروا ... لعظـــم رزاياكـــم ولا تتبـــدلوا

ودومـــوا علـــى أعمـــالكم وابتهـــالكم ... وقومـــوا إذا جـــن الـــدجى وتقبلـــوا

وإن نابكـــم خطـــب فـــلا تتضعضـــوا ... لوقـــع الـــرزايا واصـــبروا وتحملـــوا

وفاطمـــة الصـــغرى تقـــول لاختهـــا ... هلمـــي إلى التوديـــع فـــالأمر مهـــول

أرى والـــدي يوصـــي بنـــا اخواتـــه ... وعينـــاه مـــن حـــزن تفـــيض وتهمـــل

وتـــدعو ألا يا ســـيدي بلـــغ العـــدا ... بنـــا مـــا تمنـــوا في النفـــوس واملـــوا

فيحنـــوا عليهـــا باكيـــاً ويضـــمها ... ويـــدني إليـــه وجههـــا ويقبـــل

ومـــر إلى حـــرب الطغـــاة ولم يـــزل ... يفلـــق هامـــات العـــدى ويقلّـــل

إلى أن هـــوى فـــوق الـــتراب مجـــدلا ... قتـــيلاً وراح المهـــر ينعـــي ويعـــول

فقمـــن النســـاء الفاطميـــات ولهـــاً ... فأبصـــرن منـــه مـــا يســـوء ويـــذهل

وخـــــرت عليـــــه زينـــــب مســـــتغيثة ومعجرهـــــا مـــــن نحرهـــــا متبلـــــل
وتشـــــكو إلى الزّهـــــراء فـــــاطم حالهـــــا وتنـــــدب ممـــــا نالهـــــا وتولـــــول
أيا أم قـــومي مـــن ثـــرى القـــبر وانظـــري حبيبـــك ملقـــى في الثـــرى لا يغســـل
تـــرى هـــل شـــهدت اليـــوم يا بنـــت أحمـــد وخـــيري مكســـور وعـــزي مـــذلل
وهـــل أنـــت يا ســـت النســـاء عليمـــة بأنا حيـــــارى نســـــتجير ونســـــأل
وهـــل لـــك علـــم مـــن علـــيّ بأنـــه أســـير عليـــل في القيـــود مغلـــل
علمـــتم ومـــا أعلمتمـــونا برزئنـــا وحملتمـــونا اليـــوم مـــا لـــيس يحمـــل
فيـــا حســـرة لا تنقضـــي ومصـــيبة لقـــد نزلـــت بالنـــاس دهيـــاء معضـــل
ويا عثـــرة للـــدهر لينـــت مقالـــة ويا صـــفقة مغبونهـــا متزلـــزل
أيشـــتهر الـــرأس الســـماوي في القـــنى ويهـــدي إلى الـــرجس اللعـــين ويحمـــل
وتســـبى بنيـــات الرّســـول حواســـر وينهـــرهن المـــارق المتنحـــل
ويعنـــف الســـجاد وهـــو ممـــرض عليـــل بأصـــفاد الحديـــد مثقـــل
وينظـــر في تلـــك الوجـــوه الـــتي لهـــا تـــدين البـــدور المشـــرقات وتخجـــل
وتلـــك الأنـــوف الشـــامخات برغمهـــا تهتـــك مـــا بـــين المـــلأ وتبـــذل
ولم يعجـــل الله العـــذاب لمعشـــر أراقـــوا دمـــاء الـــمُصطفى وتأولـــوا
لقـــد أورثتنـــا قتلـــة الطـــف قرحـــة وحـــزناً علـــى مـــرّ الزمـــان مطـــول
فـــلا حزنـــه يســـلي ولا الوجـــد نازح ولا مـــدمعي يرقـــى ولا الجـــرح يـــدمل
ألا يا بـــني المختـــار يا مـــن بحـــبهم إلى الله فيمـــا نابـــني أتوســـل
خـــذوا بيـــد العبـــد الخليعـــي في غـــد فقـــد فـــاز مـــن أضـــحى علـــيكم يعـــول
وأفلـــح مـــن والاكـــم متـــبرء إلى الله مـــن قـــوم أضـــاعوا وبـــدلوا

المجلس الخامس

في الليلة الثّالثة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها الإخوان , دعوا التّشاغل عن الأهل والأوطان ، وتفكّروا فيما أصاب سادات الزّمان , الذين بموالاتهم استحققتم دخول الجنان , فلو أنصف المُحبّ الولهان لأُضرمت في جسمه نيران الأحزان ، ولو صدق في المحبّة العشّاق ما شجوا بالدّمع المهراق , ولعجّلوا السّماح بالأرواح يوم التّلاق.

فلو تلفت نفس من شدّة الأحزان , لتلفت نفس محبّهم عليهم , ولو تفتت كبده من شدّة الأشجان , لتفتت أكباد مواليهم بالنّسبة إليهم . وهيهات هيهات لا وفاء للأحباء بعد الممات ، أو ما بلغكم مقال الحُسين (عليه السلام) وهو يُنادي على رؤوس الأشهاد , وما لاقاه به أهل الزّيغ والفساد , حيث أظهروا له العناد وأجابوه بخلاف ما طلب وأراد ، أسرعوا فيه وفي بنيه وبني أبيه النّبال ، فصرعوهم على الآكام والرّمال ، فهم مُلقون على غير فراش ولا مهاد ، ولا وطأ ولا وساد ، تهبّ عليهم الصّبا والدّبور , وتغدوا عليهم العقبان والنّسور ، ولله درّ بعض محبّيهم حيث قال فيهم :

ليبك على الإسلام من كان باكياً ... فقد ضيعت أحكامه واستحلت

غداة حسين والرماح رمية ... وقد نهلت منه السيوف وعلت

وغودر في الصحراء لحماً مبدداً ... عليه عتاق الطير باتت وظلت

فما نصرته أُمة السوء إذا دعا ... لقد طاشت الأحلام منها وظلت

ولكـــــن محـــــوا أنـــــوارهم بأكفهـــــم فـــلا ســـلمت تلـــك الأكـــف وشـــلت
أذاقتـــــه حـــــر القتـــــل أُمـــــة جـــــده هفـــــت نعلهـــــا في كـــــربلاء وزلـــــت
فـــــلا قـــــدس الـــــرحمن أُمـــــة جـــــده وإن هـــــي صـــــامت للإلـــــه وصـــــلت
كمـــا فجعـــت بنـــت الرّســـول بنســـلها وكـــانوا حمـــاة الحـــرب حـــين اســـتقلت

روي عن أُمّ سلمة زوجة النّبي (صلى الله عليه وآله) , قالت : دخل عليّ رسول الله ذات يوم , ودخل في أثره الحسن والحُسين (عليهما السلام) وجلسا إلى جانبيه , فأخذ الحسن على ركبته اليُمنى , والحُسين على ركبته اليُسرى , وجعل يُقبّل هذا تارة وهذا أُخرى ، وإذا بجبرائيل قد نزل وقال : يا رسول الله , إنّك لتحبّ الحسن والحُسين . فقال : ((وكيف لا أحبّهما وهما ريحانتاي من الدّنيا وقرّتا عيني ؟)) . فقال جبرائيل : يا نبي الله , إنّ الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له . فقال: ((وما هو يا أخي ؟)) . فقال : قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً , وعلى هذا الحُسين أن يموت مذبوحاً ، وإنّ لكُلّ نبي دعوة مستجابة , فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحُسين , فادع الله أن يسلّمهما من السّم والقتل ، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعُصاة من أُمّتك يوم القيامة . فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((يا أخي جبرائيل , أنا راض بحكم ربّي لا أريد إلّا ما يريده ، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أُمّتي , ويقضي الله في ولدي ما يشاء)).

وروي : أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) كان ذات يوم جالساً , وحوله عليّ وفاطمة والحسن والحُسين (عليهم السلام) , فقال لهم : ((يا أهل بيتي , كيف لي بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتى ؟)) . فقال له الحُسين (عليه السلام) : ((يا جدّي , نموت موتاً أو نُقتل قتلاً ؟)) . قال : ((يا بُني , بل تُقتل ظُلماً وعُدواناً , وتشرّد ذراريكم في الأرض شرقاً وغرباً)) . فقال الحُسين : ((ومَن يقتلنا يا جد ؟)) . فقال : ((يقتلكم أشرار النّاس)) . قال : ((فهل يزورنا بعد قتلنا أحد من أُمّتك ؟)) . فقال : ((نعم , طائفة من أُمّتي يزورون قبوركم ويبكون عليكم ويندبون وينوحون ؛ حزناً على مصابكم ؛ يُريدون بذلك برّي وصلتي , فإذا كان يوم القيامة , جئتهم إلى الموقف فآخذ بأعضادهم فأخلّصهم من أهوال يوم القيامة وشدائدها)) . :

عجبـــــاً لمصـــــقول أصـــــابك حـــــده في الـــــرأس منـــــك وقـــــد عـــــلاه غبـــــار
لم لا تقطعـــــــت الســـــــيوف بأســـــــرها حـــــــزناً عليـــــــك وطنـــــــت الأو

فويل لأولئك الكفرة اللئام ! أما علموا أنّه أشرف المقول والأحلام ؟ أليس هو ممّن باهل الله به أهل نجران صغيراً؟ وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا ﴾[1] . فضمّه مع أبيه وأُمّه وأخيه , فوصف بالكمال وأن يبلغ مبالغ الرّجال.

روي عن الليث بن سعد , قال : إنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) كان يُصلّي في فئة من أصحابه , وكان الحُسين (عليه السلام) صغيراً جالساً بالقرب منه , فلمّا سجد النّبي , قام الحُسين وركب على ظهره , فصار النّبي يُطيل الذّكر في سجوده , فإذا أراد النّبي أن يرفع رأسه , أخذه أخذاً رفيقاً ووضعه إلى جانبه , فإذا سجد عاد الحُسين على ظهره , ولمّا يفعل هكذا حتّى فرغ النّبي من صلاته , وكان رجل يهودي واقفاً ينظر ما يصنع الحُسين بجدّه رسول الله ، فقال اليهودي : يا مُحمّد , إنّكم لتفعلون بصبيانكم شيئاً لم نفعله نحن ! فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((لو أنّكم تؤمنون بالله وبرسوله , لرحمتم الصّبيان الصّغار)) . فقال اليهودي : ما أحسن سجيتك وما أحسن خُلقك . ثمّ إنّه أسلم على يد رسول الله لـمّا رأى كرم أخلاقه مع جلالة قدره.

ومن طرقهم : أنّ الحُسين (عليه السلام) كان يركب على ظهر جدّه في بعض صلاته , فيبلغ به التّعظيم للحُسين أن يُطيل الذّكر في سجوده إلى أن ينزل الحُسين عن ظهر جدّه باختياره , فإذا فرغ النّبي من صلاته , يأخذه إليه ويجلسه على ركبتيه , ويقبّله ويرشف ثناياه ويضمّه إلى صدره ، فقال له بعض الأنصار : يا رسول الله , إنّ لي ابناً قد نشأ وكبر وما قبّلته قط . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((أرأيت كان الله قد نزع الرّحمة من قلبك , فما أصنع بك ؟ مَن لم يرحم صغيراً ولم يوقّر كبيراً , فليس منّا في شيء)) . ثمّ قال : ((مَن لا يَرحم لا يُرحم)) . :

يا أُمـــــة قتلـــــت حســـــيناً عنـــــوة ... لم تـــــرع حـــــق الله فيـــــه فتهتـــــدي

قتلـــوه يـــوم الطـــف طعنـــاً بالقنـــا ... وبكـــل بـــيض صـــارم ومهنـــد

ولطـــال مـــا ناداهـــم بكلامـــه ... جـــدي النّـــبي خصـــيمكم في المشـــهد

جـــدي النّـــبي وأبي علـــيّ فـــاعلموا ... والفخـــر فاطمـــة الزكيـــة محتـــدي

يا قـــوم إن المـــاء يشـــربه الـــورى ... ولقـــد ظمئـــت وقـــل منـــه تجلـــدي

قـــد شـــقني عطشـــي وأقلقـــني الـــذي ... ألقـــاه مـــن ثقـــل الحديـــد الموتـــد

قـــالوا لـــه هـــذا عليـــك محـــرم ... حـــتّى تبـــايع للبغـــي الأســـود

---

(1) سورة الإنسان / 8.

فـــأتاه ســـهم مـــن يـــد مشـــؤومة مـــن قـــوس ملعـــون خبيـــث المولـــد

يا عـــين جـــودي بالـــدموع وجـــودي وابكـــي الحُســـين الســـيد ابـــن الســـيد

روي عن عبد الله بن عمر , قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطب على المنبر , إذ أقبل الحُسين من عند أُمّه وهو طفل صغير , فوطأ الحُسين (عليه السلام) على ذيل ثوبه فكبى وسقط على وجهه فبكى , فنزل النّبي إليه وضمّه إلى صدره وسكّته من البكاء ، وقال : ((قاتل الله الشّيطان ! إنّ الولد لفتنة ، والذي نفسي بيده , لـمّا كبى ابني هذا , رأيت كأنّ فؤادي قد وهى منّي)) ؛ لأنّه (صلى الله عليه وآله) كان رحيم القلب سريع الدّمعة , كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيم ﴾[1].

وعن أبي السّعادات , قال : خرج النّبي (صلى الله عليه وآله) من بيت عائشة , فمرّ على باب دار ابنته فاطمة الزّهراء (عليها السلام) , فسمع الحُسين يبكي , فقال لها : ((يا فاطمة , سكّتيه ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني ؟)) . أخذه إليه ومسح الدّموع عن عينيه , وقبّله وضمّه إليه (صلوات الله وسلامه عليه) ، فكيف ولو رآه مُلقى على الرّمضاء مذبوحاً من القفا , مرمّلاً بالدّماء يتلظّى من الظّماء , والشّمر جاث على صدره وأولغ السّيف في نحره , وهو يستغيث فلا يُغاث، ويستجير فلا يُجار ؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ولقد صدق فيما قال (لسان الحال) :

ومـــا حيلـــة المضـــني وقـــد شـــط إلفـــه وحـــال التنـــائي دون نيـــل مـــراده

هـــو الشـــوق لا دمـــع يضـــن وكوفـــه إذ ضـــن وكـــاف الحيـــا بعهـــاده

وزفـــرة أشـــجان يكـــاد مرورهـــا يـــذيب الحصـــى مـــن حـــره واتقـــاده

روي عن الإمام جعفر الصّادق (عليه السلام) , قال : ((مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بكربلاء , فبكى حتّى اغرورقت عيناه بالدّموع , وقال : هذا مناخ ركابهم ، هذا ملقى رحالهم , ها هُنا تُراق دماؤهم ، طوبى لك من تربة عليها تُراق دم الأحبّة ، مناخ ركاب ومنازل شهداء لا يسبقهم مَن كان قبلهم ولا يلحقهم مَن كان بعدهم)).

فيا إخواني , كيف لا يستحقّون هذه الأوصاف من صاحب الأعراف ؟ وقد وقوا ولده بأنفسهم من مصارع الهوان ، وعرضوا أرواحهم دونه للحدثان ، فوا حسرتاه على تلك الجسوم المرمّلة بالدّماء ! ويا لهفتاه على تلك الأفواه اليابسة من الظّماء ! حسدوهم على الكمال ، وجلّ وعلا مجّدهم أن ينال فأخذوا في تحصيل الفرص

---

(1) سورة الأحزاب / 43.

فما أمكنتهم ، جرّعوهم الغصص فخالفوا في أفعالهم الملك الجليل , فضلّوا عن الإهتداء إلى سواء السّبيل ، فالويل لمن شفعاؤه يوم القيامة خصماؤه , ومن خصماؤه يوم القيامة شفعاؤه ! وما ضرّهم ما تجرّعوه من الغصص والآلام ما هي إلّا لحظة واحدة , وإذا هم في دار السّلام وجوار الملك العلام , ولله درّ مَن قال فيهم من بعض محبّيهم :

هنيئـــاً لكـــم روح الجنـــان وطيبهـــا نعيمـــاً مقيمـــاً دائمـــاً يتجـــدد
ديار مـــن اليـــاقوت والأرض فضـــة وخيمـــات مرجـــان وفيهـــا محمـــد
وأنهارهـــا خمـــر ومســـك ترابهـــا وفيهـــا قصـــور لؤلـــؤ وزبرجـــد
وأشـــجارها مملـــؤة مـــن ثمارهـــا وأطيارهـــا مـــن فوقهـــا تتغـــرد

روي : أنّه لـمّا ثقل رسول الله في مرضه والبيت غاص بمن فيه , قال : ((ادعوا إليّ الحسن والحُسين)) . قال : فجعل يلثمهما حتّى أُغمي عليه , قال : فجعل عليّ يرفعهما عن وجه رسول الله , ففتح النّبي عينيه وقال : ((دعهما يتمتعان منّي وأتمتع منهما , فإنّهما سيصيبهما بعدي أثرة)) . ثمّ قال : ((أيّها النّاس , قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّتي , سيصيبهما بعدي أثرة)) . ثمّ قال : ((أيّها النّاس , قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّتي وعترتي أهل بيتي , فالمُضيع لكتاب الله كالمُضيع لسنّتي , والمُضيع لسنّتي كالمُضيع لعترتي)).

وعن ابن عبّاس في حديث أُمّ الفضل بنت الحارث , حين أدخلت حُسيناً على رسول الله , فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكى وأخبرها بمقتله , إلى أن قال : ثمّ هبط جبرائيل (عليه السلام) في قبيل من الملائكة , قد نشروا أجنحتهم يبكون حزناً منهم على الحُسين (عليه السلام) , وجبرائيل معه قبضة من تُربة الحُسين تفوح مسكاً أذفر , فدفعها على الحُسين (عليه السلام) , وقال : يا حبيب الله , هذه تربة ولدك الحُسين بن فاطمة , وستقتله اللعناء بأرض كربلاء . قال , فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((حبيبي جبرائيل , وهل تفلح أُمّة تقتل فرخي وفرخ ابنتي ؟)) . فقال جبرائيل : لا , بل يضربهم الله بالإختلاف , فتختلف قلوبهم وألسنتهم إلى آخر الدّهر . وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فلينـدب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مُحمّد بن السّمين

دمـــــع عـــــين يجـــــود غـــــير نحيـــــل وغـــــرام يقـــــوى بجســـــم نحيـــــل
مـــــاء عـــــين لم يطـــــف حـــــر غـــــرام وعليـــــل فيـــــه شـــــفاء عليـــــل
كيـــــف يشـــــقى الفـــــؤاد مـــــن ألم الحـــــزن وداء بـــــين الضـــــلوع دخيـــــل
وجـــــو الحـــــزن لا يـــــزال مقيمـــــاً فيـــــه والصـــــبر مـــــؤذن بالرحيـــــل
أيـــــن صـــــبري إذا ذكـــــرت قتيـــــل الطـــــف ملقـــــى أكـــــرم بـــــه مـــــن قتيـــــل
مـــــا ذكـــــرت القتيـــــل إلّا وســـــالت عـــــبرتي في الخـــــدود كـــــل مســـــيل
وذكـــــى الوجـــــد في الفـــــؤاد وشـــــبت نار حـــــزني ولـــــوعتي وعـــــويلي
لســـــت أنســـــاه في الطفـــــوف ينـــــادي جيلـــــه الأكـــــرمين أكـــــرم جيـــــل
وينـــــادي عيالـــــه أخـــــت : قـــــومي لـــــوداعي مـــــن قبـــــل وشـــــك الرحيـــــل
أخـــــت : أوصـــــيك في العيـــــال جميـــــلا وتلقـــــي الـــــبلا بصـــــبر جميـــــل
نحـــــن قـــــوم إذا بلينـــــا بأمـــــر نتلقـــــاه بالرضـــــى والقبـــــول
ثم أبـــــدأ عـــــذراً وقـــــال مقـــــالاً واضـــــحاً بينـــــاً لأهـــــل العقـــــول
أيهـــــا النـــــاس قـــــد علمـــــتم بأني للنـــــبي الأمـــــي خـــــير ســـــليل
وأبي المرتضـــــــى وربي ارتضـــــــاه لهـــــداه فمـــــا لـــــه مـــــن مثيـــــل
والبتـــــول الطهـــــر الزكيـــــة أُمـــــي خـــــير أُم أكـــــرم بهـــــا مـــــن بتـــــول
راقبـــــوا الله واسمعـــــوا مـــــا أتانا في الوصـــــايا علـــــى يـــــدي جبريـــــل
واحـــــذروا زلـــــة الفعـــــال وخـــــافوا عثـــــرات ومـــــا لهـــــا مـــــن مقيـــــل
فـــــأبى الأشـــــقياء إلّا عـــــدولا عنـــــه في البغـــــي مـــــا لـــــه مـــــن عـــــدول
عنـــــدها قـــــال للمواســـــين قومـــــوا أيهـــــا القـــــوم للثـــــواب الجزيـــــل
قـــــاتلوا القـــــوم ســـــاعة ثمّ قيلـــــوا في ظـــــلال الجنـــــان خـــــير مقيـــــل
فأجـــــاب النـــــداء كـــــلّ نجيـــــب طيـــــب النجـــــر رب أصـــــل أصـــــيل
فـــــأحبوا كـــــره الفنـــــا وأجـــــابوا داعـــــي الله للبقـــــا الطويـــــل
وغـــــدا بعـــــدهم فريـــــداً ينـــــادي هـــــل معـــــين لأهـــــل بيـــــت الرســـــول
فـــــأعينوا ولم يعينـــــوه وأردوه بســـــمر القنـــــا وبـــــيض النصـــــول
وغـــــدا المهـــــر باكيـــــاً ينـــــدب الســـــبط ويبـــــدي بكـــــاءه بالصـــــهيل

فـــرأى النســـوة الكـــرائم بـــدر الـــتم ... قـــد غيبتـــه حجـــب الأفـــول
وهـــو ملقـــى علـــى ثـــرى الأرض في البيـــداء ... قـــد رضضـــته أيـــدي الخيـــول
أســـفي للنســـاء ينـــدبن نـــدباً ... بغـــرام مـــن الأســـى مشـــغول
وينـــادين جـــدهن رســـول الله ... يا خـــير مرســـل ورســـول
لـــو تـــرانا يا جـــدنا قـــد فقـــدنا ... نعـــم مـــولى لنـــا وخـــير كفيـــل
وغيـــاث العبـــاد إن أجـــدب الـــدهر ... وخصـــب الـــبلاد عنـــد المحـــول
لـــو تـــرانا ونحـــن بـــين أســـير ... وجـــريح دامـــي وبـــين قتيـــل
قتلـــوا كـــلّ ماجـــد وكـــريم ... ســـيّد مـــن شـــبابنا وكهـــول
أو تـــرى ابنـــك العليـــل أســـيراً ... زدت حـــزناً علـــى الأســـير العليـــل
أو تـــرى أوجهـــاً فقـــدن وجيهـــاً ... كـــلّ وجـــه لنـــاظر مبـــذول
وكســـينا لمـــا ســـلبن لباســـاً ... مـــن هـــوان وذلـــة وخمـــول
أو تـــرانا ونحـــن نســـري أســـارى ... في حـــزون مـــن الفـــلا وســـهول
أو تـــرانا والـــرؤوس وهـــي أمـــام الركـــب ... فـــوق الرمـــاح بـــين الحمـــول
كنـــت جاهـــدت دوننـــا بمـــواض ... ورمـــاح خطيـــة ونصـــول
غـــير يا جـــد أننـــا قـــد سمعنـــا ... هـــاتف الجـــن بـــين تلـــك الطلـــول
ينـــدب الســـبط باكيـــاً وحزينـــاً ... ثمّ يبـــدي نظـــام ســـعر مقـــول
أيهـــا القـــاتلون ظلمـــاً حســـيناً ... أبشـــروا بالعـــذاب والتنكيـــل
كـــل أهـــل السّـــماء تـــدعوا علـــيكم ... مـــن مليـــك ومرســـل وقبيـــل
قـــد لعنـــتم علـــى لســـان ابـــن داود ... وموســـى وصـــاحب الإنجيـــل
يا لهـــا مـــن مصـــيبة عمـــت الإســـلام ... شـــؤماً وخطـــب أمـــر جليـــل
يا لهـــا محنـــة ولم يـــنج منهـــا ... غـــير نـــزر مـــن الأنام قليـــل
آل ياســـين ســـدتم الخلـــق طـــراً ... وسمـــوتم أعـــلا العـــلا الأثيـــل
وحللـــتم أسمـــا ســـماء المعـــالي ... فســـمى شـــأن قـــدرها بالحلـــول
وكـــرمتم عناصـــراً ونجـــاراً ... فزكـــى فـــرعكم لطيـــب الأصـــول
جـــدكم للهـــدى مدينـــة علـــم ... وأبـــوكم للعلـــم باب الـــدخول
فلهـــذا والله لـــو لا هـــديكم ... مـــا اهتـــدينا إلى ســـواء الســـبيل

فهـــديكم هـــو الـــدليل وقـــد قـــام بهـــذا الـــدليل صـــدق الـــدليل
وولاكـــم فـــرض بـــه قـــد أتتنـــا بينـــات التنزيـــل والتأويـــل
مـــن تلقـــى الـــولا بحســـن قبـــول تتلقونـــه بحســـن القبـــول
تســـكنوه وقـــد نجـــى مـــن حمـــيم تحـــت ظـــل مـــن الجنـــان ظليـــل
حـــبكم جنـــة لـــه وولاكـــم جنـــة مـــن عـــذاب يـــوم مهـــول
فـــاز نجـــل الســـمين مـــن بعـــد هـــذا مـــذ تـــولاكم بخـــير جزيـــل
أنـــتم ســـؤله وأقصـــى منـــاه ورجـــاه وغايـــة المـــأمول
فعلـــيكم آل النّـــبي صـــلاة كـــلّ يـــوم في بكـــرة وأصـــيل

الباب الثّاني

اعلموا وفقكم الله تعالى لتحصيل الكمالات والارتقاء إلى معالي أعلى الدّرجات , أنّ كلّ جزع في المصائب قبيح إلّا على أهل هدايتكم ، والأسف على الفائت مذموم عند العقلاء إلاّ على أئمتكم السّادات النّجباء ، فيا ليت لفاطم وأبيها عيناً تنظر ما صُنع ببناتها وبنيها ؛ ما بين مسلوب وجريح ، ومسموم وذبيح ، ومقتول وطريح ، ومشققات للجيوب , ومفجوعات بقتل المحبوب شاكيات بين يدي علام الغيوب ، ناشرات للشعور , بارزات من الخدور , لا طمات للخدود ، فاقدات للآباء والأبناء والجدود , يسترن وجوههن بالأردان حذراً من أهل العناد والطّغيان , فيا لها من حسرات لا تنقضي أبداً , ومن أحزان مجددات طول المدى :

يا أهـــل عاشـــور يا لهفـــي علـــى الـــدين خـــذوا حـــدادكم يا آل ياســـين
اليـــوم شـــقق جيـــب الـــدين وانتهبـــت بنـــات أحمـــد نهـــب الـــروم والصـــين
اليـــوم قـــام بأعلـــى الطـــف نادبهـــم يقـــول مـــن ليتـــيم أو لمســـكين
اليـــوم خـــر نجـــوم الفخـــر مـــن مضـــر علـــى منـــاخر تـــذليل وتـــوهين
اليـــوم أطفـــى نـــور الله متقـــداً وجـــررت لهـــم التقـــوى علـــى الطـــين
اليـــوم هتـــك أســـتار الهـــدى مزقـــاً وبرقـــت غـــرة الإســـلام بالهـــون
اليـــوم زعـــزع قـــدس مـــن جوانبـــه وهـــاج بالخيـــل ســـادات الميـــادين
اليـــوم شـــقوا علـــى الزّهـــراء كلتهـــا وســـاوروها بتكئيـــب وتـــوهين

اليـــوم نال بنـــو حـــرب طـــوايلهم ممـــا صـــلوه ببـــدر ثمّ صـــفين
اليـــوم جـــدك ســـبط الـــمُصطفى شـــرفاً مـــن نفســـه بنجيـــع غـــير مســـنون
نالـــوا أزمـــة دنيـــاهم ببـــيعهم فليـــتهم سمحـــوا منهـــا بمـــاعون
آل الرّســـول عباديـــد الســـيوف فمـــن هـــام علـــى وجهـــه خوفـــاً ومســـجون
يا عـــين لا تـــدعي شـــبا لغادتـــه تهمـــي ولا تـــدعي دمعـــاً لمخـــزون
قـــومي علـــى جـــدث بالطـــف فانتقضـــي بكـــل لؤلـــؤ دمـــع فيـــك مكنـــون

فيا إخواني , تعساً لمن أردى تلك العصابة الكرام ! وخيبة لمَن نكس أعلام أولئك الأعلام !

روي عن سعيد بن المسيب , قال : لمّا استشهد سيّدي ومولاي الحُسين (عليه السلام) وحجّ النّاس من قابل , دخلت على عليّ بن الحُسين , فقلت له : يا مولاي , قد قرب الحجّ فماذا تأمرني ؟ فقال : ((امض على نيتك وحج)) . فحججت , فبينما أنا أطوف بالكعبة , وإذا أنا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المُظلم , وهو مُتعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللّهمّ ربّ هذا البيت الحرام اغفر لي , وما احسبك تفعل ولو تشفّعت في سكّان سماواتك وأراضيك وجميع ما خلقت ؛ لعظم جرمي.

قال سعيد بن المسيب : فشُغلت وشغل النّاس عن الطّواف , حتّى حفّ به النّاس واجتمعنا عليه , فقلنا : يا ويلك ! لو كنت إبليس ما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله , فمَن أنت وما ذنبك ؟! فبكى وقال : يا قوم , أنا أعرف بنفسي وذنبي وما جنيت . فقلنا له : تذكره لنا ؟ فقال : أنا كنت جمّالاً لأبي عبد الله الحُسين (عليه السلام) لمّا خرج من المدينة إلى العراق , وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصّلاة يضع سراويله عندي , فأرى تكّته تغشي الأبصار بحسن إشرافها , وكنت أتمناها تكون لي , إلى أن صرنا بكربلاء وقُتل الحُسين (عليه السلام) وهي معه , فدفنت نفسي في مكان من الأرض , فلمّا جنّ الليل , خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة , نوراً لا ظلمة ونهاراً لا ليلاً , والقتلى مُطرّحين على وجه الأرض , فذكرت لحيني وشقاني التّكّة , فقلت : والله , لأطلبنّ الحُسين وأرجو أن تكون التّكّة في سرواله فآخذها . ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتّى أتيت إلى الحُسين , فوجدّته مكبوباً على وجهه وهو جثّة بلا رأس ونوره مشرق , مرمّل بدمائه والرّياح سافية عليه , فقلت : هذا والله الحُسين . فنظرت إلى سرواله كما كنت أراها , فدنوت منه وضربت بيدي إلى التّكّة لآخذها , فإذا هو قد

عقدها عقداً كثيرة , فلم أزل أحلّها حتّى حللت عقدة منها , فمدّ يده اليُمنى وقبض على التّكّة , فلم أقدر على أخذ يده عنها ولا أصل إليها , فدعتني النّفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يده , فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها , واتكيت على يده ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن زنده , ثمّ نحيتها عن التّكّة ومددت يدي لأحلّها , فمدّ يده اليُسرى فقبض عليها , فلم أقدر على أخذها , فأخذت قطعة السّيف ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن التّكّة , ومددت يدي إلى التّكّة لآخذها , فإذا الأرض ترجف والسّماء تهتزّ , وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول : ((وا أبتاه ! وا مقتولاه ! وا ذبيحاه ! وا حسيناه ! وا غريباه ! يا بُني قتلوك وما عرفوك ومن شرب الماء منعوك !)) . فلمّا رأيت ذلك , صعقت ورميت نفسي بين القتلى , وإذا بثلاثة نفر وامرأة وحولهم خلائق وقوف , وقد امتلئت الأرض بصور النّاس واجنحة الملائكة ، إذ بواحد منهم يقول : ((يا ابتاه يا حسين ! فداؤك جدّك وأبوك وأُمّك وأخوك !)) . وإذا بالحُسين قد جلس ورأسه على بدنه , وهو يقول : ((لبّيك يا جدّاه يا رسول الله , ويا أبتاه يا أمير المؤمنين , ويا أُمّاه يا فاطمة الزّهراء , ويا أخاه المقتول بالسّم , عليكم منّي السّلام)) . ثمّ إنّه بكى وقال : ((يا جدّاه قتلوا والله رجالنا ! يا جدّاه سلبوا والله نساءنا ! يا جدّاه نهبوا والله رحالنا ! يا جدّاه ذبحوا والله أطفالنا ! يا جدّاه يعزّ والله عليك أن ترى رحالنا , وما فعل الكفّار بنا !)) . وإذا هُم جلسوا يبكون على ما أصابه , وفاطمة تقول : ((يا أباه يا رسول الله ! أما ترى ما فعلت أُمّتك بولدي ؟! أتأذن لي أن آخذ من دم شيبه وأخضب به ناصيتي , وألقى الله عزّ وجلّ وأنا مختضبة بدم ولدي الحُسين)) . فقال لها : ((خُذي وأنا آخذ يا فاطمة)) . فرأيتهم يأخذون من دم شيبه وتمسح به فاطمة ناصيتها , والنّبي وعليّ والحسن يمسحون به نحورهم وصدورهم وأبدانهم إلى المرافق , وسمعت رسول الله يقول : ((فديتك يا حُسين ! يعزّ والله عليّ أن أراك مقطوع الرأس , مرمّل الجبينين دامي النّحر , مكبوباً على قفاك قد كساك الذّاري من الرّمول وأنت طريح مقتول مقطوع الكفّين , يا بُني ! مَن قطع يدك اليُمنى وثنى باليُسرى ؟)) . فقال : ((يا جدّاه ! كان معي جمّال من المدينة , وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء , فيتمنّى أن تكون تكّتي له , فما منعني أن أدفعها إليه لا لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل , فلمّا قُتلت خرج يطلبني بين القتلى , فقد وجدني جثّة بلا رأس ,

فتفقّد سراويلي , فرأى التّكّة وقد عقدتها عقداً كثيرة , فضرب بيده إلى التّكّة فحلّ عقدة منها , فمددت يدي اليمنى فقبضت على التّكّة , فطلب المعركة فوجد قطعة سيف مكسور فقطع يميني , ثمّ حلّ عقدة أُخرى , فقبضت على التّكّة بيدي اليُسرى كي لا يحلّها فتكشف عورتي , فحزّ يدي اليسرى , فلمّا أراد حلّ التّكّة حسّ بك , فرمى نفسه بين القتلى)).

فلمّا سمع النّبي كلام الحُسين , بكى بُكاءاً شديداً وأتى إليّ بين القتلى إلى أن وقف نحوي , فقال : ((مالي ومالك يا جمّال , تقطع يدين طالما قبّلهما جبرائيل وملائكة الله أجمعين , وتباركت بهما أهل السّماوات والأرضين ؟ أما كفاكك ما صنع به الملاعين من الذّل والهوان , هتكوا نساءه من بعد الخدور وانسدال السّتور ؟! سوّد الله وجهك يا جمّال في الدّنيا والآخرة , وقطع الله يديك ورجليك , وجعلك في حزب مَن سفك دماءنا وتجرأ على الله)) . فما استتم دعاؤه (صلى الله عليه وآله) حتّى شُلّت يداي , وحسست بوجهي كأنّه ألبس قطعاً من الليل مظُلماً , وبقيت على هذه الحالة , فجئت إلى هذا البيت استشفع , وأنا اعلم أنّه لا يغفر لي أبداً . فلم يبق في مكّة أحد إلّا وسمع حديثه وتقرّب إلى الله تعالى بلعنه , وكلّ يقول : حسبك ما جنيت يا لعين : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

وإني لمطـــوي الضـــلوع علـــى جـــوى ... مـــتى حـــل فـــوق الجمـــر يحـــترق الجمـــر
أحـــــن إلى أنفاســـــكم ونســـــيمكم ... واذكـــركم والصـــب يقلقـــه الـــذكر
فقـــربكم مـــع قلـــة المـــال لي غـــنى ... وبعـــدكم مـــع كثـــرة المـــال لي فقـــر

روي عن الصّادق (عليه السلام) , أنّه قال : ((البكّاؤن خمسة : آدم ويعقوب ويوسف , وفاطمة بنت مُحمّد , وعليّ بن الحُسين (عليهم السلام) , فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صارت في خدّيه أمثال الأودية , وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره , حتّى قيل له :﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾[2] . وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السّجن , فقالوا : إمّا تبكي بالليل وتسكت النّهار , أو تبكي بالنّهار وتسكت الليل , فصالحهم على واحد منهما ، وأمّا فاطمة بنت مُحمّد , فبكت على رسول الله حتّى تأذّى بها أهل المدينة , وقالوا لها : قد آذيتينا ببكائك , فكانت تخرج إلى مقابر الشّهداء , فتبكي حتّى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف , وأمّا عليّ بن الحُسين (عليه السلام) , فإنّه بكى على الحُسين (عليه السلام) أربعين سنة , وما

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

(2) سورة يوسف / 85.

وضع بين يديه طعام إلّا بكى , حتّى قال مولى له : جُعلت فداك يابن رسول الله , إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين , فيقول :﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] . إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة)).

تعـــودت مـــس الضـــر حـــتّى ألفتـــه وأســـلمني حســـن العـــزاء إلى الصـــبر
وصـــيرني يأســـي مـــن النـــاس واثقـــاً بحســـن صـــنيع الله مـــن حيـــث لا أدري

روي عن بعض المشايخ , قالوا : دخلنا كنيسة في الرّوم , فإذا في الحائط صخرة مكتوب عليها :

أترجـــو أُمـــة قتلـــت حســـيناً شـــفاعة جـــده يـــوم الحســـاب

فقلنا لشيخ في الكنيسة : مُنذ كم هذه الكتابة في هذه الصّخرة ؟ قال : قبل أن يُبعث صاحبكم بثلاثمئة عام . فأكثروا أيّها الإخوان من النّوح والأحزان على ما أصاب سادات الزّمان من أهل البغي والعدوان , ولا تبخلوا بالدّموع الهتان , فإنّها السّبب التّام لدخول الجنان والحور والولدان.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ راشد بن سُليمان الحريري (رحمه الله تعالى)

خليلـــي مـــرّا بي علـــى أرض كـــربلا نـــزور الإمـــام الفاضـــل المتفضـــلا
ســـليل رســـول الله وابـــن وصـــيه وســـيد شـــبان الجنـــان المـــؤملا
حسـين ابـن بنـت الـمُصطفى خـيرة الـورى وأكـــرم خلـــق الله طـــراً وأفضـــلا
قتيـــل بـــني حـــرب وآل أُميـــة فـــديت القتيـــل المســـتظام المجـــدلا
دعيـــت بكتـــب الخـــدع أن ســـر مبـــادراً إلينـــا وشمّـــر للمســـير وعجـــلا
فلـــيس لنـــا الّا جنابـــك ســـيد إمـــام رشـــيد بالفخـــار تســـربلا
فســـار حســـين الطهـــر مـــن أرض يثـــرب بذريـــة والأهـــل والصـــحب والمـــلا
وجـــد الســـير يطـــوي الفيـــافي ميممـــاً إلى أن أتـــى في ســـيره أرض كـــربلا

---

(1) سورة يوسف / 86.

فلـــم ينبعـــث مهـــر الحُســـين بخطـــوة ... فقـــال ألا يا صـــاحبي مـــا هـــذه الفـــلا
فقـــالوا : تســـمى كـــربلا قـــال هونـــوا ... مســـيركم يا قـــوم قـــد نـــزل الـــبلا
ففـــي هـــذه يا قـــوم قتلـــي ومصـــرعي ... وهتـــك حريمـــي عـــاجلاً لا مـــؤجلا
وفي هـــذه تضـــحى الـــرؤوس علـــى القنـــا ... تســـير بهـــا الأقـــوام أن تـــتمهلا
وفي هـــذه نبقـــى علـــى الأرض صـــرعا ... بـــلا كفـــن نلقـــى ولـــن نتغســـلا
قفـــوا وانزلـــوا يا قـــوم إن بهـــذه ... نعّـــلا علـــى رؤوس القنـــا وننـــزّلا
فـــلا حـــول لي يا قـــوم بـــل لا قـــوة ... ولا حكـــم لي إلّا لـــذي الطـــول والعلـــى
فمـــا كـــان إلّا ســـاعة ثمّ أقبلـــت ... جيـــوش ابـــن ســـعد جحفـــلاً ثمّ جحفـــلا
وحـــاطوا بمـــولاي الحُســـين وصـــحبه ... فقـــال لهـــم مـــا شـــأنكم أيهـــا المـــلا
ألا تكتبـــوا لي بالمســـير إلـــيكم ... فقـــالوا لـــه دع عنـــك هـــذا التطـــولا
فلـــيس لنـــا كتـــب إليـــك ولا أتـــى ... رســـول فأقصـــر عـــن كلامـــك مجمـــلا
فقـــال اتركـــوني نحـــو يثـــرب راجعـــاً ... فقـــالوا لـــه هيهـــات لـــن تتحـــولا
لقـــد علقـــت فـــيكم مخالبنـــا فـــلا ... بـــراح إلى أن تقـــتلن وتخـــذلا
فصـــال علـــيهم صـــولة علويـــة ... فحكـــم فـــيهم اسمـــراً ثمّ منصـــلا
إلى أن ســـقوا أصـــحابه جمـــرة الـــردى ... وظـــل وحيـــداً لـــلأذى مـــتحملا
يكـــر علـــيهم كـــرة إثـــر كـــرة ... إلى أن أتاه ســـهم رجـــس فجـــدلا
فخـــر عـــن الطـــرف الجـــواد لوجهـــه ... عفـــيراً خضـــيباً بالـــدماء مغســـلا
وأقبـــل شمـــر الـــرجس فـــاحتز رأســـه ... وكـــبر لله العلـــي وهلـــلا
وركـــب رأس الســـبط فـــوق قناتـــه ... كبـــدر الـــدجى في دمـــه قـــد تـــرملا
وأقبـــل مهـــر الســـبط يصـــرخ ناعيـــاً ... إلى خيمـــة النســـوان يبكـــي معـــولا
فلمـــا رأيـــن المهـــر قـــد جـــاء خاليـــاً ... خـــرجن مـــن الفســـطاط يبكـــين حفـــلا
وشـــققن مـــنهن الجيـــوب بحســـرة ... وأبـــرزن مـــن بعـــد الخـــدور إلى المـــلا
وصـــحن ألا وا ســـيداه بربـــه ... تكـــاد لهـــا الأطـــواد أن تتزلـــزلا
وهبـــت خيـــول الظـــالمين بركظهـــا ... لتجـــري علـــى جثمانـــه وتهـــرولا
وهشـــمت الصـــدر الكـــريم وظهـــره ... وقطعـــت الأوصـــال عـــال واســـفلا
وأظلمـــت الـــدنيا وأكســـفت شمســـها ... وزلزلـــت الأرضـــون منـــه تزلـــزلا

وناحت عليه من عظم شجوها ... وجبريل نادى في السّماء وأعولا
وهتكت النسوان من بعد صونها ... يصحن بشجو لا طمات وذلا
بنفسي صريعاً ظامياً مرضضاً ... بنفسي ذبيحاً بالتراب مغسلا
بنفسي طريحاً نازحاً عن دياره ... تريب المحيي عاري الجسم مجدلا
بنفسي نساء السبط يبكين حوله ... ظمايا حيارى حاسرات وثكلا
بنفسي علي بن الحُسين مقيداً ... بقيد ثقيل بالحديد مكبلا
تناديه بالشجو العظيم سكينة ... أيا أبتا ماذا دهانا واثكلا
وزينب تدعو جدها يا محمد ... أيا جدنا يا صفوة الله ذي العلا
أيا جدنا يعزز عليك بأن ترى ... حبيبك مقتولا عفيراً مجدلا
ونادى ابن سعد بالطغاة ألا ارحلو ... إلى الشام لم نلبث ولن نتمهلا
وساقوا السبايا حاسرات أذلة ... وغاروا على ابن الحُسين مغلا
وساروا برؤوس الطاهرين وخلفوا ... حسيناً بأرض الطف شلواً مجدلا
تجر عليه السافيات ذيولها ... وتبكي عليه الوحوش والطير في الفلا
أيا لهف نفسي يوم سير برأسه ... على رأس رمح نوره قد تهللا
ونسوته فوق المطايا حواسراً ... بلا وطاء بين الخلائق والملا
ويروى لنا عن جابر أن فاجراً ... لئيماً على فعل النقي لن يعولا
وقد كان جمالاً لمولاي آنفاً ... وكان الحُسين الطهر للرجس موئلا
وكان كثيراً قد يرى معه تكة ... حجازية حازت نساجاً مكملا
وتغشى سنا الأبصار حسناً ورونقاً ... وتشرق إشراقاً كبدر تهللا
وكان يقول الرجس يا ليتها تكن ... لمثلي ملبوساً عطاء معجلا
فلما أتى أرض العراق ميمماً ... وجدل مولاي الحُسين بكربلا
وقد قصد الملعون بطن مغارة ... إلى أن دجي الليل البهيم والبلا
فقام اللعين الرجس جذلان باسماً ... وجاء إلى نحر الحُسين معجلا
ومد إلى نحو الحُسين يمينه ... ليأخذ منه تكة لن تعولا
فلما أراد الرجس حل عقودها ... فمانعه مولاي أن تتحللا
وشد بها يمنى يديه مدافعاً ... فلم يقدر الملعون أن يتوصلا

فحـــز يمـــين الســـبط بالســـيف عامـــداً ... مـــن الزنـــد أبراهـــا عظامـــاً ومفصـــلا
وأهـــوى إليهـــا كـــي يحـــل عقودهـــا ... إذا يســـار الســـبط صـــار محـــولا
فلـــم يســـتطع تحريـــك كـــف إمامنـــا ... فطـــير منـــه الكـــف بالســـيف معجـــلا
فحـــل ســـراويل الإمـــام فأرجفـــت ... بـــه الأرض رجفـــاً فـــانثنى وتزلـــزلا
فـــأُسمع ذات الـــرجس صـــوت مهـــول ... فقـــام اللعـــين الـــرجس حـــيران مجفـــلا
وجـــاء إلى القتلـــى فـــألقى بنفســـه ... إذا برســـول الله في الأرض أنـــزلا
وأهبطـــت الأمـــلاك مـــن كـــلّ جانـــب ... تســـبح لله المهـــيمن ذي العـــلا
فنـــادى رســـول الله يا ســـبط أحمـــد ... يعـــز علينـــا أن نـــراك مجـــدلا
يعـــز علينـــا أن نـــراك مرضضـــاً ... عفـــيراً نحـــيراً بالـــدماء مغســـلا
إذا بحســـين الطهـــر قـــد صـــار جالســـاً ... وقـــال ألا لبيـــك يا ســـيّد المـــلا
ألا يا رســـول الله صـــالت أُميّـــة ... علينـــا وأســـقونا العـــذاب معجـــلا
فصـــاح رســـول الله إذ ذاك صـــيحة ... وأبـــدى بكـــاءاً عـــاجلاً وتـــوجلا
وجـــاء علـــى الطهـــر يبكيـــه ناعيـــاً ... لوجنـــة مـــولاي الحُســـين مقـــبلا
وقـــال ألا يا ليتـــني كنـــت حاضـــراً ... فأســـقيهم كـــأس المنـــون معجـــلا
يعـــز علينـــا يا حســـين بأن نـــرى ... لرأســـك مـــن فـــوق القنـــاة محمـــلا
حســـين ألا يا شـــق روحـــي ومنيـــتي ... فلـــم يـــك جبـــار السّـــماء لـــيغفلا
فـــديتك لا قـــبراً ولا كفنـــاً أرى ... ولا غاســـلاً يأتي إليـــك ليغســـلا
وأقبلـــت الزّهـــراء تمســـح فرقهـــا ... بـــدم الحُســـين الطهـــر حـــتّى تـــبللا
فقالـــت الاقـــي الله في يـــوم حشـــرنا ... وأشـــكو إليـــه مـــا الاقـــي مـــن الـــبلا
فقـــال رســـول الله يا ســـبط أحمـــد ... فمـــا فعـــل الـــرجس اللعـــين المضـــللا
ومـــن قطـــع الكفـــين منـــك بســـيفه ... ولا راقـــب الله المهـــيمن ذا العـــلا
فقـــال لـــه يا جـــد قـــد كـــان صـــحبتي ... إلى الطـــف جمّـــال وكـــان مضـــللا
وقـــد كـــان ينظـــر في ســـراويل تكـــتي ... فلمـــا قتلـــت الآن قـــام معجـــلا
ليأخـــذها مـــني فمانعتـــه وقـــد ... أقـــام علـــى الطغيـــان لـــن يتبـــدلا
فقـــص يـــدي اليمـــنى وثـــنى بأُختهـــا ... وأهـــوى إلى تلـــك العقـــود لـــيحللا
فلمـــا أحســـن الـــرجس أنـــك هـــابط ... رمـــى نفســـه كـــي لا تـــراه فيقـــتلا

فمـــــد رســـــول الله في الطـــــف طرفـــــه رأى الـــرجس في وســـط المغـــارة قـــد خـــلا
فقـــــال رســـــول الله يا أرذل الـــــورى ويا شـــــر خلـــــق الله طـــــراً وأنـــــذلا
عليـــــك مـــــن الله المهـــــيمن لعنـــــة وســـــود منـــــك الوجـــــه يا أرذل المـــــلا
وأشـــــلل منـــــك الكـــــف يمـــــنى ويســـــرة وأصـــــلاك ناراً حرهـــــا لـــــن يبـــــدلا
فلمـــــا اســـــتتم الطهـــــر منـــــه دعـــــاؤه إذ بيديـــــه قـــــد أبينـــــت مـــــن العـــــلا
وســـــود منـــــه وجهـــــه فكأنـــــه ظلامـــــة ليـــــل حالـــــك لـــــيس يجـــــتلا
ألا لعـــــن الـــــرحمن آل أُميـــــة وعجلهـــــم ثمّ الـــــدلام ونعـــــثلا
علـــــيهم مـــــن الله المهـــــيمن لعنـــــة تغشـــــاهم مـــــا دامـــــت الأرض والفـــــلا
وتغشـــــى يزيـــــد الـــــرجس وابـــــن سميـــــة وخـــــولى وشمـــــراً وابـــــن ســـــعد المضـــــللا
وأشـــــياعهم أو مـــــن رضـــــي رفعـــــالهم وأتبـــــاعهم أو مـــــن لهـــــم كـــــان قـــــد تلـــــى
أيا ســـــادتي يا آل أحمـــــد أنـــــتم مـــــلاذي وذخـــــري لا أُبالي بمـــــن قلـــــى
وإني علـــــيكم وافـــــد متوكـــــل ولا خيـــــب الـــــرحمن مـــــن قـــــد تـــــوكلا
أؤمـــــل أن أحظـــــى بحـــــور وجنـــــة وحاشـــــاكموا أن تحرمـــــوا المتـــــأملا
فـــــدونكم ابـــــن الحريـــــري مذحـــــة منمقـــــة الألفـــــاظ تحلـــــو لمـــــن قلـــــى
بهـــــا يرتجـــــى مـــــنكم شـــــفاعتكم غـــــداً ويعلـــــوه ظـــــل في الجنـــــان مظلـــــلا
علـــــيكم ســـــلام الله مـــــا در شـــــارق ومـــــا أن حـــــدى الحـــــادي وركـــــب تحمـــــلا

الباب الثّالث

يا إخواني , شهد لهم بالفوز الجليل والثّناء الجميل الرّبّ الجليل , فقال تعالى في كتابه المكنون لا يمسّه إلّا المطهرون : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[1] . ولا جهاد أعظم من جهاد أنصار الإمام الحُسين (عليه السلام) , أذن لهم في ترك القتال ومقاسات الأهوال , فأبوا واختاروا الموت على الحياة في طاعته , واحبوا مُفارقة الدّنيا دون مفارقته :

جـــــادوا بأنفســـــهم في حـــــب ســـــيدهم والجـــــود بالـــــنفس أقصـــــى غايـــــة الجـــــود

يُعد أحدهم مصافحة الصّفاح غنيمة باردة ، ومزاحمة الرّماح فائدة زائدة ،

---

(1) سورة التّوبة / 20.

ومكافحة الكتاب مكرمة عائدة ، ومناوحة المقانب منقبة شاهدة :

يـــرى المـــوت أولى مـــن ركـــوب دنيـــة ولا يغتـــــدي للناقصـــــين عـــــديلا

ويســـــتعذب التعـــــذيب فيمـــــا يفيـــــده نزاهـــــة عـــــن أن لا يكـــــون ذلـــــيلا

فوا حر قلباه على تلك الأجساد بلا مهاد ووساد !

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) أتت النّبي (صلى الله عليه وآله) وهي تبكي وتقول : ((خرج الحسن والحُسين ولا أدري أين هُما ؟)) . فقال : ((يا فاطمة , طيبي نفساً فهما في ضمان الله تعالى حيث كانا)) . فنزل جبرائيل (عليه السلام) , فقال : هُما في حائط بني النّجار نائمان متعانقان ، وقد بعث الله إليهما ملكاً , فبسط جناحاً تحتهما وجناحاً فوقهما . فخرج رسول الله وأصحابه معه , فرآهما هُناك (وحيّة) دائرة كالحلقة حولهما ، فأخذهُما رسول الله على سكينة فحملهما ، فقال أصحابه : نحملهما عنك يا رسول الله . فقال : ((نعم المطية مطيتهما , ونعم الرّاكبان هُما , وأبوهما خير منهما)).

ألا فيا إخواني , هذا هو الشّرف الرّفيع والفضل الشّامخ المنيع ، ولذا حسدوهم على الكمال فجلّ وعلا مجّدهم أن ينال :

إلـــــيكم كـــــلّ منقبـــــة تـــــؤول إذا مـــــا قيـــــل جـــــدكم الرســـــول

وفـــــيكم كـــــلّ مكرمـــــةٍ تجـــــول إذا مـــــا قيـــــل أمكـــــم البتـــــول

فـــــلا يبقـــــى لمـــــادحكم كـــــلام إذا تمّ الكـــــلام فمـــــا أقـــــول

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تبكي , فقال : ((ما يبكيك ؟)) . فقالت : ((ضاع منّي الحُسين فلا أجده)) . فقام النّبي (صلى الله عليه وآله) واغرورقت عيناه وذهب ليطلبه , فلقيه يهودي فقال : ((يا مُحمّد ما لك تبكي ؟)) . فقال : ((ضاع ابني)) . فقال : لا تحزن فإنّي رأيته على تل كذا نائماً . فقصده النّبي (صلى الله عليه وآله) واليهودي معه , فلمّا قرب من التّل , رأى ضبّاً بفمه غصن أخضر يروح به إلى الحُسين , فلمّا رأى الضبّ النّبي , قال بلسان فصيح : السّلام عليك يا زين القيامة . وشهد له بشهادة الحقّ , ثمّ قال : لم أر أهل بيت أكثر بركة من أهل بيتك ؛ لأنّ ولدي ضاع منّي ثلاث سنين , فطفت العالم أطلبه فلم أجده , فبركة ولدك وجدته الآن فأكافيه . ثمّ قال ولد الضبّ : يا رسول الله , أخذني السّيل فادخلني البحر , ثمّ ضربت بي الأمواج إلى أن وقعت

بجزيرة كذا , فلم أجد سبيلاً ومخرجاً منها حتّى أهبّ الله ريحاً فأخذتني وألقتني في هذا الموضع عند أبي . فقال (صلى الله عليه وآله) : ((من تلك الجزيرة إلى ههنا ألف فرسخ)) . فأسلم اليهودي وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله . :

لآل مُحمّـــــــد أصـــــــبحت عبـــــــداً وآل مُحمّـــــــد خـــــــير البريـــــــة

أُناس حـــــل فـــــيهم كـــــلّ خـــــير مواريـــــث النبـــــوة والوصـــــية

روى ابن عبّاس , أنّه قال : لـمّا ولد الحُسين (ع) , أمر الله عزّ وجلّ جبرائيل أن يهبط إلى الأرض بألف من الملائكة المقرّبين ؛ ليهنئ مُحمّداً خاتم النّبيين بمولود سيّدة نساء العالمين ، قال : فهبط جبرائيل مع الملائكة على جزيرة من جزائر البحر , فرأى فيها ملكاً يُقال له (فطرس) – وكان قد أرسله الله إلى أمر من أموره , فأبطأ عليه فغضب عليه , فكسّر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة مدّة طويلة , فمكث الملك يعبد الله تعالى سبعمئة عام حتّى ولد الحُسين (عليه السلام) – فقال الملك : يا أخي جبرائيل , أين تريد ؟ فقال : إنّ الله تعالى أنعم على مُحمّد بمولود من ابنته , فبُعثت إليه أُهنئه عن الله تعالى . فقال الملك : يا جبرائيل , قد مكثت في هذه الجزيرة سبعمئة سنة , وقد ضاق صدري وعيل صبري أريد أن تحملني معك إليه ؛ لعل مُحمّداً يدعو لي بالعافية , ويشفع لي عند الله تعالى في جبر جناحي المكسور . قال : فحمله جبرائيل معه على طرف ريشة من جناحه حتّى أُدخل به على النّبي (صلى الله عليه وآله) , فهنأه جبرائيل من الله تعالى ومنه , وأخبره بحال الملك فطرس , فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((يا جبرائيل , قُل له : يقوم ويمسح بجناحه بهذا المولود وعد إليّ)) . قال : فقام الملك ومسح جناحه المكسور بالحُسين (عليه السلام) , فعوفي من ساعته وصار كما كان , فقال الملك فطرس : يا رسول الله , اعلم أنّ أُمّتك تقتل ولدك هذا – يعني الحُسين (عليه السلام) – وله عليّ مكافأة . يا مُحمّد , لا يزوره زائر إلّا أبلغته عنه الزّيارة , ولا يسلّم عليه مُسلّم إلّا أبلغته سلامه ، ولا يُصلّي عليه مُصلّ إلّا ابلغته صلاته . ثمّ ارتفع طائراً إلى السّماء ؛ ببركة الحُسين سيّد الشّهداء , وهو يقول : مَن مثلي وأنا عتيق الحُسين بن فاطمة , وعتيق جدّه النّبي الأُمّيّ . قال ابن عباس : فهذا الملك لا يُعرف في السّماء بين الملائكة إلّا أن يُقال : هذا مولى الحُسين (عليه السلام).

ونُقل عن أبي جعفر الطّوسي في (مصباح الأنوار) , إنّ الله عزّ وجلّ لـمّا

غضب على هذا الملك , خيّره في عذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة , فاختار عذاب الدّنيا , فكسّر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة , وكان مُعلّقاً بأشفار عينيه سبعمئة سنة , لا يمرّ به حيوان من تحته إلّا احترق من دخان يخرج منه غير منقطع , فلمّا أحسّ بجبرائيل والملائكة النّازلين من السّماء , كان ما كان من أمره بإذن الله تعالى , فعفى الله عنه ببركة الحُسين (عليه السلام).

فانظروا يا أهل المعالي إلى هذا الشّرف العالي , جعلنا الله وإيّاكم من أشياعهم وأتباعهم ومواليهم :

نعم بإذكاري كربلاء ومن بها ... تفاقم كربي واستحم بلائي

وأنفذ عيني ماءها ببكائها ... عليهم وقد أمددها بدمائي

وسيق بنو بنت النّبي مُحمّد ... إلى الشام للذبح العنيف كشائي

فيا ويح قوم قاتلوهم إذا بدا ... شفيعتهم في معرض الخصماء

عن ابن عباس , قال : لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1] . قالوا : يا رسول الله , مَن قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم ؟ قال : ((عليّ وفاطمة وابناهما)).

وعن الحُسين بن عليّ (عليهما السلام) , قال : ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بهجة قلبي , وابناها ثمرة فؤادي . بعلها نور بصري , والأئمة من ولدها أُمنائي وحبله الممدود بينه وبين خلقه ، ومَن اعتصم بهم نجى , ومَن تخلّف عنهم هوى)).

وعن بلال بن حمامة , قال : طلع علينا النّبي (صلى الله عليه وآله) ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر , فقام عبد الرّحمن بن عوف , فقال : يا رسول الله , ما هذا النّور ؟ فقال : ((بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي , وإنّ الله تعالى زوّج عليّاً من فاطمة , وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى , فحملت رقاقاً – يعني : صكاكاً – بعدد محبّي أهل بيتي , وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كلّ ملك صكّاً ، فإذا استوت القيامة بأهلها , نادت الملائكة في الخلائق ، فلا تلقى مُحبّاً لنا أهل البيت إلاّ دفعت إليه صكّاً , فيه فكاكه من النّار بأخي وابن عمّي وإبنتي)).

عن جابر قال : رأى رسول الله على فاطمة كساء من أوبار الإبل وهي تطحن , فبكى وقال : ((يا فاطمة , اصبري على مرارة الدّنيا لنعيم الآخرة غداً)) . قال : فنزلت عند ذلك : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى ﴾[2] :

محن الزمان سحائب مترادفة ... هي بالفوادح والفواجع ساجمة

---

(1) سورة الشّورى / 23.

(2) سورة الضّحى / 5.

وإذا الهمـــــــوم تعاورتـــــــك فســـــــلها بمصـــــــاب أولاد البتولـــــــة فاطمـــــــة

عن ابن عباس قال : كنت جالساً بين يدي النّبي (ﷺ) ذات يوم , وبين يديه عليّ وفاطمة والحسن والحُسين (عليهم السلام) , إذ هبط جبرائيل ومعه تفّاحة , فتحيّا بها النّبي وحيّا بها عليّ بن أبي طالب , فتحيّا بها عليّ وقبّلها وردّها إلى رسول الله , فتحيّا بها رسول الله وحيّا بها الحسن , فتحيّا بها الحسن وقبّلها وردّها إلى رسول الله , فتحيّا بها رسول الله وحيّا بها الحُسين , فتحيّا بها الحُسين وقبّلها وردّها إلى النّبي , فتحيّا بها (ﷺ) وحيّا بها فاطمة , فتحيّت بها فاطمة وقبّلتها وردّتها إلى النّبي , فتحيّا بها الرّابعة وحيّا بها عليّ بن أبي طالب , فتحيّا بها عليّ بن أبي طالب , فلمّا همّ أن يردّها إلى النّبي (ﷺ) , سقطت التّفاحة من بين أنامله فانفلقت نصفين , فسطع منها نور حتّى بلغ السّماء , فإذا عليها سطران مكتوبان : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , تحيّة من الله تعالى إلى مُحمّد المُصطفى , وعليّ وفاطمة الزّهراء , والحسن والحُسين سبطي رسول الله , وأمان لمحبّيهما يوم القيامة من النّار.

وعن أبي سلمان – راعي رسول الله (ﷺ) – قال : سمعت رسول الله يقول : ((ليلة أُسري بي إلى السّماء , قال لي الجليل جلّ جلاله :﴿ آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبّهِ ﴾[1] . قُلت : والمؤمنون . قال : صدقت يا مُحمّد , مَن خلّفت في أُمّتك ؟ قُلت : خيرها . قال : عليّ بن أبي طالب ؟ قُلت : نعم يا رب . قال : يا مُحمّد , إنّي اطلعت على الأرض إطلاعة فاخترتك منها , فشققت لك اسماً من اسمائي , فلا أُذكر في موضع إلاّ ذُكرت معي , فأنا المحمود وأنت مُحمّد , ثمّ اطلعت الثّانية , فاخترت منها عليّاً وشققت له اسماً من اسمائي , فأنا الأعلى وهو عليّ . يا مُحمّد , إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة , والحسن والحُسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السّماوات وأهل الأرض , فمَن قبلها كان عندي من المؤمنين , ومَن جحدها كان عندي من الكافرين . يا مُحمّد , لو أنّ عبداً من عبيدي , عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشّن البالي , ثمّ اتاني جاحداً لولايتكم , ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم . يا مُحمّد , تحبّ أن تراهم ؟ قُلت : نعم يا رب . فقال لي : التفت إلى يمين العرش . فالتفت , وإذا أنا بعليّ وفاطمة , والحسن والحُسين , وعليّ بن الحُسين , ومُحمّد بن عليّ , وجعفر بن مُحمّد , وموسى بن جعفر , وعليّ بن

---

(1) سورة البقرة / 285.

موسى , ومُحمّد بن عليّ , وعليّ بن مُحمّد , والحسن بن عليّ , والمهدي , في ضحضاح من نور , قيام يُصلّون وهو في وسطهم – يعني المهدي – كأنّه كوكب درّي , وقال : يا مُحمّد , هؤلاء الحجج ، وإنّه – يعني المهدي (عليه السلام) – الحجّة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي)) . :

هم النور نور الله جلّ جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه ... مياميين في أبياتهم نزل الذكر
وأسماؤهم مكتوبة فوق عرشه ... ومكنونة من قبل أن يخلق الذر
فلولاهم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
ونوح بهم في الفلك لمّا دعا نجى ... وغيض به طوفانه وقضي الأمر
ولو لاهم نار الخليل لمّا غدت ... سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمر
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه ... ولا كان عن أيوب ينكشف الضر
ولان لداود الحديد بسرهم ... وقدر في سر يحير به الفكر
ولما سليمان البساط بهم دعا ... اسيلت له عين يفيض بها القطر
وسخرت الريح الرخاء بأمره ... فغدوتها شهر وروحتها شهر
وهم سر موسى في العصا عندما عصى ... أوامره فرعون والتقف السحر
ولولاهم ما كان عيسى بن مريم ... يغادر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم ... فكل نبي فيه من سرهم سر
مصابكم يا آل طه مصيبة ... ورزء على الإسلام أحدثه الكفر

فيا إخواني , على مثل هؤلاء فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم فيهم وقال :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله)

أيفرح من له كبد يذوب ... وقلب من صبابته كئيب
وقفت بكربلاء فهيجت لي ... كروباً ليس يشفيها طبيب

ومثـــــل لي الحُســـــين بهـــــا غريبـــــاً بنفســـــي ذلـــــك الثـــــاوي الغريـــــب
فـــلا ســـعد ابـــن ســـعد حـــين حـــرب إلى حـــرب الحُســـين بـــه الحـــروب
عجبـــــت لهـــــم وحلـــــم الله عـــــنهم وكـــــل فعـــــالهم تعـــــس عجيـــــب
حبيـــــب مُحمّـــــد فـــــيهم صـــــريع ينـــــاديهم ولـــــيس لـــــه مجيـــــب
بنـــــات مُحمّـــــد فـــــيهم ســـــبايا ورحـــــل مُحمّـــــد فـــــيهم نهيـــــب
كـــــأني بالنســـــاء مهتكـــــات علـــــيهن الكآبـــــة والشـــــحوب
فلمـــــا أن بصـــــرن بـــــه صـــــريعاً لـــــه خـــــد علـــــى الرمضـــــا تريـــــب
ســـــقطن علـــــى الوجـــــوه مولـــــولات وادمعهـــــن وأكفـــــة تصـــــوب
وشـــــققن الثيـــــاب عليـــــه حـــــزناً وشـــــقت مـــــنهم أســـــفاً جيـــــوب
وأنـــــت زينـــــب مـــــن حـــــزن قلـــــب بنـــــار الوجـــــد محـــــترق يـــــذوب
ونادت ليـــــت أمـــــي لم تلـــــدني ولم أرى مـــــا الـــــذي بـــــك يا غريـــــب
تنـــــادي اختهـــــا يا أخـــــت قـــــومي فموتـــــك بعـــــد ســـــيدنا قريـــــب
فيـــــا ليـــــت المنيـــــة قـــــدمتنا ومتنـــــا قبـــــل مـــــا قتـــــل الحبيـــــب
أخيـــــة لا حيينـــــا بعـــــد هـــــذا فـــــإن حياتنـــــا ليســـــت تطيـــــب
فـــــوا حـــــزناً ووا ســـــلباً إذا مـــــا تـــــراءى جســـــمه العـــــاري الســـــليب
فيـــــا رب الســـــماء إليـــــك نشـــــكو فأنـــــت علـــــى فعـــــالهم رقيـــــب
ســـــأبكي مـــــا حييـــــت لهـــــم وأبكـــــي وقـــــل لهـــــم بكـــــائي والنحيـــــب
صـــــلاة الله والأمـــــلاك تـــــترى علـــــيهم مـــــا ســـــرت في الأرض نيـــــب
سأنشـــــر فضـــــلهم ســـــراً وجهـــــراً وألعـــــن ثمّ مـــــن لهـــــم يعيـــــب
وحســـــبي مـــــدح ســـــاداتي حبيبـــــاً بهـــــم أرجـــــو النجـــــاة ولا أخيـــــب
هـــــم نجبـــــاء خـــــير الخلـــــق طـــــراً ولـــــيس يحـــــبهم إلّا نجيـــــب
وذكـــــرهم يبـــــيّن كـــــل أصـــــل بهـــــم عـــــرف المطهـــــر والمشـــــوب
لعبـــــدكم ابـــــن حمـــــاد قـــــريض يلـــــذ سماعـــــه الفطـــــن اللبيـــــب

المجلس السّادس

في اليوم الثّالث من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها المؤمنون النّاصحون والأتقياء الصّالحون , إجروا الدّماء من العيون واهجروا لذيذ الرّقاد من الجفون , لهذا الخطب العظيم والرّزء الجسيم ، مصاب أبكى الرّسول والزّهراء البتول والسّماء دماً , وأُقيم له فوق الطّباق مأتماً ، فوا أسفاه على ما تجرّعوه من الحتوف ومرارات حرّ السّيوف !

فيا إخواني , بالغوا في النّوح والإجتهاد , وأعدّوه أكرم الزّاد ليوم المعاد , على قوم بهم أُفيضت عليكم النّعم الفاخرة في الحياة الدّنيا والآخرة , وكيف لا نحزن لفتية عصمهم الله من الخطأ والزّلل , وجعلهم سفن النّجاة لِمَن بهم اتصل , كما ورد في الخبر عن سيّد البشر , أنّه قال : ((أهل بيتي كسفينة نوح في قومه , مَن ركبها نجى ومن تخلّف عنها هلك)) . أعلام الله في أرضه وحججه على عباده , فرسان الكلام وولاة الإسلام , المجاهدون في سبيل ذي الجلال بالأنفس والأموال , الصّابرون على عظم النّكال وشديد الوبال :

لهم وجوه على الأنوار مشرقة ... تضيء نوراً بإشراق ولمعان

تضيء أنوار آثار السجود لها ... لما بها من علامات وعنوان

لله كم لهم بالطف من جسد ... مسربل بقميص النقع عريان

ملقى على الأرض هوناً بعد غربته ... بلا حنوط ولا غسل وأكفان

لهفي وقد صرعوا من حوله نفر ... زهر المناقب من شيب وشبان
كأنهم أنجم تنقض من فلك ... وكل نجم هوى رجم لشيطان
لهفي وقد خرّ والرمضاء من دمه ... تروي ويقتل فيها غير ديان
لهفي على مهره إذ مرّ منقلباً ... يشكو إلى الله من فقد ووجدان
لهفي لنسوته يندبنه أسفاً ... لهفي لملهوفة تشكو للهفان
لهفي لفاطمة تدعوه صارخة ... بكسر قلب من الأحزان ملآن
وكل عين على هذا المصاب جرت ... فكيف لم تجر من عيني عينان
يا آل أحمد يا من طيب ذكرهم ... إذا تنشقته في الترب أحياني
حزني لكم مثل ودي دائماً أبداً ... لا ينقضي وصباباتي وأشجاني

روي عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) : ((أنّه لمّا استشهد الحُسين , بقي في كربلاء صريعاً ودمه على الأرض مسفوحاً , وإذا بطائر أبيض قد أتى ومسح بدمه , وجاء والدّم يقطر منه , فرأى صوراً تحت الظّلال على الغصون والأشجار , وكلّ منهم يذكر الحبّ والعلف والماء , فقال لهم ذلك الطّير المتلطخ بالدّم : يا ويلكم , أتشتغلون بالملاهي وذكر الدّنيا والمناهي , والحُسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ مُلقى على الرّمضاء , ظام مذبوح ودمعه مسفوح ؟! فعادت الطّيور كلّ منها قاصدة كربلاء , فرأوا سيدنا الحُسين (عليه السلام) مُلقى في الأرض , جثّة بلا رأس ولا غُسل ولا كفن , قد سفت عليه السّوافي , وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها ، زوّاره وحوش القفار ، وندبته جنّ السّهول والأوغار ، قد أضاء التّراب من أنواره , وأزهر الجو من إزهاره , فلمّا رأته الطّيور , تصايحن وأعلنّ بالكباء والثّبور , وتواقعن على دمه يتمرّغن فيه , وطار كلّ واحد منهم إلى ناحية يُعلم أهلها عن قتل أبي عبد الله الحُسين (عليه السلام) , فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطّيور قصد مدينة الرّسول , وجاء يرفرف والدّم يتقاطر من أجنحته , ودار حول قبر سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلن بالنّداء : ألا قُتل الحُسين بكربلاء ! ألا ذُبح الحُسين بكربلاء! فاجتمعت الطّيور عليه وهم يبكون عليه وينوحون , فلمّا نظر أهل المدينة من الطّيور ذلك النّوح , وشاهدوا الدّم يتقاطر من الطّير , ولم يعلموا ما الخبر حتّى انقضت مدّة من الزّمن , وجاء خبر مقتل الحُسين (عليه السلام) , علموا أنّ ذلك الطّير كان يخبر رسول الله بقتل ابن فاطمة

البتول , وقرّة عيّن الرّسول)).

وقد نُقل أنّه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطّير إلى المدينة , أنّه كان في المدينة رجل يهودي , وله بنت عمياء زمنة طرشاء مشلولة , والجذام قد أحاط ببدنها , فجاء ذلك الطّائر والدّم يتقاطر منه , ووقع على شجرة يبكي طول ليلته , وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان , وتركها في البستان الذي جاء الطّير ووقع فيه , فمن القضاء والقدر أنّ تلك الليلة عرض لليهودي عارض , فدخل المدينة لقضاء حاجته , فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المعلولة ، والبنت لمّا نظرت أباها لم يأتها تلك الليلة , لم يأتها نوم لوحدتها ؛ لأنّ أباها كان يحدّثها ويسلّيها حتّى تنام , فسمعت عند السّحر بكاء الطّير وحنينه , فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشّجرة التي عليها الطّير , فصارت كلّما حنّ ذلك الطّير , تجاوبه من قلب محزون , فبينما هي كذلك إذ وقع من الطّير قطرة من الدّم , فوقعت على عينها ففتحت , ثمّ قطرة أُخرى على عينها الأُخرى فبرئت , ثمّ قطرة على يديها فعوفيت , ثمّ على رجليها فبرئت , وعادت كلّما قطرت قطرة من الدّم , تلطخ بها جسدها , فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحُسين (عليه السلام) , فلمّا أصبح الصّباح , أقبل أبوها إلى البستان فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنّها ابنته , فسألها : أنّه كان لي في البستان بنت عليلة لم تقدر أن تتحرّك . فقالت ابنته : والله أنا ابنتك . فلمّا سمع كلامها وقع مغشيّاً عليه , فلمّا أفاق قام على قدميه , فأتت به إلى ذلك الطّير , فرآه واكراً على الشّجرة يئنّ من قلب حزين محترق ؛ مما فُعل بالحُسين (عليه السلام) , فقال له اليهودي : بالذي خلقك أيّها الطّير , أن تكلمني بقدرة الله تعالى . فنطق الطّير مستعبراً , ثمّ قال : اعلم أنّي كنت واكراً على بعض الأشجار مع جملة من الطّيور قبالة الظّهر , وإذا بطير ساقط علينا وهو يقول : أيّها الطّيور ! تأكلون وتتنعّمون والحُسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ على الرّمضاء طريحاً ظامياً , والنّحر دام ورأسه مقطوع على الرّمح مرفوع , ونساءه سبايا حفاة عرايا . فلمّا سمعن بذلك , تطايرن إلى كربلاء فرأيناه في ذلك الوادي طريحاً ، الغسل من دمه والكفن الرّمل السّافي عليه ، فوقعنا كلّنا ننوح عليه ونتمرّغ بدمه الشّريف , وكان كلّ منّا طار إلى ناحية , فوقعت أنا في هذا المكان . فلمّا سمع اليهودي ذلك , تعجّب وقال : لو لم

يكُن الحُسين ذا قدر رفيع عند الله , ما كان دمه شفاء من كلّ داء . ثمّ أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمسمئة من قومه . :

يا أهـــل يثـــرب لا مقـــام لكـــم بهـــا قتـــل الحُســـين فـــأدمعي مـــدرار

الجســـم منـــه بكـــربلاء مضـــرج والـــرأس منـــه علـــى القنـــاة يـــدار

روي : أنّ فاطمة الزّهراء (عليها السلام) ندبت ولدها الحُسين من قبل أن تحمل به , ولقد ندبته بالغريب العطشان , البعيد عن الأوطان , الظّامي اللهفان , المدفون بلا غسل ولا أكفان , ثمّ قالت لابيها : ((يا رسول الله , مَن يبكي على ولدي الحُسين من بعدي ؟)) . فنزل جبرائيل من الرّب الجليل يقول : إنّ الله تعالى ينشئ له شيعة تندبه جيلاً بعد جيل . فلمّا سمعت كلام جبرائيل , سكن بعض ما كان عندها من الوجل.

القصيدة للسيّد المُرتضى (رحمه الله)

شـــغل الـــدموع عـــن الـــديار بكاؤهـــا لبكـــاء فاطمـــة علـــى أولادهـــا

وا لهفتـــاه لعصـــبة علويـــة تبعـــت أُميـــة بعـــد ذل قيادهـــا

الله ســـابقكم إلى أرواحهـــا وكســـبتم الآثام في أجســـادها

إن قوضـــت تلـــك القبـــاب فانهـــا خـــرت عمـــاد الـــدين قبـــل عمادهـــا

هـــي صـــفوة الله الـــتي أحـــيى لهـــا وقضـــى أوامـــره إلى أمجادهـــا

تـــروي مناقـــب فضـــلها أعـــداؤها أبـــداً فتســـندها إلى أضـــدادها

يا فرقـــة ضـــاعت دمـــاء مُحمّـــد وبنيـــه بـــين يزيـــدها وزيادهـــا

صـــفدت بمـــال الله مـــلأ أكفهـــا وأكـــف آل الله في أصـــفادها

ضـــربوا بســـيف مُحمّـــد أبنـــاءه ضـــرب الغرائـــب عـــدن بعـــد زيادهـــا

يا يـــوم عاشـــوراء كـــم لـــك لوعـــة تـــترقص الأحشـــاء في إيقادهـــا

مـــا عـــدت إلّا عـــاد قلـــبي غلـــة حـــزني ولـــو بالغـــت في إيرادهـــا

روي عن رسول الله (ص) أنّه قال : ((بي أُنذرتم , ثمّ بعلي بن أبي طالب اهتديتم)) . وقرأ : ((﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] . وبالحسن أُعطيتم الإحسان , وبالحُسين تسعدون وبه تشقون , ألا وإنّما الحُسين باب من أبواب الجنّة , مَن عانده حرّم الله

---

(1) سورة الرّعد / 7.

عليه رائحة الجنّة)).

وروي : أنّ رسول الله (ﷺ) خرج مع أصحابه إلى طعام دُعوا له , فتقدم رسول الله أمام القوم والحُسين مع غلمان يلعب , فأراد رسول الله أن يأخذه , فطفق يفرّ ههنا مرّة وههنا مرّة , فجعل رسول الله أيضاً يضاحكه حتّى أخذه ، قال : فوضع إحدى يديه تحت فاه والأُخرى تحت ذقنه , فوضع فاه على فيه فقبّله ، وقال : ((حُسين منّي وأنا من حُسين , أحبّ الله مَن أحبّ حُسيناً ، حُسين سبط من الأسباط)) . :

حسب الذي قتل الحُسين ... من الخسارة والندامة

إن الشفيع لدى الإله ... خصيمه يوم القيامة

ذكر أحمد بن أعثم الكوفي : إنّ الفرزدق لقي الحُسين (ع) وسلّم عليه ودنا منه فقبّل يده , فقال له الحُسين (عليه السلام) : ((من أين أقبلت يا أبا فراس ؟)) . فقال : من الكوفة يابن رسول الله . قال : ((فكيف خلّفت أهل الكوفة ؟)) . قال : خلّفت , قلوب النّاس معك وسيوفهم مع بني أُميّة , والقضاء ينزل من السّماء , والله يفعل ما يشاء . فقال له الحُسين : ((صدقت وبررت , إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء , ربّنا تبارك وتعالى كلّ يوم هو في شأن , فإن نزل القضاء بما نحبّ , فالحمد لله على نعمائه وهو المُستعان على أداء الشّكر , وإن حال القضاء دون الرّجاء , فلن تبعد من الحقّ بلية)) . فقال له الفرزدق : يابن رسول الله , وكيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مُسلم بن عقيل وشيعته ؟! قال : فاستعبر الحُسين باكياً , ثمّ قال : ((رحم الله مُسلماً , فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيّته ورضوانه , أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا)) . قال : ثمّ أنشأ يقول :

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في الرزق أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

ثمّ ودّعه الفرزدق في نفر من أصحابه ومضى يُريد مكّة , فأقبل عليه ابن عمّ له من بني مجاشع , فقال : يا أبا فراس , هذا الحُسين بن عليّ ؟ فقال الفرزدق : هذا

الحُسين بن فاطمة الزّهراء بنت مُحمّد المُصطفى , هذا والله ابن خير الله وأفضل من مشى على الأرض من ولد آدم أبي البشر , وقد كنت قلت أبياتاً قبل اليوم , فلا عليك أن تسمعها . فقال له ابن عمّه : ما أكره ذلك يا أبا فراس , فإن رأيت أن تنشدني ما قلت فيه ؟ فقال الفرزدق : نعم , أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجدّه هذه الأبيات :

هـــذا الـــذي تعـــرف البطحـــاء وطأتـــه ... والبيـــت يعرفـــه والحـــل والحـــرم
هـــذا ابـــن خـــير عبـــاد الله كلهـــم ... هـــذا التقـــي النقـــي الطـــاهر العلـــم
هـــذا حســـين رســـول الله والـــده ... أمســـت بنـــور هـــداه تهتـــدي الأمـــم
هـــذا ابـــن فاطمـــة الزّهـــراء عترتهـــا ... أئمـــة الـــدين مجـــرياً بـــه القلـــم
إذا رأتـــه قـــريش قـــال قائلهـــا ... إلى مكـــارم هـــذا ينتهـــي الكـــرم
يكـــاد يمســـكه عرفـــان راحتـــه ... ركـــن الحطـــيم إذا مـــا جـــاء يســـتلم
بكفـــه خيـــزران ريحـــه عبـــق ... بكـــف أروع في عرنينـــه شمـــم
يغضـــي حيـــاء مـــن مهابتـــه ... فـــلا يكلـــم إلّا حـــين يبتســـم
ينشـــق نـــور الـــدجى عـــن نـــور غرتـــه ... كالشـــمس تنجـــاب عـــن إشـــراقها الظلـــم
مشـــتقة مـــن رســـول الله نبعتـــه ... طابـــت أرومتـــه والخـــيم والشـــيم
مـــن معشـــر حـــبهم ديـــن وبغضـــهم ... كفـــر وقـــربهم فـــوز ومعتصـــم
يســـتدفع الظلـــم والبلـــوى بحـــبهم ... ويســـتقيم بـــه الإحســـان والـــنعم
إن عـــد أهـــل النـــدى كـــانوا أئمـــتهم ... أو قيـــل مـــن خـــير أهـــل الأرض قيـــل هـــم
لا يســـتطيع جـــوازاً بعـــد غـــايتهم ... ولا يـــدانيهم قـــوم وإن كرمـــوا
بيـــوتهم في قـــريش يستضـــاء بهـــا ... في النائبـــات وعنـــد الحكـــم إن حكمـــوا
وجـــده مـــن قـــريش في أرومتهـــا ... مُحمّـــد وعلـــي بعـــده علـــم
بـــدر لـــه شـــاهد والشـــعب مـــن أحـــد ... والخنـــدقان ويـــوم الفـــتح قـــد علمـــوا
وخيـــبر وحنـــين يشـــهدان لـــه ... وفي قريضـــة يـــوم صـــيلم قـــتم
مـــواطن قـــد علـــت في كـــل نائبـــة ... علـــى الصـــحابة لم أكـــتم كمـــا كتمـــوا

ثمّ أقبل الفرزدق على ابن عمّه ذلك , فقال : والله , لقد قلت فيه الأبيات غير متعرّض لمعروفة , ولكن أردت الله بذلك والدّار الآخرة.

فعلى مثل هؤلاء الأطائب

فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله)

هـــاج حـــزني وهـــاج حـــر لهيـــبي ... وشـــجاني ذكـــر القتيـــل الغريـــب
وجفـــت مقلـــتي كراهـــا وســـحت ... ســـحب أجفانهـــا بـــدمع ســـكوب
وقليـــل لمـــن يمثـــل مـــولاه ... لـــدى الطـــف ذا حيـــين تريـــب
فـــيض دمـــع علـــى الخـــدود وتســـهاد ... جفـــون قرحـــى وطـــول نحيـــب
كـــربلا كـــم تركـــت عنـــدي كـــروباً ... بـــرزايا تـــذيب حـــب القلـــوب
كـــم هـــوى في ثـــراك مـــن بـــدر تم ... وأضـــر النـــوى بغصـــن رطيـــب
لهـــف نفســـي علـــى ابـــن بنـــت رســـول الله ... يـــدعو ومـــا لـــه مـــن مجيـــب
قـــائلاً : لـــيس في الأنام ابـــن بنـــت ... لنـــبي غـــيري فـــلا تغـــدروا بي
هـــل علـــى بدعـــة أبحـــتم دمـــي ، أم ... كنـــت قصـــرت ســـاهياً عـــن وجـــوب
لهـــف قلـــبي لطفلـــة فـــوق كفيـــه ... بصـــدر ظـــام ونحـــر خضـــيب
وهـــو يســـتقبل الـــدماء ويلقيهـــا ... ويبـــدي شـــكواه للمســـتجيب
لهـــف نفســـي لزينـــب تلطـــم الوجـــه ... فتـــدمي خـــدودها بالنـــدوب
وتناديـــه يا أخـــي يا بـــن أمـــي ... يا شـــقيقي أســـلمتني للخطـــوب
أيـــن جـــدي أيـــن البتـــول ألا أيـــن ... علـــيّ وا وحـــدتي وا لهيـــبي
لهـــف نفســـي لســـبي فاطمـــة الصـــغرى ... ولهفـــي لقلبهـــا المرعـــوب
لهـــف نفســـي علـــى ســـكينة مـــن خـــوف ... الأعـــادي تبكـــي بـــدمع صـــبيب
لهـــف نفســـي لأم كلثـــوم مـــن ســـلب ... نقـــاب ومحجـــر منهـــوب
لســـت أنســـى رأس الحُســـين كبـــدر ... الـــتم يبـــدو في رأس رمـــح كعـــوب
يا لثـــارات أحمـــد وعلـــي ... مـــن شـــنيع جـــرى وأمـــر عصـــيب
أيـــرى ثغـــر ابـــن فاطمـــة يقرعـــه ... أرذل الـــورى بالقضـــيب
يا ابـــن بنـــت النّـــبي يابـــن الـــذي ... أودعـــه الله ســـر علـــم الغيـــوب
ليـــت أن الوصـــي وافـــاك بالطـــف ... فلـــم تخـــش مـــن أذى وكـــروب
ولقـــد أخـــبر الـــرواة عـــن الشـــيخ المفيـــد ... الحـــبر الصـــدوق الأريـــب

يســـــند النقـــــل عـــــن رجـــــال ذوي ... عـــدل ثقـــاة لا نقـــل أفـــك وحـــوب
أخـــبر العـــامري عـــن جـــابر بـــن الحـــر ... يومـــــاً بغـــــير شـــــك مريـــــب
قـــال يرويـــه عـــن جويريـــة العبـــدي ... فيمـــــا رواه غـــــير كـــــذوب
قـــال : لـــمّا توجـــه الـــمُرتضى يطلـــب ... صـــــفين مـــــؤذناً للحـــــروب
مـــــرّ في كـــــربلاء فقـــــام بهـــــا ... مســـــتعبراً باكيـــــاً بقلـــــب كئيـــــب
ثم نادى هـــــذا منـــــاخ ركـــــاب ... القـــوم يفنـــون مـــن شـــباب وشـــيب
ومحـــــط الرحـــــال مـــــنهم وتفـــــوق ... المنـــــايا بكـــــل ســـــهل مصـــــيب
وكـــــأني بهـــــم وهـــــم بـــــين مقتـــــول ... بكـــــرب الظمـــــا وعـــــار ســـــليب
يـــــدخلون الجنـــــان ولم يســـــألوا عـــــن ... واجـــــب كلفـــــوا ولا منـــــدوب
بأبي افتـــــــــــــــــــــــديتهم وإلى الله ... احتســـــابي والله خـــــير حســـــيب
فعجبنـــــا مـــــن أمـــــره حيـــــث لا ينفـــــك ... يأتي بكـــــل أمـــــر عجيـــــب
فعرفنـــــا لـــــمّا رأينـــــا حســـــيناً ... ثمّ ملقـــــى فضـــــل الإمـــــام النجيـــــب
وعلمنـــــا بأن كشـــــف الطـــــويات ... وتكليمـــــه لجـــــان وذيـــــب
وخطـــــاب الإلـــــه بالطـــــائر المشـــــهور ... جهـــــراً ورد شمـــــس المغيـــــب
لم تكـــــن في الأنام إلّا لمســـــتودع ... ســـــر مـــــن القريـــــب المجيـــــب
يا بـــــني أحمـــــد إلـــــيكم تطربـــــت ... بمـــــدحي وأنـــــتم مطلـــــوبي
بكـــــم يرتجـــــي الخليعـــــي في الحشـــــر ... أمـــــاناً مـــــن موبقـــــات الـــــذنوب

الباب الثّاني

أيّها المؤمنون الصّالحون ! كيف لا تحزنون على سادات العباد , وأنوار الله في جميع الأقطار والبلاد , وحجج الله على الخلائق ولسانه النّاطق , والشّهداء على الأُمم بين يدي بارئ النّسم ، وهم بين قتيل بالسّم وآخر مضرّج بالدّم ؟! أترونهم ما علموا فضلهم الذي أجمع عليه كافة المُسلمين , أم عساهم جهلوا رتبتهم العالية عند ربّ العالمين ؟ كلا , ولكن أغواهم الشّيطان وأوصلهم إلى دار الهوان ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] . :

أيأمـــــن وحـــــش الـــــبر غائلـــــة الـــــورى ... وآل النّـــــبي الـــــمُصطفى غـــــير آمـــــن

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

تكـــدرت الـــدنيا علـــيهم وقـــد صـــفت لكـــــل عنيـــــد جاهـــــل متمـــــاجن

فيا خيبة ظالميهم كيف لم يتفطّنوا بما ورد فيهم ؟ فممّا صح روايته من طريق الخصم , مرفوعاً إلى أحمد بن حنبل , عن عليّ (عليه السلام) , قال : ((أخذ النّبي (صلى الله عليه وآله) بيد الحسن والحُسين , فقال : مَن أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما , كان معي يوم القيامة)).

وبالإسناد المذكور , مرفوعاً إلى عليّ (عليه السلام) , قال : ((دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا نائم في المنام , فاستسقى الحسن والحُسين)) . قال (ع) : ((فقام النّبي إلى شاة لنا كي يحلبها فدرّت , فجاء الحُسين فنحّاه النّبي , فقالت فاطمة : يا رسول , كان الحسن أحبّهما إليك ؟ فقال : لا , لكن استسقي قبله . ثمّ قال (ص) : إنّي وإيّاك وهذين وهذا الرّاقد في مكان واحد يوم القيامة)).

وبالإسناد المذكور , قال (ع) : ((كان الحسن والحُسين يأتيان رسول الله وهو في الصّلاة فيثبان عليه , فإذا نهيا عن ذلك , أشار بيده دعوهما , فإذا قضى الصّلاة , ضمّهما وقال : مَن أحبّني فليحب هذين)).

وبالإسناد المذكور , عن عليّ (عليه السلام) : ((قال (ص) : في الجنّة درجة تُسمّى الوسيلة , وهي لنبيّ أو لرسول , فإذا سألتموها لي ؟ قالوا : ومَن يسكن معك فيها ؟ قال (ص) : فاطمة والحسن والحُسين)) . :

أيا بـــــني الـــــوحي والتنزيـــــل يا أملـــــي يا مـــــن ولاهـــــم غـــــداً في الـــــبر يؤنســـــني

حـــــزني علـــــيكم جديـــــد دائـــــم أبـــــداً مـــــا دمـــــت حيـــــاً إلى أن ينقضـــــي زمـــــني

روي : أنّه لمّا كان من أمر الحُسين (عليه السلام) ما كان , وقُتل شهيداً وقُطع رأسه الشّريف , أمر عمر بن سعد (لعنه الله) بدفن جميع الخوارج والمنافقين من بني أُميّة , وتركوا الحُسين (عليه السلام) على وجه الأرض ملقى بغير دفن وكذلك أصحابه , وجاءوا بالنّساء قصداً وعناداً وعبّروهم على مصارع آل الرّسول , فلمّا رأت أُمّ كلثوم أخاها الحُسين (عليه السلام) وهو مطروح على وجه الأرض , تسفوا عليه الرّياح وهو مكبوب مسلوب , وقعت من أعلى البعير إلى الأرض , وحضنت أخاها الحُسين , وهي تقول ببكاء وعويل : يا رسول الله , انظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض بغير غسل ، كفنه الرّمل السّافي عليه وغسله الدّم الجاري من وريده , وهؤلاء أهل بيته يُساقون أُسارى في سبي الذي ما لهم محام يمانع عنهم , ورؤوس أولاده مع رأسه الشّريف

على الرّماح كالأقمار . فلمّا أحسّوا بها , عنّفوها وأركبوها وصاروا بها , باكية لا ترقى لها دمعة ولا تبطل لها حسرة :

ستســـــأل تـــــيم عـــــنهم وعـــــديها وبيعـــــتهم مـــــن أفجـــــر الفجـــــرات

هـــم منعـــوا الآباء عـــن أخـــذ حقهـــم وهـــم تركـــوا الأبنـــاء رهـــن شـــتات

وهـــم عـــدلوها عـــن وصـــي مُحمّـــد فبيعـــتهم جـــاءت علـــى الفلتـــات

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) لا زالت بعد رسول الله معصبة الرّأس ناحلة الجسم , منهدّة الرّكن من المصيبة بموت النّبي (صلى الله عليه وآله) , وهي ؛ مغمومة مهمومة , محزونة مكروبة , كئيبة باكية العين , محترقة القلب , يُغشى عليها ساعة بعد ساعة حين تذكره , وتذكر السّاعات التي كان يدخل فيها عليها , فيعظم حزنها مرّة بعد مرّة , وتنظر مرّة إلى الحسن ومرّة إلى الحُسين وهما بين يديها , فتقول : ((أين أبوكما النّبي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة ؟ أين أبوكما النّبي كان أشدّ النّاس شفقة عليكما , فلا يدعكما تمشيان على وجه الأرض ؟ فإنّا لله وإنا إليه راجعون , فُقد والله جدّكما وحبيب قلبي , ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً , ولم يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما)).

ثمّ إنّها مرضت مرضاً شديداً , ومكثت أربعين ليلة في مرضها الذي توفّيت فيه , فلمّا نُعيت إليها نفسها , دعت أُمّ أيمن وأسماء بنت عميس , ووجّهت خلف عليّ وأحضرته , وقالت : ((يابن العمّ , إنّه قد نُعيت إليّ نفسي , وإنّني لأرى ما بي لا شك , إلا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة , وأنا أوصيك بأشياء في قلبي)) . قال لها عليّ (عليه السلام) : ((أوصيني بما أحببت يابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله))) . فجلس عند رأسها وأخرج مَن كان في البيت , ثمّ قالت: ((ابن العم , ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ؟)) . فقال (عليه السلام) : ((معاذ الله ! أنت أعلم بالله وأتقى وأكرم , وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك بمخالفتي , فقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلا أنّه أمر لا بدّ منه , والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله , وقد عظمت وفاتك وفقدك , فإنّا لله وإنّا إليه راجعون , مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها , هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزيّة لا خلف لها)) . ثمّ بكيا جميعاً ساعة واحدة على رأسها وضمّها إلى صدره , ثمّ قال : ((أوصيني بما شئت تجديني وفيّاً , امضي كلّ ما امرتيني به وأختار أمرك على أمري)) . ثمّ قالت : ((جزاك الله عنّي خير الجزاء , يابن العم , أوصيك أوّلاً أن تتزوّج

بعدي بابنة أختي أمامة ؛ فإنّها تكون لولدي مثلي , فإنّ الرّجال لا بدّ لهم من النّساء , ثمّ أوصيك يابن العم , أنّ تتخذ لي نعشاً , فقد رأيت الملائكة صوروا صورته)) . فقال لها : ((صفيه لي)) . فوصفته , فاتخذه لها ، فأوّل نعش عُمل على وجه الأرض ذلك , وما رأى أحد قبله , ثمّ قالت : ((أوصيك أن لا يشاهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقّي , فإنّهم أعدائي وأعداء رسول الله , ولا تترك أن يُصلّي عليّ أحد منهم ومن أتباعهم , وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار)) . ثمّ توفيت (صلوات الله عليها).

وعن ابن عباس , أنّه قال : لـمّا جاء فاطمة الأجل , لم تحل ولم تصدع ولكن أخذت بيد الحسن والحُسين , فذهبت بهما إلى قبر النّبي (صلى الله عليه وآله) , فاجلستهما عنده , ثمّ وقفت بين المنبر والقبر فصلّت ركعتين , ثمّ ضمّت الحسن والحُسين إلى صدرها والتزمتهما , وقالت : ((يا أولادي , اجلسا عند أبيكما ساعة)) . وعليّ (عليه السلام) يفتي في المسجد , ثمّ رجعت من عندهما نحو المنزل , فحملت ما فضل من حنوط النّبي , فاغتسلت به ولبست فضل كفنه , وقالت : ((يا أسماء)) (وهي : امرأة جعفر الطّيار) فقالت : لبيك يا بنت رسول الله . قالت : ((تعاهديني , فإنّي أدخل هذا البيت فأضع جنبي ساعة , فإذا مضت ساعة ولم أخرج فناديني ثلاثاً , فإن أجبتك , وإلّا فاعلمي أنّي لحقت رسول الله (صلى الله عليه وآله))) . ثمّ قامت مقام رسول الله في بيتها , فصلّت ركعتين , ثمّ جلّلت وجهها بطرف ردائها , وقضت نحبها.

وفي نقل آخر : أنّها ماتت في سجودها , فلمّا مضت ساعة , أقبلت أسماء فنادت : يا فاطمة الزّهراء ! يا أُمّ الحسن والحُسين ! يا بنت رسول الله ! يا سيّدة نساء العالمين ! فلم تجب , فإذا هي ميتة – قيل لابن عباس : كيف عَلمت وقت وفاتها ؟ قال : اعلمها أبوها – ثمّ إنّ أسماء شقّت جيبها , وقالت : كيف أجترئ أن أخبر ابني رسول الله بوفاتك ؟ ثمّ خرجت فتلقّاها الحسن والحُسين , فقالا : ((أين أُمّنا ؟)) . فسكتت فدخلا البيت فإذا هي ممتدة , فحرّكها الحُسين فإذا هي ميتة , فقال : ((يا أسماء , آجرك الله في الوالدة)) . وخرجا يُناديان : ((يا مُحمّداه ! يا أحمداه ! اليوم جُدّد لنا موتك إذ ماتت أُمّنا)) . ثمّ أخبرا عليّاً وهو في المسجد , فغشي عليه حتّى رُشّ عليه الماء ، فلمّا أفاق حملهما حتّى أدخلهما إلى بيت فاطمة , وعند رأسها أسماء تبكي وتقول : وا ابنا محمداه ! كنّا نتعزّى بفاطمة بعد موت جدّكما , فيمن نتعزى بعدها ؟ فكشف

عليّ عن وجهها , فإذا برقعة عند رأسها , فنظر إليها فإذا فيها : ((بسم الله الرّحمن الرّحيم , هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله , وهي تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله , وأنّ الجنّة حقّ والنّار حقّ , وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها , وأنّ الله يبعث مَن في القبور . يا عليّ , أنا فاطمة بنت مُحمّد , زوّجني الله منك ؛ لأكون لك في الدّنيا والآخرة , أنت أولى بي من غيرك , حنّطني وغسّلني وكفّني , وصلّ عليّ , وادفنّي بالليل , ولا تعلم أحداً , واستودعك الله , واقرأ ولدي السّلام إلى يوم القيامة)) . فلمّا جنّ الليل , غسّلها عليّ ووضعها على السّرير , وقال للحُسين : ((ادع لي أبا ذر)) . فدعاه , فحملاها إلى المُصلّى , فصلّى عليها , ثمّ صلّى ركعتين ورفع يده إلى السّماء , فنادى : ((هذه بنت نبيك فاطمة , اخرجها من الظّلمات إلى النّور)) . فأضاءت الأرض ميلاً في ميل , فلمّا أرادوا أن يدفنوها , نادوا من بقعة من البقع : إليّ إليّ , فقد رفع تربتها منّي . فنظروا فإذا بقبر محفور , فحملوا السّرير إليه فدفنوها , فلمّا أنزلها عليّ والحسن والحُسين (عليهم السلام) , جلس عليّ على شفير القبر , فقال : ((يا أرض استودعتك وديعتي , هذه فاطمة بنت رسول الله)) . فنودي منها : ((يا عليّ , أنا أرفق بها منك , فارجع ولا تهتم)) . فرجع وانسدّ القبر واستوت الأرض , فلم يُعلم اين كان إلى يوم القيامة.

وفي نقل آخر : أنّها لمّا توفيت (عليها السلام) , صاح أهل المدينة صيحة واحدة , واجتمعت نساء بني هاشم في دارها , فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ , وهنّ يقلنّ : يا سيدتاه ! يا بنت رسول الله ! وأقبل النّاس إلى عليّ وهو جالس والحسن والحُسين بين يديه يبكيان والنّاس يبكون لبكائهما , وخرجت أُمّ كلثوم عليها برقعها وهي تجرّ ذيلها , متجللة برداء عليها تسحبه وهي تقول : يا أبتاه ! يا رسول الله ! الآن فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً . واجتمع النّاس فجلسوا وهم يرجون أن تخرج الجنازة ليصلّوا عليها , فخرج أبو ذر , فقال : انصرفوا , فإنّ بيت مُحمّد قد أخّر إخراجها في هذه العشيّة . فانصرف النّاس , فلمّا أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل , أخرجها ؛ عليّ والحسنان , وعمار والمقداد , وعقيل وأبوذر وسلمان , ونفر من بني هاشم , ودفنوها في جوف الليل , وسوّى عليّ (عليه السلام) حولها قبوراً مزوّرة ؛ حتّى لا يُعرف قبرها , وقال عند دفنها : ((السّلام عليك يا رسول الله عنّي , ومن ابنتك النّازلة في جوارك السّريعة اللحاق بك , قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري

ورقّ عنها تجلدي , إلا أنّ لي في التّأسّي بعظم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك , وفاضت بين نحري وصدري نفسك , فإنّا لله وإنّا إليه راجعون , فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرّهينة , أمّا حزني فسرمد , وأمّا ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم , وستنبئك فاحفها السؤال واستخبرها الحال , هذا ولم يطل العهد , والسّلام عليكما سلام مودّع لا قال ولا سئم , فإن انصرف لا عن ملالة , وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصّابرين)).

قال الأصبغ بن نباتة : سُئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن علّة دفن فاطمة ليلاً ، فقال (عليه السلام) : ((إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها , وحرام على مَن لا أتولاهم أن يصلّي على أحد من ولدها)).

قال عبد الرّحمن الهمداني : لمّا دفن عليّ فاطمة , قام على شفير القبر وأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

سيعرض عن ذكري وينسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

فتفكّروا يا إخوان الدّين على هؤلاء الكفرة الملاعين , كيف انتهزوا في أهل بيت الرّسول الفرص , وجرّعوهم كاسات الغصص , ضيّعوا من الرّسول وصيته , وابتزّوا نحلته , وشحّوا ببلغة ذرّيّته , وغدروا ببيته وعترته شرّدوهم عن الأوطان , وتتبعوهم في كلّ مكان , فوا حسرتاه عليهم ! ووا لهفتاه لديهم ! فعلى مثل هؤلاء فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , وعليهم فلتذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ عليّ بن عبد الحميد (رحمه الله تعالى)

أيحسن من بعد الفراق سرور ... وكيف وعيشي بعد ذاك مرير

تنكرت الأيام من بعد بعدهم ... فعيني عبرى والفؤاد كسير

على لذة العيش الحشاء وهل ترى ... يلذذ مكروب الفؤاد أسير

يقول عذولي أين صبرك إننا ... عهدناك لا تخشى وأنت صبور

تروح عليك النائبات وتغتدي ... وما أنت مما يعتريك ضجور

إذا مـــا عـــرى الخطـــب المهـــول وأصـــبحت ... لـــــه نـــــوب أمـــــواجهن تمـــــور
لبســـت لـــه الصـــبر الجميـــل ذريعـــة ... فقلبـــــك مـــــرتاح وأنـــــت قريـــــر
فـــأي مصـــاب هـــد ركنـــك وقعـــه ... فقلبـــــك فيـــــه حرفـــــة وزفـــــير
لحـــى الله عـــذالي أمـــا علمـــوا الـــذي ... عـــراني ومـــا الـــدمع ظـــل يفـــور
أعـــاذل خـــل اللـــوم عـــني فإنـــه ... أصـــابك إثمّ لـــو علمـــت كبـــير
أتنســى مصــاب الســبط نفســي لــه الفــدا ... مصـــاب لـــه قتـــل النفـــوس حقـــير
أبى الـــذل لـــمّا حـــاولوا منـــه بيعـــة ... وإن حســـــــيناً بالإباء جـــــــدير
وراح إلى البيـــــت الحـــــرام يؤمـــــه ... بعـــزم شـــديد لـــيس فيـــه قصـــور
فجاءتـــه كتـــب الغـــادرين بعهـــده ... فأقـــدم إلينـــا فالنصـــير كثـــير
فقـــدم مـــن قبـــل القـــدوم بمســـلم ... فأســـلمه العـــادون وهـــو كســـير
فـــألقوه مـــن فـــوق الجـــدار معفـــراً ... لـــه طيـــب جنـــات الخلـــود مصـــير
ووافـــــاهم حـــــتّى أناخ بكـــــربلا ... علـــى أنهـــم عـــون لـــه ونصـــير
فلمـــا أتاه الحـــر بالخيـــل ضـــمراً ... جيـــاد علـــى أصـــواتهن شـــرور
فقـــال علينـــا أم لنـــا قـــال بـــل إلى ... قتالـــك يا بـــن الأكـــرمين نســـير
فقـــال أمـــا كـــاتبتموني وقلـــتم ... إلينـــا فهـــا كـــل إليـــك يشـــير
فقـــالوا كـــذبنا كـــي يحـــط بـــك الـــردى ... ونشـــفي بأخـــذ الثـــأر منـــك صـــدور
وجـــاء ابـــن ســـعد بالجيـــوش كأنهـــا ... عمـــام تفاديهـــا صـــبا ودبـــور
فقـــال لهـــم يا عصـــبة الكفـــر إنـــني ... لعمـــري علـــى مـــر الزمـــان صـــبور
أمـــا فـــاطم أمـــي أمـــا حيـــدر أبي ... وجعفـــر عمـــي في الجنـــان يطـــير
أمـــا جـــدي الهـــادي أمـــا أنا ســـبطه ... أمـــا بـــذوي القـــربى إلي يشـــير
بأي إجـــــــترام أم بأي جنايـــــــة ... أبحـــــتم قتلـــــي أن ذا لغـــــور
فقـــالوا أطـــع حكـــم الأمـــير فإننـــا ... إلى أمـــره فيمـــا يقـــول نصـــير
وإلّا فـــدع عنـــك الجـــدال وقـــم إلى ... القتـــال فـــإن القـــول منـــك كثـــير
فلمـــا رأى أن لا منـــاص مـــن الـــردى ... وإن مـــراد القـــوم منـــه كبـــير
فقـــال لأهليـــه وباقـــي صـــحبه ... ألا إن لبثـــي فـــيكم ليســـير
علـــيكم بهـــذا الليـــل فاســـتتروا بـــه ... وقومـــوا وجـــدوا في الظـــلام وســـيروا

ويأخذ كل منكم يد واحد ... من الآن واخفوا في البلاد وغوروا
فما بغية الأرجاس غيري وخالقي ... على كل شيء يبتغيه قدير
فقالوا معاذ الله نسلمك للعدى ... وتضفي علينا للحياة ستور
فأي حياةٍ بعد فقدك نرتجي ... وأي فؤادٍ يعتريه سرور
ولكن نقي عنك الردى بسيوفنا ... لتحظى بنا دار النعيم وحور
فقال جزيتم كل خير فأنتم ... لكل الورى يوم القيامة نور
فأصبح يدعو هل مغيث يغيثنا ... فقلّ مجيبوه وعز نصير
ولم تبق إلّا عصبة علوية ... لهم عزمات ما بهن قصور
ولما شبت نار الحروب وأضرمت ... وقت نفسه هام لهم ونحور
ولم أنسه يوم الهياج كأنه ... هزبر له وقع السيوف زئير
يكر عليهم والحسام بكفه ... فلم يرر إلّا صارخ وعفير
وراح إلى نحو الخيام مودعاً ... يهمهم بالقرآن حيث يسير
فقمن إليه الفاطميات حسراً ... يفدينه والمعولات كثير
فقال استعينوا بالإله فإنه ... عليم بما يخفي العباد بصير
الا لا تشققن الجيوب ولا يرى ... لكن عويل إن ذاك غرور
ألم تعلمي يا أخت أن جميع من ... على الأرض كل للمماة يصير
عليك بزين العابدين فإنه ... إمامك بل للمؤمنين أمير
أطيعي له إن قال مولى فإنه ... المطاع بأحكام الكتاب خبير
عليّ بطفلي كي أودعه اني ... عليه لعمري مشفق وحذير
فلما أقل الطفل يطلب لثمه ... ومن حوله خيل العداة تدور
رموه بسهم ظل منه معفراً ... وظل دم الأوداج منه يفور
فقال إلهي أنت أعلم بالذي ... لقيت وهذا في رضاك يسير
وشد عليهم شدة علوية ... تكاد لها الصم الصلاد تمور
فقاتلهم فرداً وحيداً وإذا هم ... ثلاثون ألفاً دارع وحسير
يفرون كالمعزى إذا شد نحوهم ... أبو أشبل عبل الذراع مبير
إذا ما سطا شاهدت هاماً مفلقاً ... وأيد من الضرب الدراك تطير
بخط يخطي القنا فهي ظهورهم ... خطوطاً لها وقع السيوف سطور

إذا جـــردت يـــوم الهيـــاج ســـيوفه ... فـــلا ســـيف إلّا والرقـــاب حفـــير
رقـــا فـــوق أطبـــاق الطبـــاق وقـــد غـــدا ... لـــه فـــوق أمـــلاك الســـماء ســـرير
لـــه زجـــل كالرعـــد والـــبرق ســـيفه ... فيمطـــرهم حتفـــاً لهـــم فيبـــير
فلمـــا رأوا أن لا وصـــول إلى الـــذي ... يريـــدون والأمـــر المـــراد خطـــير
تنـــادوا ألا بالنبـــل نيـــل مـــرادكم ... وإلّا فخلـــوا عـــن لقـــاه وســـيروا
فظلـــت بنـــو الزرقـــاء ترشـــق وجهـــه ... بنبـــل لـــه نحـــو الحســـين دروروا
رمـــوه بســـهم طـــاح في وســـط لبـــه ... وآخـــر في نحـــر الحُســـين يفـــور
فخـــر صـــريعاً لليـــدين مرمـــل ... التراثـــب لا يلـــوي عليـــه نصـــير
وجـــاء ســـنان فـــارتقى فـــوق صـــدره ... وظـــل لأوداج الحُســـين يبـــير
وعـــلا كـــريم السـبط مـــن فـــوق ذابـــل ... كبـــدر مطـــل في الـــبلاد يســـير
فيـــا ذلـــة الإســـلام مـــن بعـــد عـــزه ... ويا لـــك رزء في الأنام خطـــير
وأي حيـــاة بعـــد ذي الـــرزء يرتجـــى ... وأي فـــؤاد يعتريـــه ســـرور
فيـــا عـــبرتي ســـحي ويا حـــرقتي ازدري ... ويا نفـــس ذوبي فالمصـــاب كبـــير
علـى طيـب عـيش لـو صـفا بعـدك العفـا ... وظلمـــة حـــزني لا أضـــاء لـــك نـــور
ومـــر جـــواد الســـبط يبـــدي صـــهيله ... إلى نعـــي مـــولاي الحُســـين يشـــير
فقمـــن إليـــه الفاطميـــات حســـراً ... يقلـــن ألا ويـــل لكـــم وثبـــور
قتلـــتم حســـيناً ليـــت لا در فـــوقكم ... ســـحاب هطـــول صـــوبهن درور
وراحـــوا إلى ســـلب الفـــواطم جهـــرة ... وظـــل علـــيّ في القيـــود أســـير
ولم أنـــس بنـــت الـــمُرتضى زينبـــاً وقـــد ... رأتـــه صـــريعاً والـــدماء تفـــور
فنـــادت بأعلـــى صـــوتها مســـتجيرة ... ألا هـــل لنـــا ممـــا نـــراه مجـــير
أيا جـــد لـــو عاينـــت ســـبطك بالعـــرا ... قتـــيلاً بأرض الطـــف وهـــو عفـــير
أيا جـــد لـــو عاينتنـــا ورأيتنـــا ... اســـارى إلى نحـــو الشـــئام نســـير
أخـــي يا أخـــي مـــا كـــان أســـرع فـــرقتي ... ألا أن دهـــري بالكـــرام عثـــور
حيـــارى علـــى الأقتـــاب تبـــدو وجوههـــا ... وكـــان لعمـــري دونهـــن ســـتور
بناتـــك ياجـــداه تبـــدوا جســـومها ... ونســـوة حـــرب دونهـــن قصـــور
ألســـنا ذوي القـــربى أمـــا حقنـــا علـــى ... الأنام بـــه نـــص الكتـــاب يشـــير

أمـــا قلـــت يا جـــد احفظـــوهم فـــإنهم لكـــم عصـــم فيهـــا الحيـــاة ونـــور
فلـــو لم تقـــل هـــذا تـــرى كـــان أمـــرنا إلى بعـــض مـــا قـــد صـــيروه يصـــير
فأبكـــت جميـــع النّـــاس طـــراً بنوحهـــا لعمـــري كبـــير مـــنهم وصـــغير
لقـــد هـــدموا الـــدين الحنيـــف بقتلـــه وظـــل عمـــود الـــدين وهـــو كســـير
وأني ليعرفـــوني إذا مـــا ذكـــرتهم غـــرام تكـــاد الـــنفس منـــه تطـــير
أفكـــر في هـــذا المصـــاب فأغتـــدي كـــأني رغـــاء في الرغـــاء أغـــور
وقـــال أناس جـــل أن يـــر هالكـــاً ولكـــن لعـــيش راح وهـــو نظـــير
ولـــيس كمـــا قـــالوا ولكـــن إلهنـــا ابـــتلاه لكـــي يلقـــاه وهـــو صـــبور
فيجزيـــه بالفضـــل العمـــيم وجنـــة النعـــيم ويجـــزي قاتليـــه ســـعير
أيا آل طـــه والحـــواميم والنســـا ومـــن بهـــم يرجـــو النجـــاة أســـير
وعـــودكم دار الرضـــا ووعيـــدكم ســـعير لهـــا في الظـــالمين ســـعير
علـــي فـــتى عبـــد الحميـــد بمـــدحكم طـــروب بكـــم يـــوم الحســـاب قريـــر
بحـــبكم يعلـــو علـــى قمـــم العـــلا وأنـــتم لـــه يـــوم القيامـــة نـــور
ومـــن أنـــتم عـــون لـــه في وجـــودكم فمـــتن بأن يلقـــى الرســـا وجـــدير
منحـــتكم مـــدحي رجـــاء شـــفاعة لـــدى الحشـــر والراجـــي لـــذاك كثـــير
خـــذوها قصـــيداً يخجـــل الشـــمس نورهـــا ويعجـــز عنهـــا جـــرول وجريـــر
إذا نثـــرت بـــين المـــلأ بمـــديحكم تضـــوع منهـــا منـــدل وعبـــير
محـــررة قـــد زانهـــا بـــث مـــدحكم ومـــا شـــأنها عمـــا يـــراد قصـــور
علـــيكم ســـلام الله مـــا لاح بارق ومـــا غـــردت فـــوق الغصـــون طيـــور

الباب الثالث

يا إخواني , سارعوا إلى الخيرات وارتقوا إلى علي الدّرجات , واجتهدوا في شكر من يفضلّه أولاكم , ودلكم على موالات وليّكم ومولاكم , فتابعوه إن كنتم تحبّوه فما أمكنكم من الأقوال والأعمال , فإنّه لا خير في قول تكذبه الفعال ، واعدّوا ذلك من أتمّ النّعم الواصلة إليكم والتي أفاضها الله واسبغها عليكم ، فيا لها نعمة فاز بها المؤمنون , فاغنت عنهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فيا إخواني , إنّ نظرتم ببصر بصيرتكم , عرفتم مَن تقصدونه بعزيّتكم ، إنّكم والله تعزّون البتول

والنّبي المُصطفى الرّسول , والوصي المُرتضى والزّكي المجتبى , وأئمة الهُدى وذوي النّهى , وحجج الله في الورى.

فبالله عليكم أيّها المحبّون لأولاد فاطمة الزّهراء , نوحوا واندبوا على المنبوذين بالعراء , المسلوبين لأولاد الأدعياء , المحمولين على أقتاب الجمال بلا مهاد ولا وطاء :

أُصـــــيبت ذراري الـــــمُصطفى بمصـــــيبة تجـــــدد حـــــزني كـــــل يـــــوم مجـــــدد

أذاب فـــــؤادي رزؤهـــــم فبكيـــــتهم لأنهـــــم فخـــــري وذخـــــري وســـــؤدد

فكيـــف ألـــذ العـــيش أو أعـــرف الكـــرى وقلـــبي علـــى جمـــر الغضـــا يتوقـــد

روي عن بعض الثُقاة الأخيار : أنّ الحسن والحُسين (عليهما السلام) دخلا يوم عيد على حجرة جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فقالا : ((يا جدّاه , اليوم يوم العيد , وقد تزيّن أولاد العرب بألوان اللباس ولبسوا جديد الثّياب , وليس لنا ثوب جديد , وقد توجّهنا لجنابك لنأخذ عيديتنا منك , ولا نريد سوى ثياب نلبسها)) . فتأمّل النّبي (صلى الله عليه وآله) إلى حالهما وبكى , ولم يكن عنده في البيت ثياب تليق بهما , ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما , فتوجّه إلى الأحدية وعرض الحال على الحضرة الصّمدية , وقال : ((إلهي , اجبر قلبهما وقلب أُمّهما)) . فنزل جبرائيل من السّماء تلك الحال , ومعه حلّتان بيضاوتان من حلل الجنّة , فسّر النّبي (صلى الله عليه وآله) , وقال لهما : ((يا سيّدي شباب أهل الجنّة , هاكما أثوابكما خاطهما خيّاط القدرة على طولكما , أتتكما مخيطة من عالم الغيب)) . فلمّا رأيا الخلع بيضاً , قالا : ((يا جدّاه , كيف هذا وجميع صبيان العرب لا يسون ألوان الثّياب ؟!)) . فأطرق النّبي (صلى الله عليه وآله) ساعة متفكّراً في أمرهما , فقال جبرائيل : يا مُحمّد , طب نفساً وقُر عيناً , إنّ صابغ صبغة الله عزّ وجلّ يقضي لهما هذا الأمر , ويفرّح قلوبهما بأيّ لون شاء , فأمر يا مُحمّد , بإحضار الطّشت والإبريق . فحضرا , فقال جبرائيل : يا رسول الله , أنا أصبّ الماء على هذه الخلع , وأنت تفركهما بيدك , فتصبغ بأيّ لون شاءا . فوضع النّبي حلّة الحسن في الطّشت , فأخذ جبرائيل يصبّ الماء ، ثمّ أقبل النّبي على الحسن , وقال : ((يا قرّة عيني , بأيّ لون تريد حلّتك ؟)) . فقال : ((أريدها خضراء)) . ففركها النّبي (صلى الله عليه وآله) بيده في ذلك الماء , فأخذت بقدرة الله لوناً أخضر فابقاً كالزّبرجد الأخضر , فأخرجها النّبي (صلى الله عليه وآله) وأعطاها للحسن فلبسها , ثمّ وضع حلّة الحُسين (عليه السلام) في الطّشت , وأخذ جبرائيل يصبّ الماء , فالتفت النّبي إلى نحو

الحُسين , وكان له من العمر خمس سنين , وقال له : ((يا قرّة عيني , أيّ لون تريد حلّتك ؟)) فقال الحُسين (عليه السلام) : ((يا جدّاه , أريدها حمراء)) . ففركها النّبي بيده في ذلك الماء , فصارت حمراء كالياقوت الأحمر فلبسها الحُسين , فسرّ النّبي (صلى الله عليه وآله) بذلك , وتوجّه الحسن والحُسين إلى أُمّهما فرحين مسرورين , فبكى جبرائيل لـمّا شاهد تلك الحال , فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((يا أخي , في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن , فبالله عليك إلّا ما أخبرتني ؟)) . فقال جبرائيل : اعلم يا رسول الله , إنّ اختيار ابنيك على اختلاف اللون , فلا بدّ للحسن أن يسقوه السّم , ويخضر لون جسده من عظم السّم , ولابدّ للحُسين أن يقتلوه ويذبحوه ويخضّب بدنه من دمه . فبكى النّبي (صلى الله عليه وآله) وزاد حزنه لذلك.

وروى هشام بن عروة , عن أُمّ سلمة , أنّها قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُلبس ولده الحُسين (عليه السلام) حلّة ليست من ثياب أهل الدّنيا , وهو يُدخل أزرار الحُسين بعضها ببعض , فقلت له : يا رسول الله , ما هذه الحلّة ؟ فقال : ((هذه هدية أهداها إليّ ربّي لأجل الحُسين , وأنّ لحمتها من زغب جناح جبرائيل , وها أنا ألبسه إيّاها وأزيّنه بها , فإنّ اليوم يوم الزّينة وأنا أحبّه)).

وروى أبو عبد الله المفيد النّيسابوري في أماليه , أنّه قال : قال الرّضا (عليه السلام) : ((عري الحسن والحُسين (عليهما السلام) وقد أدركهما العيد , فقالا لأُمّهما فاطمة : يا أُمّاه , قد تزيّن صبيان المدينة إلّا نحن , فما بالك لا تزيّيننا بشيء من الثّياب , فها نحن عرايا كما ترين ؟ فقالت لهُما : يا قُرّة العينين , إنّ ثيابكما عند الخياط , فإذا خاطها وأتى بها زيّنتكما بها يوم العيد . تطيب خواطرهما , قال : فلمّا كانت ليلة العيد , أعادا القول على أُمّهما وقالا : يا أُمّاه , الليلة ليلة العيد . فبكت فاطمة رحمة لهما , وقالت لهما : يا قُرّة العينين طيبا نفساً , إذا أتاني الخيّاط بها , زيّنتكما إن شاء الله تعالى . قال : فلمّا مضى وهن من الليل وكانت ليلة العيد , إذ قرع الباب قارع , فقالت فاطمة : مَن هذا ؟ فنادى : يا بنت رسول الله , افتحي الباب أنا الخيّاط قد جئت بثياب الحسن والحُسين . قالت فاطمة : ففتحت الباب , فإذا هو رجل لم أر أهيب منه شيبة ولا أطيب منه رائحة , فناولني منديلاً مشدوداً ثمّ انصرف لشأنه , فدخلت فاطمة وفتحت المنديل , فإذا فيه قميصان ودراعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفّان , فسرّت فاطمة بذلك سروراً عظيماً , فلمّا استيقظ الحسنان , ألبستهما وزيّنتهما

بأحسن زينة , فدخل النّبي إليهما يوم العيد وهما مزيّنان , فقبّلهما وهنأهما بالعيد , وحملهما على كتفيه ومشى بهما إلى أُمّهما , ثمّ قال : يا فاطمة , رأيت الخيّاط الذي أعطاك الثّياب هل تعرفيه ؟ قالت : لا والله , لست أعرفه ولست أعلم أنّ لي ثياباً عند الخياط , فالله ورسوله أعلم بذلك . فقال : يا فاطمة , ليس هو خيّاط , وإنّما هو رضوان خازن الجنان , والثّياب من حلل الجنّة , أخبرني بذلك جبرائيل عن ربّ العالمين)) . :

فضـــائلهم جلـــت منـــاقبهم علـــت مـــدائحهم شـــهد منـــائحهم نـــد

علـــوا في الـــورى جـــداً وأُمـــاً ووالـــداً وطـــابوا وطـــاب الأُم والأب والجـــد

بأسمـــائهم يســـتجاب الـــبر والرضـــا بـــذكرهم يســـتدفع الضـــر والجهـــد

روى بعض الأخيار : أنّ أعرابياً أتى الرّسول , فقال له : يا رسول الله , لقد صدت خشفة غزالة وأتيت بها إليك؛ هدية لولديك الحسن والحُسين , فقبّلها النّبي ودعا له بالخير , فإذا الحسن واقف عند جدّه , فرغب إليها وأعطاها إيّاه , فمضى ساعة إلّا والحُسين قد أقبل , فراى الخشفة عند أخيه يلعب بها , فقال : ((يا أخي , من أين لك هذه الخشفة ؟)) . فقال الحسن : ((أعطانيها جدّي رسول الله (ﷺ))) . فسار الحُسين مسرعاً إلى جدّه , فقال : ((يا جدّاه , أعطيت أخي خشفة يلعب بها ولم تعطني مثلها ؟)) . وجعل يكرر القول على جدّه وهو ساكت , لكنّه يسلّي خاطره ويلاطفه بشيء من الكلام , حتّى أفضى من أمر الحُسين إلى أن همّ يبكي , فبينما هو كذلك , إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد , فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها , ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله وتضربها بأحد أطرافها , حتّى أتت بها إلى النّبي , ثمّ نطقت الغزالة بلسان فصيح , وقالت : يا رسول الله , قد كانت لي خشفتان , إحداهما صادها الصّياد وأتى بها إليك , وبقيت لي هذه الأُخرى وأنا بها مسرورة , وإنّي كنت الآن أرضعها , فسمعت قائلاً يقول : أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفك إلى النّبي (ﷺ) , وأوصليه سريعاً ؛ لأنّ الحُسين واقف بين يدي جدّه وقد همّ أن يبكي , والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة , ولو بكى الحُسين , لبكت الملائكة المقرّبون لبكائه . وسمعت أيضاً قائلاً يقول : أسرعي يا غزالة , قبل جريان الدّموع على خدّ الحُسين , فإن لم تفعلي سلّطت عليك هذه الذّئبة تأكلك مع خشفك.

فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله , وقطعت مسافة بعيدة , لكن طويت الأرض حتّى أتيتك سريعة , وأنا أحمد الله ربّي كيف جئتك قبل جريان دموع الحُسين على خدّه . فارتفع التّكبير والتّهليل من الأصحاب , ودعا النّبي (صلى الله عليه وآله) للغزالة بالخير والبركة , وأخذ الحُسين الخشفة وأتى بها إلى أُمّه الزّهراء (عليها السلام) , فسرّت بذلك سروراً عظيماً.

فيا أيّها السّامعون تأمّلوا وتبصّروا وتدبّروا وتفكّروا , إذا كان النّبي (صلى الله عليه وآله) يحزنه حزنهما ويسرّه سرورهما , وكذلك الزّهراء أُمّهما , وكذلك الأنزع البطين أبوهما , فكيف لو نظروه مطروحاً على الرّمضاء , يتلظّى من الظّمأ بين الأعداء , وذراريه وأولاده يُحملون على الأقتاب بغير غطاء ولا وطاء ؟! حزناً والله لا ينفذ وحسرة في طول الزّمان تجدد . فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

لم أبك من وقفة على الدمن ... ولا لخل نأى ولا سكن

ولم تهجني الديار موحشة ... ولا شجتني بواكر الظعن

لكن شجاني بكاء فاطمة ... على أبيها بمدمع هتن

وبيت أحزانها ووحدتها ... فيه حمى مقلتي عن الوسن

ومنعها من حقوقها بأباطيل ... أحاديثهم يروعني

وقولهم ليس للنبي مواريث ... خلاف الفروض والسنن

ومشيها في ملاءة مثل مشي ... المُصطفى راعني وأرقني

مع نسوة من قريش تحجبها ... وهي تشكو من لوعة الحزن

وا حر قلبي لها وأنتها ... قد أجهشتهم والدمع كالمزن

ثم تنادي الأنصار يا بيضة الإسلام ... هل من ناصر فينصرني

أنا ابنة المُصطفى النّبي ومن ... أطفأ نار الضلال والفتن

إن لم تكونوا أنصار آل رسول ... الله فما ينوبهم فمن

خذوا بحقي من المكذب بالدين ... فقد دعّني ودافعني

بأي شرع يزوى تراث أبي ... عني ويجتاحني ويظلمني

هـــــل دنـــــت ربي بغـــــير ملتـــــه ... أو لم أطعـــــــه فـــــــلا يـــــــورثني
أم خـــــصّ هـــــذا دوني وعلمـــــه ... مـــــا لم يكـــــن والـــــدي يعلمـــــني
حـــتى احتـــوى نحلـــتي وبلغـــة أطفـــالي ... عنـــــــاداً منـــــــه وأعـــــــوزني
فليرتحلهـــــــا مخطومـــــــة ذلـــــــلا ... تكـــــون في قـــــبره مـــــع الكفـــــن
ويـــوم حشـــر العبـــاد ألقـــاه والحـــاكم ... رب الأنام ذو المـــــــــــــــــــــــــنن
ويـــــلاه مـــــن كـــــل شـــــارق بهـــــج ... ويـــــلاه مـــــن كـــــل غـــــارب وجـــــن
مـــــات اعتمـــــادي وفـــــت في عضـــــدي ... ونيـــــل مـــــني وقـــــد وهـــــى ركـــــني
وجـــــار في حكـــــم ظـــــالمي ســـــفهاً ... فحســـــبي الله فهـــــو ينصـــــفني
وحســـــب خصـــــمي والـــــدي وبمـــــا ... أودعـــــــني قبـــــــل أن يـــــــودعني
يا ســـــادتي يا بـــــني النّـــــبي ومـــــن ... مـــــديحهم في المعـــــاد ينقـــــذني
حـــــبكم في الـــــورى يشـــــرفني ... وبغـــــض أعـــــدائكم يخلصـــــني
ديـــــني هـــــو الله والنـــــبي ومـــــولاي ... إمـــــام الهـــــدى أبـــــو حســـــن
عـــــرفتهم بالـــــدليل والنظـــــر ... المبضـــــر لا كالمقلـــــد اللكـــــن
والقـــول عنـــدي بالعـــدل معتقـــدي ... مـــن غـــير شـــك فيـــه يخـــامرني
لســـــت أرى أن خـــــالقي أبـــــداً ... يفعـــــل بي مـــــا بـــــه يعـــــاقبني
ولا علـــــى طاعـــــة ومعصـــــية ... يجـــــيرني كارهـــــاً ويلـــــزمني
وكيـــف يعـــزى إلى القبـــيح مـــن الفعـــل ... وحاشـــــاه وهـــــو عنـــــه غـــــني
لكـــن أفعـــال تنـــاط بنـــا مـــا ... كـــان مـــن ســـيء ومـــن حســـن
وبالـــدليل القطعـــي أوجـــب للمعصـــوم ... حكـــــم الحضـــــور والـــــزمن
ولا أولي حكـــــم الكتـــــاب إلى ... مـــــن لا علـــــى ســـــورة بمـــــؤتمن
وكـــل مـــن يـــدعي الإمامـــة بالباطـــل ... عنـــــدي كعابـــــد الـــــوثن
يا محنـــــة الله في العبـــــاد ومـــــن ... رميـــــت فيـــــه بســـــائر المحـــــن
يا نافـــذ الأمـــر في الســـماء وفي الأرض ... ويا مـــــن إليـــــه مـــــرتكن
تكليمـــك الجنـــان والجنيـــين وإحيـــاؤك ... للميـــــت لـــــيس يقنعـــــني
وردك الشـــــمس بعـــــدما غربـــــت ... تـــــدهش غـــــيري ولـــــيس تدهشـــــني
والمـــاء لـــمّا طغـــى الفـــرات ومـــا ... حـــــدّث ســـــلمان لا يغـــــيرني

أوردت قلـــــبي مـــــاء الحيـــــاة ولم تـــــزل بكـــــأس اليقـــــين تنهلـــــني

فمشـــــربي منـــــك لم يـــــزل أبـــــداً يـــــورد عـــــني وعنـــــك يـــــوردني

ونشـــــوئي مـــــن شـــــراب معـــــرفتي تطـــــرب مـــــني طـــــوراً وتطـــــربني

دعـــاك ســـري بحيـــث تســـمع نجـــواي وتـــــدعو ســـــري فتســـــمعني

وكلمـــــا ازددت فيـــــك معرفـــــة ينكـــــربي حاســـــدي ويجحـــــدني

ولســـت آســـي بالقـــرب منـــك علـــى مقصـــــر في هـــــواك يبعـــــدني

تمنعـــت أعـــين المعـــارف أن تـــدرك إلّا للباحـــــــث اللســـــــن

والعلـــم يأبى أن ينـــال بغـــير الجـــد فلينتبـــــــه ذووا الفطـــــــن

فـــــاسمع لهـــــا درة مهذبـــــة تعـــرف عـــن صـــدر عـــارف لقـــن

تكـــــرم في نائلهـــــا وغرابتهـــــا والمنـــــدل الرطـــــب هـــــين العطـــــن

بـــــك الخليعـــــي يســـــتجير فكـــــن عـــــوناً لـــــه مـــــن طـــــوارق الفـــــتن

المجلس السّابع

في الليلة الرّابعة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها الأُمناء الصّالحون والأتقياء الصّادقون , اعلموا أنّ الله تعالى جعل أعمار العباد مضمار السّباق إلى دار السّلام ، فيا خيبة مَن أفنى عمره فيما ليس له بل عليه ! ويا حسرته إذا جاء الأجل ووافى إليه ! : ﴿ حَتّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيَما تَرَكْتُ كَلّا إِنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1] . لا سيّما إذا كان الخصم في يوم المعاد رسول الله الشّاهد على العباد ، فيا ليت علمي ماذا هناك الظّالم لعترة الرّسول , جهدوا في إطفاء نور خاتم النّبيين , ومحوا ذرّيّته من بين العالمين , ومنعوهم من الأخماس التي جعلها الله تعالى لهم عوضاً عن أوساخ النّاس , وانتزعوا ما انتحلهم الرّسول (ﷺ) , ولم يرقبوا ربّهم ولم يلتفتوا إليه حتّى أذاقوهم حرّ السّيوف ومرارات الحتوف , فهم ما بين قتيل مرمّل بدمائه , ومشرّد عن أوطانه وأحبّائه , أو طريح ملقى بالعراء يودّ أنّه يكون تحت طباق الثّرى حتّى لا يُرى ، أهكذا أمرهم الرّحمن ؟ أمّ على هذا دلّهم الرّسول والدّيان ؟ :

الفيء منقسم لغيرهم ... وأكفهم من فيئهم صفر

المال حل للعصات ويحرمه ... الكرام السادة الغر

والناس في أمن ولیس لهم ... عن طارق يغشاهم حذر

---

(1) سورة المؤمنون / 99 - 100.

ويكـــــاد مـــــن خـــــوف ومـــــن فـــــزع بهـــــم يضـــــيق الـــــبر والبحـــــر

حـــــال تســـــود ذوي النهـــــي وبهـــــا يستبشـــــر المتجاهـــــل العمـــــر

روي عن الصّادق جعفر بن مُحمّد (عليه السلام) , أنّه قال : ((لـمّا ولي أبو بكر بن أبي قحافة , قال له عمر : إنّ النّاس عبيد هذه الدُنيا لا يريدون غيرها , فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً , فإنّ شيعته إذا علموا ذلك , تركوا عليّاً وأقبلوا إليك ؛ رغبة في الدّنيا وإيثاراً لها ومحاباة عليها . ففعل أبوبكر ذلك وأضرب عنهم جميع ذلك , فلمّا أقام مناديه : مَن كان له عند رسول الله دين أو عدّة , فليأتني حتّى أقضيه ؟ قال عليّ لفاطمة (عليها السلام) : سيري إلى أبي بكر وذكّريه . فسارت فاطمة إليه , وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء , فقال لها : هاتي بيّنة يا بنت رسول الله . فقالت : أمّا فدك , فإنّ الله أنزل على نبيّه قُرآناً يأمره بأن يعطيني وولدي حقّي , قال الله تعالى :﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾[1] . فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله , فنحلني وولدي خاصّة فدكاً , فلمّا تلا جبرائيل :﴿ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾[2] . قال رسول الله : أين حقّ المسكين وابن السّبيل ؟ فأنزل الله تعالى :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[3] . فقسّم الله الخمس ستة أقسام , فقال :﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[4] . كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم , فما لله فهو لرسول الله , وما لرسول الله فهو لذي القُربى , وقد قال الله تعالى :﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[5] . فنظر أبو بكر إلى عمر , وقال له : ما تقول ؟ فقال عمر : فأريّ الخمس والفيء , كلّه لكم ولمواليكم وأشياعكم ؟! فقالت فاطمة (عليها السلام) : أمّا فدك , فقد أوجبها الله لي ولولدي من دون موالينا وشيعتنا , وأمّا الخمس , فقسّمه الله لنا ولموالينا وشيعتنا , ما تقرأ في كتاب الله تعالى ؟! قال عمر : فما لسائر المهاجرين والأنصار والتّابعين بإحسان ؟ فقالت فاطمة : إن كانوا من موالينا وأشياعنا , فلهم ما لنا وعليهم ما علينا , وإن لم يكونوا من أشياعنا , فلهم الصّدقات التي أوجبها الله في كتابه , فقال :﴿ إِنّمَا الصّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرّقَابِ ﴾ (الآية)[6] . فقال عمر : فدك خاصّة والخمس والفيء لكم ولأوليائكم , ما أحسب

---

(1) سورة الرّوم / 38.

(2) سورة الإسراء / 26.

(3) سورة الأنفال / 41.

(4) سورة الحشر / 7.

(5) سورة الشّورى / 23.

(6) سورة التّوبة / 60.

أصحاب مُحمّد يرضون بهذا . فقالت فاطمة : إنّ الله تعالى رضي بذلك ورسوله رضي له , وقسّمه على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخادعة , ومَن عادانا فقد عادا الله , ومَن خالفنا فقد خالف الله , ومَن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشّديد في الدُنيا والآخرة . فقال عمر : هاتي بيّنة على ما تدّعين . فقالت فاطمة : قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجريراً بن عبد الله , ولم تسألوهما البيّنة وبيّنتي في كتاب الله ؟! فقال عمر : إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً , وأنت تدّعين أمراً عظيماً تقع به الرّدة من المهاجرين والأنصار . فقالت (عليها السلام) : إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه , والأنصار بالإيمان بالله وبرسوله وبذي القربى أحسنوا , فلا هجرة إلّا إلينا , ولا نصرة إلّا لنا , ولا اتباع بإحسان إلّا لنا , ومَن ارتدّ عنّا فإلى الجاهلية . فقال لها عمر : دعينا من أباطيلك وأحضرينا مَن يشهد لك بما تقولين.

فبعثت إلى عليّ والحسن والحُسين وأُمّ أيمن وأسماء بنت عميس – وكانت يومئذ تحت أبي بكر , وكانت من قبل زوجة جعفر بن أبي طالب – فشهدوا لها بجميع ما قالت ، فردّ عمر شهادة الجميع , وقال : كلّ هؤلاء يجرّون النّفع إلى أنفسهم , فقال له عليّ : أمّا فاطمة فبضعة رسول الله , ومَن آذاها فقد آذى رسول الله , ومَن كذّبها فقد كذّب رسول الله , وأمّا الحسن والحُسين فابنا رسول الله , وسيّدا شباب أهل الجنّة , مَن كذّبهما فقد كذّب رسول الله إذ كان أهل الجنّة صادقين , وأمّا أنا , فقد قال رسول الله : أنت منّي وأنا منك , وأنت أخي في الدّنيا والآخرة , والرّاد عليك كالرّاد عليّ , مَن أطاعك فقد أطاعني , ومَن عصاك فقد عصاني , وأمّا أُمّ أيمن , فقد شهد لها النّبي بالجنّة , ودعا لأسماء بنت عميس وذرّيّتها . فقال عمر : أنتم كما وصفتم به أنفسكم , ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تُقبل . فقال عليّ (عليه السلام) : إذا كنّا بحيث تعرفون ولا تنكرون , وشهادتنا لأنفسنا لا تُقبل , وشهادة رسول الله لا تُقبل , فإنّا لله وإنّا إليه راجعون إذا دعينا لأنفسنا سُئلنّا البيّنة , أفما من معين يعين ؟ وقد وثبتم على سُلطان الله وسُلطان رسوله , فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجّة :﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] . ثمّ قال لفاطمة : انصرفي حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)).

قال المُفضل بن عمر : قال مولاي جعفر بن مُحمّد الصّادق (عليه السلام) : ((كلّ ظلامة حدثت في الإسلام

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

أو تحدث , وكلّ دم مسفوك حرام , أو منكر مشهور , وأمر غير محمود , فوزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما وتابعهما وأعانهما , ورضي ولايتهما إلى يوم تقوم السّاعة)).

وعن الحارث البصري , قال : دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) , فجلست عنده , فإذا نجبة قد استأذن عليه , فأذن له فدخل , فجثي على ركبتيه , ثمّ قال : جعلت فداك ! إنّي أريد أن أسألك عن مسألة , ما أريد بها إلّا فكاك رقبتي من النّار . فكأنّه رقّ له فاستوى جالساً , فقال : جعلت فداك ! ما تقول في فلان وفلان ؟ فقال : ((يا نجبة , لنا الخمس في كتاب الله , ولنا الأنفال ولنا صفو المال ، هُما والله أوّل من ظلمنا حقّنا في كتاب الله , وأوّل من حمل النّاس على رقابنا , ودماؤنا في أعناقهما إلى يوم القيامة ؛ بظلمنا أهل البيت)) . فقال نجبة : إنّا لله وإنّا إليه راجعون (ثلاث مرّات) , هلكنا وربّ الكعبة . فرفع (ع) فخذه عن الوسادة واستقبل القبلة , ودعا بدعاء فلم أفهم منه شيئاً , إلّا إنّا سمعناه في آخر دعائه وهو يقول : ((اللّهمّ , إنّا أحللنا ذلك لشيعتنا)) . قال : ثمّ أقبل إلينا بوجهه , وقال : ((يا نجبة , ما على فطرة إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا)).

فيا إخواني , هل يجب الإقتداء في الدّين بالذين اتخذوا دينهم لهواً , وغرّتهم الدُنيا وقنعوا بعاجلها , ورضوا برئاستها وبما نالوه من حطامها , وجلسوا غير مجالسهم , ووردوا غير مشاربهم , ونازعوا الأمر مستحقّيه , وولوا في دين الله بالرّأي , وحكموا بغير ما أنزل الله , فأتبعهم السّواد الأغلب , وأهل الفاقة والاحتياج , ورعاع المدن كبني أُميّة وبني العباس , ومَن تابعهم في المآكل والمشارب والمناكح , ومَن أبدع في الفجور وشرب الخمور ، وعبث بالمردان بخلاف ما أمر الرّحمن ، والتّواريخ والكتب تنطق بأعمالهم , فهل هؤلاء أئمة الدّين ؟! أم عليّ وأولاده المعصومون , المأمونون على سرّ الله , المحتجون بغيبته , المستسرون بدينه , المعلنون به , الواصفون لعظمته , المتنزّهون عن معاصيه , الدّاعون إلى سبيله , السّابقون في علمه , المجاهدون في طاعته , تلامذة الرّسول في المنقول والمعقول , أهل العلوم والأذكار , نقلة الأسرار ، حملة الكتاب , أولوا الألباب , الذين حفظوا في جوارحهم من العبث ونفوسهم من الوعث , الزّهاد العبّاد الأتقياء الأمجاد.

فيا إخواني , أيّ الفريقين على الحقّ , وأولى بالأمر وأحق ؟ ولكن الشّمس تطمس أعين الخفاش , والحقّ مضرّ باستماع الأوباش : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] . :

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

شعر للخليعي (رحمه الله تعالى)

ألا مـــــن يـــــدعي الإيمـــــان فأبـــــذل حنينـــــــاً باحـــــــتراق واكتئـــــــاب

وعـــــزى المرتضـــــى في الســـــبط وأذرف مـــــن الأجفـــــان دمعـــــاً ذا انســـــكاب

وقـــــل لـــــو أن عينـــــك عاينتـــــه طعينـــــاً في ثـــــرى الرمضـــــاء كـــــأبي

ولـــــو عاينـــــت بنتـــــك تســـــتجير الطغـــــاة وتختفـــــي بـــــين الشـــــعاب

صـــــفيت القلـــــب مـــــن أرجـــــاس قـــــوم ومكنـــــت الحســـــام مـــــن الرقـــــاب

فيـــــا رب السّـــــماء إليـــــك نشـــــكو مـــــن الفجـــــار نســـــل بـــــني كـــــلاب

روي : أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) لـمّا مرض مرض الموت , اتفق يوماً كان رأسه في حجر أُمّ الفضل – امرأة العباس – فاستعبرت أُمّ الفضل وبكت , وقطرت دموعها على خدّ رسول الله , فقال لها : ((ما يبكيك يا أُمّ الفضل ؟)) . قالت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ! إنّك نعيت لنا نفسك , فقُلت : قال الله تعالى : ﴿ إِنّكَ مَيّتٌ وَإِنّهُم مَيّتُونَ ﴾[1] . فإن كان هذا الأمر فينا , فبيّنه لنا , وإن كان في غيرنا فأوص بنا ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : ((ابعثي إلى ابني الحسن والحُسين)) . ففعلت , فلمّا أقبلا , استدناهما إلى صدره , ووضع خدّ أحدهما على خدّه الأيمن , وخدّ الآخر على خدّه الآخر , ثمّ استعبر فبكى وبكى مَن كان حاضراً , وصاحت فاطمة وقالت شعراً :

وأبـــــيض يستســـــقي الغمـــــام بوجهـــــه ثمـــــال اليتـــــامى عصـــــمة للأرامـــــل

فقال رسول الله (ص) : ((يا فاطمة , هذا قول عمّك ولكن قولي :﴿ وَمَا مُحمّد إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[2] . أنتم المقهورون بعدي المستضعفون , فمَن صبر منكم واحتسب في دار البوار , كان له الدّائم الباقي في دار القرار :﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[3])) . قالت أُمّ الفضل : يا رسول الله , إلى مَن نفرغ بعدك ؟ قال (ص) : ((إلى أخي ووصيي وخليفتي , أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب)) . فلمّا اشتدّ الأمر برسول الله , خلا بعليّ (عليه السلام) يوم الإثنين , وقال لعائشة وسائر نسائه وأصحابه وأهل بيته : ((هذا يوم لا يجتمع فيه عندي غير عترتي أهل بيتي ؛ عليّ وفاطمة والحسن والحُسين , فإنّهم شُركائي في ديني ودقيق أموري وجليلها)) . فكان عليّ (عليه السلام) عند رأسه ويده اليمنى على ذقنه , وفاطمة من الجانب الآخر ,

---

(1) سورة الزّمر / 30 .

(2) سورة آل عمران / 144.

(3) سورة الأعلى / 17.

والحسن والحُسين إلى جانبهما , ثمّ إنّ عليّاً غمّض رسول الله , فلمّا مات النّبي (صلى الله عليه وآله) , سُمع هاتف من ناحية البيت يتلو : ﴿ كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنّمَا تُوَفّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عِنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدّنيا إلّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[1] . لنبلونّ آل مُحمّد في أموالكم وأنفسكم , ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا , أذى كثيراً , في الله خلف من كلّ هالك , ودرك من كلّ فائت , وعزّ من كلّ مصيبة , ألا إنّ المحروم مَن حُرم ثوابه , والمغبون مَن غيّر دينه , والمصائب من ذهب يقينه.

فيا إخواني , إذا رجعنا إلى أنفسنا وتركنا عبادة الهوى ومتابعة مَن ضلّ وغوى , أترى تكون فاطمة (عليها السلام) راضية حين عصرها خالد بن الوليد , فأسقطت محسناً , وضربها قنفذ مولى أبي بكر فأثّر فيها الضّرب ؟ أفتراها تكون راضية حين سُحب زوجها وابن عمّها وأبو السبطين ؟ أفترى منع إرثها وتكذيب شهودها على دعواها ترضاها ؟ أتراها لو شاهدت عساكر بني أُميّة , وقد استداروا على ولدها الحُسين (عليه السلام) يريدون قتله , ويكيدونه بالعطش , ويمنعونه شرب الماء المُباح , ويرشقونه بالنّبال حتّى خرقوا جلدته , ويضربونه بالسّيوف حتّى رُويت الأرض من دمه , ويطعنونه بالرّماح حتّى خرّ إلى الأرض مجدّلاً , وأحروا السّكاكين على أوداجه ورقبته حتّى فصلوا رأسه عن بدنه , وسلخوا جلد وجهه , وألقوا عظامه وجسده أشلاء للطير والوحش , وقتلوا أهله ورجاله , ونهبوا حرمه , وتتبّعوا شيعته قتلاً وتمثيلاً ، فهل تكون راضية بذلك أم غضبانة ؟ وإذا كانت غضبانة , أيكون الله عزّ وجلّ غضباناً ؟ أم يكون هذا كلّه في رضا الأوّل والثّاني والثّالث , ومعاوية ويزيد بن معاوية , هيّناً عند الله ؟ كلا , ولكن راجعون على الأعقاب القهقري : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2].

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مفلح الصيمري (رحمه الله تعالى)

أعـــد لـــك يا هـــذا الزمـــان محـــرم ... أم الجـــور مفـــروض عليـــك محـــتم

أم أنـــت ملـــوم والجـــدود لئيمـــة ... فلـــم تـــرع إلّا للـــذي هـــو ألأم

---

(1) سورة آل عمران / 185.

(2) سورة الشّعراء / 227.

فشـــــأنك تعظـــــيم الأراذل دائمـــــاً ... وعـــــرنين أرباب الفصـــــاحة تـــــرغم
إذا زاد فضـــــل المـــــرء زاد امتحانـــــه ... وترعـــى لمـــن لا فضـــل فيـــه وتـــرحم
إذا اجتمـــع المعـــروف والـــدين والتقـــى ... لشـــخص رمـــاه الـــدهر وهـــو مصـــمم
وكـــم جـــامع أســـباب كـــل رذيلـــة ... ولـــيس لمـــا قـــد قـــال أو قيـــل هـــم
فأضـــحى وقـــد ألقـــى الزمـــان جـــراءه ... لديـــه فيقضـــي مـــا يشـــاء ويحكـــم
وذاك لأن الـــــدين والعلـــــم والنـــــدى ... لـــــه معـــــدن أهلـــــوه يؤخـــــذ عـــــنهم
فمعدنـــــه آل النّـــــبي مُحمّـــــد ... وخـــــيرهم صـــــنو النّـــــبي الأعظـــــم
فاقبلـــت الـــدّنيا عليـــه بزينـــة ... وألقـــت إلـــيهم نفســـها وهـــي تبســـم
فـــاعرض عنهـــا كارهـــاً لنعيمهـــا ... وقابلهـــا منـــه الطـــلاق المحـــرم
فمالـــت إلى أهـــل الرذائـــل والخنـــا ... وأومـــت إلـــيهم أيهـــا القـــوم أقـــدموا
فجـــاءوا إليهـــا يهرعـــون فأقبلـــت ... علـــيهم وقالـــت فـــاسمعوا ثمّ افهمـــوا
صـــداقي علـــيكم ظلـــم آل مُحمّـــد ... وشـــيعتهم أهـــل الفضـــائل مـــنهم
فقـــالوا رضـــينا بالصـــداق وأســـرجوا ... علـــى حـــربهم خيـــل الضـــلال وألجمـــوا
وشـــنوا بهـــا الغـــارات مـــن كـــل جانـــب ... وخصّـــوا بهـــا آل النّـــبي وصـــمموا
أزالـــوهم بالقهـــر عـــن إرث جـــدهم ... عنـــاداً ومـــا شـــاءوا أحلـــوا وحرمـــوا
وقـــادوا عليّـــاً في حمائـــل ســـيفه ... وعمـــار دقـــوا ضـــلعه وتهجمـــوا
علـــى بيـــت بنـــت المصـــطفى وإمـــامهم ... ينـــادي ألا في بيتهـــا النـــار أضـــرموا
وتغصـــب مـــيراث النّـــبي مُحمّـــد ... وتوجـــع ضـــرباً بالســـياط وتلطـــم
وأعظـــم مـــن كـــل الـــرزايا رزيـــة ... مصـــارع يـــوم الطّـــفّ أدهـــى وأعظـــم
فمـــا أحـــدث الأيام مـــن يـــوم أنشـــئت ... ولا حـــادث فيهـــا إلى يـــوم تعـــدم
بأعظـــم منهـــا في الزمـــان رزيـــة ... يقـــام لهـــا حـــتّى القيامـــة مـــأتم
ولم أنـــس ســـبط المصـــطفى وهـــو ظـــامي ... يـــذاد عـــن المـــاء المبـــاح ويحـــرم
وقـــد صـــرعت أنصـــاره وهـــو مفـــرد ... ينـــادي ألا هـــل راحـــم يـــترحم
ألســـنا أولي القـــربى الـــذي أجبـــت لنـــا ... مودتنـــا آي الكتـــاب علـــيكم
ألســـنا آل النّـــبي مُحمّـــد ... يصـــلّى علـــيهم دائمـــاً ويســـلم
تمـــوت عطاشـــى آل بيـــت مُحمّـــد ... ويشـــرب هـــذا المـــاء تـــرك وديلـــم
أهـــذا الـــذي أوصـــى النّـــبي بآلـــه ... ألم تســـمعوا أم لـــيس في القـــوم مســـلم

فقالوا له إن شئت ترجع سالماً ... وتسقى من الماء الزلال وتطعم
فبايع طوعاً للأمير مسالماً ... وإلّا فحد السيف فيك محكم
فقال لهم لا تزعمون بأنني ... أبايع رهباً خيفة الموت فاعلموا
وما هي إلّا ساعة ثمّ ألتقي ... بجدي وأحظى بالجنان وأنعم
ويجمعنا يوم القيامة معشر ... وأقبل فيه شاكياً أتظلم
فخصمكم فيه النّبي وحيدر ... وفاطمة والسجن فيها جهنم
أهل تخصمون المصطفى وابن عمه ... وفاطمة لم ذلك اليوم تخصموا
فما زادهم ما قال إلّا تجبراً ... وصاح ابن سعد عجلوا وتهجموا
فمالوا عليه بالسيوف وبالقنا ... فبارزهم وهو الهزبر الغشمشم
وحكم فيهم سمهريا مقوماً ... وأبيض لا ينبو ولا يتثلم
وصال عليهم صولة علوية ... فكانوا كضأن صال فيهم ضيغم
فصاروا عرينا كلما فر فوقه ... ومال إلى الأخرى ففي الحال تهزم
فنادى ابن سعد بالرماة ألا أقصدوا ... إليه جميعاً بالسهام ويمموا
ففوق كل سهمه وهو مغرق ... من النزع نحو السبط وهو مصمم
فصادته في النحر سهم مصرد ... له شعب قعب المنية تعلم
فخرّ طريحاً في التراب معفراً ... يعالج نزع السهم والسهم محكم
ويأخذ من دم الوريد بكفه ... ويرمي به نحو السما يتظلم
فنادى ابن سعد من يجيء برأسه ... فسار إليه الشمر لا يتبرم
وأضجعه فوق التراب معفراً ... ينادي أيا جداه هل أنت تعلم
بأني صريع في التراب مجدلا ... أو ينحر نحري والضلوع تحطم
فقال له من أنت يا ذا ألا أنتمي ... فإنك أقسى كل قلب وأجرم
فقال هو أنا الشمر الضبابي راجياً ... بقتلك أن أحبى عظيماً وأكرم
فقال له إن الحبي عند والدي ... وجدي وأمي في القيامة أعظم
فما زاد قلب الرجس إلّا قساوة ... وميز عنه الرأس لا يترحم
تكاد السماوات الشداد لقتله ... تفطرن والأرضون تخسف فيهم
وكور أنوار النجوم جميعها ... وأمطرت الدم السّماء عليهم
وبادر ينعاه الحصان مسارعاً ... إلى خيم النسوان وهو يحمحم

فلمـــا رأيـــن المهـــر والســـرج خاليـــاً ... خـــرجن وكـــل حاســـر وهـــي تلطـــم
ونادين هـــذا اليـــوم مـــات مُحمّـــد ... ومـــات علـــيّ والزكـــي وفـــاطم
فهـــذا الـــذي أبقـــى لنـــا الـــدهر بعـــدهم ... نصـــان بـــه مـــن كـــل ســـوء ونعصـــم
وهـــذا الـــذي كنـــا نعـــيش بظلـــه ... يلـــوذ بـــه طفـــل رضـــيع وايم
وهـــذا هـــو الحصـــن الـــذي كـــان محصـــناً ... لنـــا مـــن صـــروف الـــدهر فهـــو مهـــدم
فهـــذا حســـين في الـــتراب مجـــدلا ... ونحـــن ســـبايا نســـتباح ونغـــنم
فشـــن علـــيهم ابـــن ســـعد بغـــارة ... ونادى مبـــاح مـــا حـــواه المخـــيم
وصـــرن بأيـــدي المجـــرمين غنيمـــة ... وتســـلب كـــل مـــا عليهـــا وتلطـــم
فيـــا لـــك مـــن يـــوم بـــه الكفـــر ناطـــق ... وديـــن الهـــدى أعمـــى أصـــم وأبكـــم
فـــو الله مـــا أدري الحُســـين ورهطـــه ... وصـــيرهم فيئـــاً يحـــاز ويقســـم
ســـوى حبـــتر ثمّ الـــدلام ونعثـــل ... لأنهـــم في كـــل ظـــل تقـــدموا
وتلـــك الـــتي جـــاءت تقـــود عســـاكراً ... علـــى جمـــل يحـــدو بهـــا المـــترنم
وخالفـــت القـــرآن ثمّ تبرجـــت ... تـــبرج أهـــل الجهـــل بـــل هـــي أعظـــم
لنفـــرق شمـــل الـــدين بعـــد اجتماعـــه ... وتـــنقض مـــا قـــد أبرمـــوه وأحكمـــوا
أبوهـــا يـــولي الـــدبر في كـــل موقـــف ... وابنتـــه عنـــد اللقـــاء تتقـــدم
ألا لعـــن الله المهـــيمن حبـــتراً ... وابنتـــه تعـــداد مـــا الله يعلـــم
وبعـــدهما فـــالعن دلامـــاً ونعـــثلاً ... وهنـــداً ونغليهـــا ومـــن مـــال معهـــم
والعـــن مـــرواناً وآل أُميّـــة ... كـــذلك دعـــى العـــاص فهـــو المـــزنم
ولا تنســـى أبا موســـى وضـــاعف لعنـــه ... ومـــن قـــد رضـــي في أنـــه يـــتحكم
برئـــت إلى الـــرّحمن ثمّ مُحمّـــد ... وحيـــدرة وابنيـــه والأم مـــنهم
ومـــن دان في أقـــوالهم وأفعـــالهم ... ومـــن كـــل شـــيعي ففـــي اللعـــن عـــنهم
فلعـــنهم للـــدين أصـــل مؤصـــل ... وديـــن بـــلا أصـــل فـــذاك مهـــدم
أيا ســـادتي يا آل بيـــت مُحمّـــد ... بكـــم مفلـــح مستعصـــم متلـــزم
فـــأنتم لـــه حصـــن منيـــع وجنـــة ... وعروتـــه الـــوثقى بداريـــه أنـــتم
ألا فـــاقبلوا مـــن عبـــدكم مـــا اســـتطاعه ... فعبـــدكم عبـــد مقـــل ومعـــدم
فـــأنتم ممـــا قلـــت أو قـــال قائـــل ... مـــن النّـــاس طـــراً يا مـــوالي أعظـــم

اعلموا أيّها المؤمنون , إنّ فضل ساداتكم لا يُحصى ولو اجتمع له العالمون , وما جهد المادحون في مدح مَن ورد في مدحهم القرآن المبين ؟ ولعمري , إنّ في فضيلة مَن فضائلهم عبرة للمعتبرين وتبصرة للمتبصّرين , إلّا مَن أغواه الشّيطان , فأصمّ سمعه وعميت منه العينان ، فتبّاً لمَن أعمتهم أطماعهم الدّنيّة ، وأهواؤهم المرديّة الرّديّة ، فجعلوا يركضون على مطايا الأطماع , ويتحمّلون من الأثقال ما لا يُستطاع ، فتعساً لهم ما حملهم على غصب البتول وقتل ذرّيّة الرّسول , أليس هي إلّا أيّام قلائل ؟ حتّى يردوا على الهول الهائل : ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

فيا إخواني , كيف لا تتمايل أعطافي وتظهر نشوتي , وقد شربت بالكأس المترع من رحيق محبّتي لمواليي وساداتي :؟

حـــــديث فـــــإن ربي العقيـــــق ويثمـــــد ... يحلـــــى بطيـــــب حـــــديثها قلـــــبي الصـــــد

إيـــــه بعيشـــــك كيـــــف خلفـــــت الحمـــــى ... قـــــد طـــــال عهـــــدي بالـــــديار فجـــــدد

بالله قـــــص علـــــيّ مـــــن أنبـــــائهم ... فـــــإذا ثملـــــت بهـــــا وملـــــت فـــــردد

فيا إخواني , إذا ذكرت ما أصابهم من الآلام في تلك الأوقات والأيام , اعتراني الهمّ والحزن حتّى أكاد أن تُسلب روحي من البدن , فاشتهي مَن أبثّ حزني إليه ؛ ليساعدني ما أنا عليه.

روي : أنّه لـمّا قدم آل الله وآل رسوله على يزيد في الشّام , أفرد لهم داراً , وكانوا مشغولين بإقامة العزاء , وإنّه كان لمولانا الحُسين (عليه السلام) بنتاً عمرها ثلاث سنوات , ومن يوم استشهد الحُسين ما بقيت تراه , فعظم ذلك عليها واستوحشت لأبيها , وكانت كلّما طلبته , يقولون لها : غداً يأتي ومعه ما تطلبين . إلى أن كانت ليلة من الليالي رأت أباها بنومها , فلمّا انتبهت , صاحت وبكت وانزعجت , فهجعوها وقالوا : لما هذا البكاء والعويل ؟ فقالت : آتوني بوالدي وقرّة عيني . وكلّما هجعوها , ازدادت حزناً وبكاءاً , فعظم ذلك على أهل البيت , فضجّوا بالبكاء وجدّدوا الأحزان , ولطموا الخدود وحثوا على رؤوسهم التّراب , ونشروا الشّعور وقام الصّياح , فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم , فقال : ما الخبر ؟ قالوا : إنّ بنت الحُسين الصّغيرة رأت أباها بنومها , فانتبهت وهي تطلبه وتبكي

---

(1) سورة التّحريم / 6.

وتصيح . فلمّا سمع يزيد ذلك , قال : ارفعوا رأس أبيها وحطّوه بين يديها ؛ لتنظر إليه وتتسلّى به . فجاءوا بالرّأس الشّريف إليها مُغطّى بمنديل ديبقي , فوضع بين يديها وكُشف الغطاء عنه ، فقالت : ما هذا الرّأس ؟ قالوا لها : رأس أبيك . فرفعته من الطّشت حاضنة له , وهي تقول : يا أباه ! مَن ذا الذي خضّبك بدمائك ؟ يا أبتاه ! مَن ذا الذي قطع وريدك ؟ يا أبتاه ! مَن ذا الذي أيتمني على صغر سنّي ؟ يا أبتاه ! مَن بقي بعدك نرجوه ؟ يا أبتاه ! مَن لليتيمة حتّى تكبر ؟ يا أبتاه ! مَن للنساء الحاسرات ؟ يا أبتاه ! مَن للأرامل المسبيّات ؟ يا أبتاه ! مَن للعيون الباكيات ؟ يا أبتاه ! مَن للضائعات الغريبات ؟ يا أبتاه ! مَن للشعور المنشرات ؟ يا أبتاه ! مَن بعدك ؟ واخيبتنا ! يا أبتاه ! مَن بعدك ؟ واغربتنا ! يا أبتاه ! ليتني كنت الفدى ، يا أبتاه ! ليتني كنت قبل هذا اليوم عميا . يا أبتاه ! ليتني وسدت الثّرى ولا أرى شيبك مخضّباً بالدّماء.

ثمّ إنّها وضعت فمها على فمه الشّريف , وبكت بُكاءاً شديداً حتّى غشي عليها ، فلمّا حرّكوها , فإذا بها قد فارقت روحها الدُنيا ، فلمّا رأوا أهل البيت ما جرى عليها , أعلنوا بالبكاء واستجدّوا العزاء , وكلّ مَن حضر من أهل دمشق , فلم ير في ذلك اليوم إلّا باك وباكية ، فقامت زينب بنت أمير المؤمنين , وقالت : أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض , فأصبحنا نُساق كأنّا أُسراء الزّنج والحبش ، إنّ بنا على الله كرامة وبك عليه هواناً ، وإنّ ذلك لعظم خطرك عند الله ، شمخت بأنفك ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً حين رأيت الدُنيا بك مستوسقة , والأمور متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، مهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[1] . أمن العدل يابن الطُلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟! هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ , يحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل , ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والدّني والشّريف ، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ، ولا من حماتهنّ حمى ، كيف تستبطي ظلمنا أهل البيت ؟! ثمّ تقول , غير مستأنف ولا مستعظم :

لأهلـــــــوا واســـــــتهلوا فرحـــــــاً ثمّ قـــــــالوا يا يزيـــــــد لا تشـــــــل

---

(1) سورة آل عمران / 178.

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله الحُسين , ريحانة رسول الله سيّد شباب أهل الجنّة , تنكثها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ؟! أو قد نكأت القرحة وأنصلت الشّأفة بإراقتك دماء ذرّيّة مُحمّد (صلى الله عليه وآله) , نجوم الأرض من آل عبد المُطلب , وتهتف بأشياخك زعمت تناديهم , لتردن وشيكاً موردهم , ولتودّن أنّك شللت قبل فعلتك هذه وبكمت ولم تكن قلت ما قلت.

ثمّ قالت : اللّهمّ , خُذ بحقّنا وانتقم ممّن ظلمنا , واحلل غضبك بمن سفك دماء ذرّيّته , وانتهاك حرمته في عترته , حيث يُجمع شملهم ويُلم شعثهم ويؤخذ بحقّهم : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] . وحسبك الله حاكماً ومُحمّد خصيماً وجبرائيل ظهيراً , فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشّيطان الطُلقاء ، فهذه الأيدي تنفط من دمائنا والأفواه تتحلّب من لحومنا , وتلك الجثث الطّواهر الرّواكي , تتناهبها العوائل وتعفّرها أُمّهات الفواعل ، وإن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً , حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك , والله ليس بظلام للعبيد ، فإلى الله المُشتكى وعليه المعوّل , فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فو الله , لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحينا ولا تدرك أمدنا , ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فند وأيّامك إلّا عدد وجمعك إلّا بدد , يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على القوم الظّالمين.

قال : فنظر رجل من الشّام إلى يزيد (لعنه الله) , وقال : يا أمير , هب لي هذه الجارية . فقالت فاطمة لعمّتها زينب : يا عمّتاه ! قُتلت رجالنا , ليت الموت أعدمني الحياة ولا كنت أُسبى بين الأعداء . فقالت زينب : لا حبّاً ولا كرامة لهذا الفاسق . فقال الشّامي : مَن هذه الجارية ؟ قال يزيد (لعنه الله) : هذه فاطمة الصّغرى بنت الحُسين , وتلك زينب بنت أمير المؤمنين . فقال الشّامي : لعنك الله يا يزيد , تقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته . فقال يزيد : لألحقنّك بهم.

فيا إخواني , رحم الله قوماً باعوا أنفسهم بالآخرة , وتركوا العيش الأهنى والنّعيم الأسنى , فنالوا السّعادة الأبدية والدّولة السّرمدية , فقطّعوا القلوب واشتروا النّعيم الدّائم بقليل من المحن والكروب :

وفاطمة الصغرى تقول لأختها ... سكينة خوف السبي وهو مكيد
وزينب ما بين السّماء وقلبها ... قريح وبالأحزان فهو كميد
تقول وللأحزان في القلب مبدع ... ومبدي لاسرار الهموم مقيد

---

(1) سورة آل عمران / 169.

أخـــي يابـــن أُمـــي يا شـــقيقي وســـيد ومـــــــــن لي دون الأنام عميـــــــــد

عليـــــك جفـــــوني الـــــذاريات ذوارف وأمـــــا دمـــــوعي المرســـــلات نجـــــود

أخـــي ثـــل عـــرش الـــدين وانهـــد ركنـــه وعطـــــل منـــــه إذ أصـــــبت حـــــدود

يا ويلهم ! كأنّهم لم يسمعوا ما أُنزل في حقّهم , ولم يعتبروا ما قاله النّبي في نعتهم , بل والله قد عرفوا وانكروهم وأساءوا إليهم بعدما أخبروهم.

روي عن ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾[1] . إنّه إذا قبض الله إليه نبيّاً من الأنبياء , بكت عليه السّماء والأرض أربعين سنة , وإذا مات إمام من الأئمة الأوصياء , تبكي عليه السّماء والأرض أربعين شهراً , وإذا مات العالم العامل بعلمه , بكيا عليه أربعين يوماً , وأمّا الحُسين (عليه السلام) فتبكي عليه السّماء طول الدّهر ، وتصديق ذلك أنّ يوم قتله قطرت السّماء دماً , وإنّ هذه الحُمرة التي تُرى في السّماء , ظهرت يوم قُتل الحُسين ولم تُر قبله أبداً ، وإنّ يوم قتله لم يُرفع حجر في الدُنيا إلّا وجد تحته دم . حُكي في بعض الأخبار : إنّ الحُسين لـمّا سقط عن سرجه يوم الطّفّ , عفيراً بدمه رامقاً بطرفه , يستغيث فلا يُغاث ويستجير فلا يُجار , بكت ملائكة السّماء , وقالوا : إلهنا وسيدنا , يُفعل هذا كلّه بابن بنت نبيّك وأنت بالمرصاد , تنظر وترى وأنت شديد الإنتقام . فأوحى الله إليهم يقول : ((يا ملائكتي , انظروا عن يمين العرش)) . فينظرون , فيمثّل الله لهم شخص القائم المهدي , فيرونه يُصلّي عن يمين العرش راكعاً وساجداً , فيقول : ((يا ملائكتي , سأنتقم لهذا بهذا)) . ثمّ يقول : ((يا ملائكتي , إنّي قتلت بثأر يحيى بن زكريا , سبعين ألفاً من بني إسرائيل , وسأقتل بثأر الحُسين بن فاطمة الزّهراء , سبعين ألفاً وسبعين ألفاً من بني أُميّة على يد القائم المهدي , ولهم في الآخرة عذاب عظيم)) . :

إلى أي عـــــــــدل أم إلى أي رأفـــــــــة ســـــواهم يـــــؤوم الظـــــاعن المتحمـــــل

لأهـــل العمـــى فـــيهم جـــلاء مـــن العمـــى مـــع النصـــح لـــو أن النصـــيحة تقبـــل

روى صاحب زهرة الكمال , قال : لما أُخرج آدم (عليه السلام) من الجنّة , انحدر ببلدة من بلاد الهند تسمّى سراديب , وبقي يبكي على مصيبته مدّة طويلة , حتّى نُقل أنّه ظهرت لمحاكيه ولم يبق لها لحم بفيه , فمنّ عليه الملك الجليل بإرسال جبرائيل , فكشف له عن بصره حتّى أراه ساق العرش , فرأى أنواراً ساطعة كالنّجوم اللامعة ,

---

(1) سورة الدّخان / 29.

فتلاها وإذا هي ؛ مُحمّد وعليّ وفاطمة , والحسن والحُسين والأئمة من ولده (عليهم السلام) , حصناً مَن دخله كان آمناً . فقال : يا أخي جبرائيل , هل خلق الله خلقاً أكرم منّي ؟ قال : نعم . قال : متى خُلقوا ؟ قال : قبل خلق السّماوات والأرضين وقبلك بألفي عام , ولولاهم ما خلقك الله تعالى , وهم من ولدك . فقال : اللّهمّ , يا مَن شرّفت هذا الوالد على الولد , إغفر لي خطيئتي . فغفر له.

وروى صاحب درّ الثّمين في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[1] . إنّه رأى ساق العرش والأسماء عليه , فلقّنه جبرائيل وقال له : قُل يا حميد بحقّ مُحمّد , يا عليّ بحقّ عليّ , يا فاطر بحقّ فاطمة , يا مُحسن بحقّ الحسن , يا قديم الإحسان بحقّ الحُسين . فلمّا ذكرت الحُسين (عليه السلام) , سالت دموعه وانخشع قلبه , وقال : يا أخي جبرائيل , في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي ؟ قال جبرائيل : ولدك هذا يُصاب بمصيبة وتقصر عندها المصائب . فقال : يا أخي , وما هي ؟ قال : يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً , ليس له ناصر ولا مُعين , ولو تراه يا آدم يُنادي : وا عطشاه ! وا قلّة ناصراه ! حتّى يحول العطش بينه وبين السّماء كالدّخان , فلم يجبه أحد إلّا بالسّيوف وشرب الحتوف , فيُذبح ذبح الشّاة من قفاه , ويكسب رحله أعداء , وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النّسوان , سبق في علم الواحد المنّان . فبكى آدم مع جبرائيل بكاء الثّكلى . ولله درّ مَن قال من الرّجال :

يا قتيلاً بكاه آدم حقاً ... ونعاه من السما جبريل

وبكى الجنان والملائك جمعاً ... أي عين دموعها لا تسيل

وغدا الطير في السّماء ينادي ... آه وا سيداه اين المثيل

وعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونوا كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مفلح الصّيمري (رحمه الله تعالى)

إلى كم مصابيح الدجى ليس تطلع ... وحتام غيم الجو لا يتقشع

لقد طبق الآفاق شرقاً وغربها ... فلا ينجلي آناً ولا يتقطع

---

(1) سورة البقرة / 37.

وأمطر في كل البلاد صواعقاً ... وهبت له ريح من الشر زعزع

فلم ينج منهم غير من باع دينه ... وقال بما يرضي الضلوع ويقنع

ولا عز إلّا من أتى بنميمة ... ولا ذل إلّا مؤون متورع

منازل أهل الجور في كل بلدة ... عمار وأهل العدل في تلك بلقع

يقولون في أرض العراق مشعشع ... وهل بقعة إلّا وفيها مشعشع

فلا فرق إلّا عجزهم واقتداره ... وظلمهم فيما يطيقون اشنع

لقد ضاقت الآفاق وارتق الفضا ... فليس لأهل الدين في الأرض موضع

فهل عامر في الأرض بل أو مفازة ... وليس لها في الظلم جمع مجمع

وما سن فيها الظلم إلّا عصابة ... تقول على آل النّبي تجمع

فأولهم نسل القحافي حبتر ... لئيم له في اللؤم أصل وموضع

أبوه دعى لابن جذعان خادم ... وحبترة أدنى محل وأوضع

وتابعه ابن الصهاكي أدلم ... عتل زنيم فاجر متبدع

إذا كان منسوباً لسبع ... فهل عجب فيما يقول ويصنع

وتابعه في الظلم آل أُميّة ... تواطوا على ظلم الوصي وأجمعوا

فلم يتركوا للدين أصلاً يقله ... ولم يتركوا فرعاً له يتفرع

وقادوا عليّاً في حمائل سيفه ... وكسر أسيافاً لقوم وأضلع

كسيف زبير ثمّ ضلع ابن ياسر ... وضلع ابن مسعود وللصحف قطع

إذا فعلوا هذا بأصحاب أحمد ... وقالوا لنا إن الصحابة أجمعوا

على حبتر ثمّ ارتضوه أميرهم ... فهل عاقل يرضى بهذا ويقنع

وفاطمة الزّهراء حازوا تراثها ... عناداً فجاءت حبتراً تتشفع

فقال أبوك المصطفى قال معلناً ... بأن أولي القربى من الإرث يمنعوا

فقالت فهاتوا نحلتي وعطيتي ... فقالوا لها هل شاهد لك يسمع

فقالت شهودي أذهب الرجس عنهم ... لهم آية التطهير ما فيه مدفع

هم حيدر وابناه مع أُمّ أيمن ... فهل لك في رد الشهادة مطمع

فقال لها ظلماً وكفراً وقسوة ... فلسنا بقول البعل والابن نقنع

فلما رأت تصميمه في ضلاله ... وليس عن العصيان أو الظلم يقلع

فقامت وأنت عند ذلك أنة ... يكاد لها صم الصفا يتصدع
وتابعت الزفرات والنوح والبكا ... إلى أن قضت لم يرق للطهر مدمع
فيا عجباً من رده لشهودها ... وقول أناس ليس في الكفر تطمع
ألم يفقهوا أقواله وفعاله ... ألم ينظروا يا ويلهم ثمّ يسمعوا
فهل رد إلّا من نفى الرجس عنهم ... ورد الذي قد جاء بالوحي يصدع
يزكي إله العالمين وأحمد ... أناساً ويأتي نغل تيم ويمنع
فتباً لها من أُمة ضل سعيها ... توالي كفراً بالإله وتتبع
وأعظم من كل الرزايا رزية ... مصارع يوم الطّفّ أدهى واشنع
بها لبس الدين الحنيفي خلعة ... من الذل لا تبلى ولا تتقطع
فما أنس لا أنس الحُسين ورهطه ... وعترته بالطف ظلماً تصرع
ولم أنسه والشمر من فوق رأسه ... يهشم صدراً وهو للعلم مجمع
ولم أنس مظلوماً ذبيحاً من القنا ... وقد كان نور الله في الأرض يلمع
يقبله الهادي النّبي بنحره ... وموضع تقبيل النّبي يقطع
إذا حز عضو منه نادى بجده ... وشمر على تصميمه ليس يرجع
وميز عنه الرأس ظلماً وقسوة ... ولا عينه تندو ولا القلب يخشع
تزلزلت الأفلاك من كل جانب ... تكاد السما تنقض والأرض تقلع
وعرج جبرائيل ينوح بحرقة ... ويشجي أملاك السما ويفجع
وضجت أملاك السّماء وتناوحت ... طيور الفلا والوحش والجن أجمع
وجئن كريمات الرّسول حواسراً ... ولم يبق جيب لا يشق ويرقع
تقبل جثمان الحُسين سكينة ... وشمر لها بالسوط ضرباً يقنع
فيؤلمها ضرب السياط فتلتجي ... لعمتها من حيث بالضرب توجع
تقول له يا شمر ويحك خلها ... إذا كان بالتقبيل ترضى وتقنع
وترفع صوتاً أُمّ كلثوم بالبكا ... وتشكو إلى الله العلي وتضرع
وتندب من عظم الرزية جدها ... فلو جدنا ينظر إلينا ويسمع
أيا جدنا نشكو إليك أُميّة ... فقد بالغوا في ظلمنا وتبدعوا
أيا جدنا لو أن رأيت مصابنا ... لكنت ترى أمراً له الصخر يصدع
أيا جدنا هذا الحُسين معفراً ... على الترب محزوز الوريدين مقطع

فجثمانه تحت الخيول ورأسه ... عناداً بأطراف الأسنة برقع
أيا جدنا لم يتركوا من رجالنا ... كبيراً ولا طفلاً على الثدي يرضع
أيا جدنا لم يتركوا لنسائنا ... خماراً ولا ثوباً ولم يبق برقع
أيا جدنا سرنا عرايا حواسرا ... كأنا سبايا الروم بل نحن أوضع
أيا جدنا لو أن تراثنا أذلة ... أسارى إلى أعدائنا نتضرع
ايا جدنا نسترحم القوم لم نجد ... شفيعاً ولا من ذي الإساءة يدفع
أيا جدنا شمر يبز قناعنا ... ويضربنا ضرب الإماء ويوجع
أيا جدنا زين العباد مكبل ... عليل سقيم مدنف متوجع
إذا ما رآنا حاسرات بلا غطا ... تكاد الحشا تنفت والروح تنزع
فيصرف عنا الوجه من غير بغضة ... ويرنو إلى الرأسُ الحُسينُ فيجزع
فما فعلت عاد كفعل أُميّة ... ولكنهم آثار قوم تتبع
فما قتل السبط الشهيد ورهطه ... سوى عصبة يوم السقيفة أجمعوا
وما ذاك إلّا سامري وعجله ... أهم أصلوا للظلم والقوم فرعوا
ألا لعن الله الذين توازروا ... على ظلم آل المصطفى وتجمعوا
أيا سادتي يا آل بيت مُحمّد ... بكم مفلح مستعصم متمنع
وأنتم ملاذي عند كل كريهة ... وأنتم له حصن منيع ومفزع
إذا كنتم درعي ورمحي ومنصلي ... فلا اختشي بأساً ولا أتروع
بك أتقي هول المهمات في الدنا ... وأهوال روعات القيامة أدفع
فدونكموها من محب ومبغض ... له كبد حرى وقلب مفجع
ولا طاقتي إلّا المدائح والهجا ... وليس بهذا علة القلب تنفع
الا ساعة فيها أجرد صارماً ... وأضرب هام القوم حتّى يصرع
فحينئذ يشفي الفؤاد وحزنه ... مقيم ولو لم يبق للقوم موضع
فكيف ولو بالحر قسنا جميعهم ... لزاد عليهم للرياحي اصبع
أيا سادتي يا آل بيت مُحمّد ... ويا من بهم يعطي الإله ويمنع
ألا فاقبلوا من عبدكم ومحبكم ... قليلاً فإن الحر يرضى ويقنع
فإن كان تقصير بما قد أتيته ... فساحة غدري يا موالي مهيع
فلست بقوال ولست بشاعر ... ولكن من فرط الأسى أتولع

أيّها الإخوان , كيف تخفي زفرات الأحزان ؟ أم كيف تطفي لهبات الأشجان ؟ أتراكم ما تعلمون ما جرى على سادات الزّمان في تلك الأماكن والأوطان ؟ قسماً بالبيت العتيق , لو فكّر المؤمن فيما اصابهم من المحن , لغدى روحه أن تخرج من البدن , كيف لا وهم أنوار الله في أرضه وسمائه , وأصفياء الله وأبناء أصفيائه ! اجتروا عليهم فقطّعوا منهم الأوصال , وجدّلوهم على الرّمال , وجرّعوهم كؤوس الحتوف بأرض الطّفوف , وأخذوا نساءهم سبايا على أقتاب المطايا , عرايا حفايا على أيدي أهل العناد وأشرّ العباد , أمر تكاد السّماوات أن يتفطّرن منه , وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا :

والله ما عاد بأعظم جرأة ... منهم ولا فعلت ثمود وتبع
وناداهم لما به حفوا معاً ... زمراً ولم يك من لقاهم يجزع
يا شر خلق الله ما من مسلم ... منكم له دين يكف ويردع
حرم النّبي تموت من حر الظما ... والوحش في ماء الشريعة يترع
ألكم طلائب عندنا تبغونها ؟ ... أم ما عرفتم ويلكم ما يصنع

فيا لهف نفسي على الكهول والشّبان ! ويا تأسّفي على تلك الأجسام والأبدان ! فيا ليتني كنت تراباً لأقدامهم , وخادماً من جملة خدّامهم.

روي عن المفضل بن عمر , قال : قُلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : كيف كانت ولادة فاطمة (عليها السلام) ؟ فقال : ((نعم , إنّ خديجة لمّا تزوج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) , هجرتها نساء مكّة , وكنّ لا يدخلنّ إليها ولا يسلّمنّ عليها ولا يتركن امرأة تدخل إليها , فاستوحشت خديجة لذلك , فلمّا حملت بفاطمة , كانت فاطمة تحدّثها في بطنها وتصبّرها , وكانت تكتم ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فدخل يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة , فقال لها : يا خديجة , مَن تحدثين ؟ قالت : الجنين في بطني يحدّثني ويؤنسني . قال : يا خديجة , هذا جبرائيل يبشّرني أنّها ابنتي , وأنّها النّسلة الطّاهرة الميمونة , وأنّ الله سيجعل نسلي منها , وسيجعل من نسلها أئمة , ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة (عليها السلام) على ذلك حتّى حضرت ولادتها , فوجّهت إلى نساء قُريش

وبني هاشم : أن تعالين لتلين منّي ما تلي النّساء من النّساء . فأرسلنّ إليها : عصيتينا ولم تقبلي قولنا , وتزوجت مُحمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له , فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً . فاغتمّت خديجة (عليها السلام) لذلك , فبينما هي كذلك , إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنّهن من نساء بني هاشم , ففزعت منهنّ لـمّا رأتهن , فقالت إحداهنّ : لا تحزني يا خديجة , إنّا رسل ربّك ونحن أخواتك ؛ أنا سارة , وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة , وهذه مريم بنت عمران , وهذه كلثم أخت موسى بن عمران , بعثنا الله إليك ؛ لنلي منك ما تلي النّساء من النّساء . فجلست واحدة عن يمينها وأُخرى عن يسارها , والثّالثة بين يديها والرّابعة من خلفها , فوضعت فاطمة (عليها السلام) طاهرة مطهّرة , فلمّا سقطت إلى الأرض , أشرق منها النّور حتّى دخل بيوت مكّة , ولم يبق في شرق الأرض ولا في غربها إلّا أشرق فيه ذلك النّور , ودخل عشر من الحور العين , كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة , وفي الإبريق ماء من ماء الكوثر , فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها , فغسّلتها بماء الكوثر , وأخرجت خرقتين بيضاوين , أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر , فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثّانية , ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشّهادتين , فقالت : أشهد أن لا إله إلّا الله , وأنّ أبي مُحمّد رسول الله سيّد الأنبياء , وأنّ بعلي سيّد الأوصياء , وولدي سادة الأسباط , ثمّ سلّمت عليهنّ واحدة وسمّت كلّ واحدة باسمها , وأقبلنّ يضحكن إليها , وتباشرت الحور العين , وبشّر أهل السّماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة , وحدث في السّماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك , ثمّ قالت النّسوة : خذيها يا خديجة , طاهرة مطهّرة زكية ميمونة , بورك فيها وفي نسلها . فتناولتها فرحة مستبشرة , وألقمتها ثديها فدرّ عليها , وكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصّبي في الشّهر , وفي الشّهر كما ينمو الصّبي في السّنة)).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) , قال : ((فاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين , وأنّها لتقوم في محرابها , فيسلّم عليها سبعون ألف مَلك من الملائكة المقرّبين , وينادونها بما نادت به الملائكة مريم , فيقولون : يا فاطمة , إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين . ثمّ يلتفت إلى عليّ (عليه السلام) , فيقول له : يا عليّ , فاطمة بضعة منّي وهي نور عيني وثمرة فؤادي , يسوءني ما ساءها

ويسرّني ما سرّها , وإنّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي , فأحسن إليها بعدي)) . :

يا نفـــس إن تتلقـــي صـــبراً فقـــد ظلمـــت بنـــــت النّـــــبي رســـــول الله وإبناهـــــا

تلـــك الـــتي أحمـــد المختـــار والـــدها وجبرائيـــــل أمـــــين الله رباهـــــا

الله طهرهـــــا مـــــن كـــــل فاحشـــــة مـــــن كـــــل ريـــــب وزكاهـــــا وصـــــفاها

فهذا يا إخوان الدّين ما وصل إلينا في ولادة بنت سيّد المرسلين.

وأمّا ولادة الحُسين بن عليّ (عليهما السلام) , فقد روي فيها عن ابن عبّاس , قال : لمّا أراد الله أن يهب لفاطمة الزّهراء , وكان في رجب في اثني عشر ليلة خلت منه ، فلمّا وقعت في طلقها , أوحى الله عزّ وجلّ إلى لعيا (وهي : حوراء من الجنّة) وأهل الجنان إذا أرادوا أن ينظروا إلى شيء حسن نظروا إلى لعيا ، قال : ولها سبعون ألف وصيفة , وسبعون ألف قصر , وسبعون ألف مقصورة , وسبعون ألف غرفة مكلّلة بأنواع الجواهر والمرجان , وقصر لعيا أعلا من تلك القصور ومن كلّ القصور في الجنّة , إذا أشرفت على الجنّة , نظرت جميع ما فيها وأضاءت الجنّة من ضوء خدّها وجبينها , فأوحى الله إليها : ((أن اهبطي إلى دار الدّنيا , إلى بنت حبيبي مُحمّد فآنسي لها)) . فأوحى الله إلى رضوان خازن الجنان : ((أن زخرف الجنّة وزيّنها ؛ كرامة لمولود يولد في دار الدّنيا)) . وأوحى الله إلى الملائكة : ((أن قوموا صفوفاً بالتّسبيح والتّقديس والثّناء على الله تعالى)) . وأوحى إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل : ((أن اهبطوا إلى الأرض في قنديل من الملائكة)) . قال ابن عباس : والقنديل ألف ألف ملك , فبينما هبطوا من سماء إلى سماء , إذا في السّماء الرّابعة ملك يُقال له (صلصائيل) , له سبعون ألف جناح قد نشرها من المشرق إلى المغرب , وهو شاخص نحو العرش ؛ لأنّه ذكر في نفسه فقال : ترى الله يعلم ما في قرار هذا البحر , وما يسير في ظلمة الليل وضوء النّهار ؟ فعلم الله تعالى في نفسه , فأوحى الله إليه : ((أن أقم مكانك لا تركع ولا تسجد ؛ عقوبة لك لما فكّرت)).

قال : فهبطت لعيا على فاطمة , وقالت لها : مرحباً بك يا بنت مُحمّد كيف حالك ؟ قالت (عليها السلام) لها : ((بخير)) . ولحق فاطمة الحياء من لعيا لم تدري ما تفرش لها , فبينما هي متفكّرة , إذ هبطت حوراء من الجنّة ومعها درنوك من درانيك الجنّة , فبسطته في منزل فاطمة فجلست عليه لعيا , ثمّ إنّ فاطمة (عليها السلام) ولدت الحُسين (عليه السلام) في وقت الفجر , فقبّلته لعيا وقطعت سرّته ونشّفته بمنديل من

مناديل الجنّة , وقبّلت عينيه وتفلت في فيه , وقالت له : بارك الله فيك من مولود وبارك في والديك . وهنأت الملائكة جبرائيل , وهنأ جبرائيل مُحمّداً سبعة أيّام بلياليها , فلمّا كان في اليوم السّابع , قال جبرائيل : يا مُحمّد , آتنا بابنك هذا حتّى نراه . قال : فدخل النّبي (صلى الله عليه وآله) على فاطمة , فأخذ الحُسين وهو ملفوف بقطعة صوف صفراء , فأتى به إلى جبرائيل , فحلّه وقبّله بين عينيه وتفل في فيه , وقال : بارك الله فيك من مولود , وبارك في والديك يا صريع كربلاء ! ونظر إلى الحُسين وبكى , وبكى النّبي (صلى الله عليه وآله) وبكت الملائكة , وقال جبرائيل : اقرأ فاطمة ابنتك السّلام , وقُل لها : تُسمّيه الحُسين , فقد سمّاه الله جلّ إسمه , وإنّما سُمّي الحُسين ؛ لأنّه لم يكُن في زمانه أحسن منه وجهاً . فقال رسول الله (ص) : ((يا جبرائيل , تهنيني وتبكي ؟!)) . قال : نعم يا مُحمّد , آجرك الله في مولودك هذا . فقال (ص) : ((يا حبيبي جبرائيل ومَن يقتله ؟)) . قال : شراذمة من أُمّتك يرجون شفاعتك لا أنالهم الله ذلك . فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((خابت أُمّة قتلت ابن بنت نبيّها)) . قال جبرائيل : خابت ثمّ خابت من رحمة الله , وخاضت في عذاب الله . ودخل النّبي (صلى الله عليه وآله) على فاطمة , فأقرأها من الله السّلام , وقال لها : ((يا بنيّة , سمّيه الحُسين فقد سمّاه الله الحُسين)) . فقالت : ((من مولاى السّلام وإليه يعود السّلام , والسّلام على جبرائيل)) . وهنأها النّبي وبكى ، فقالت : ((يا أبتاه ! تهنئني وتبكي ؟)) . قال : ((نعم يا بنيّة ! آجرك الله في مولودك هذا)). فشهقت شهقة وأخذت في البكاء وساعدتها لعيا ووصائفها , وقالت : ((يا أبتاه ! مَن يقتل ولدي وقرّة عيني وثمرة فؤادي ؟)) . قال : ((شراذمة من أُمّتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك)) . قالت فاطمة : ((خابت أُمّة قتلت ابن بنت نبيّها)) . قالت لعيا : خابت ثمّ خابت من رحمة الله , وخابت في عذابه . ((يا أبتاه ! اقرىء جبرائيل عنّي السّلام , وقُل له في أيّ موضع يُقتل ؟)) . قال : ((في موضع يُقال له كربلاء , فإذا نادى الحُسين لم يجبه أحد منهم , فعلى القاعد من نصرته لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، ألا أنّه لن يُقتل حتّى يخرج من صلبه تسعة من الأئمة , ثمّ سمّاهم بأسمائهم إلى آخرهم , وهو الذي يخرج آخر الزّمان مع عيسى بن مريم ، فهؤلاء مصابيح الرّحمن وعروة السّلام , محبّهم يدخل الجنّة ومبغضهم يدخل النّار)).

قال : وعرج جبرائيل وعرج الملائكة وعرجت لعيا , فبقي الملك صلصائيل , فقال : يا حبيبي , أقامت القيامة على أهل

الأرض ؟ قال : لا ، ولكن هبطنا إلى الأرض , فهنئنا مُحمّداً بولده الحُسين . قال : حبيبي جبرائيل , فاهبط إلى الأرض , فقل له : يا مُحمّد , اشفع إلى ربّك في الرّضا عنّي ؛ فإنّك صاحب الشّفاعة . قال : فقام النّبي (صلى الله عليه وآله) ودعا بالحُسين (عليه السلام) , فرفعه بكلتا يديه إلى السّماء , وقال : ((اللّهمّ , بحقّ مولودي هذا عليك إلّا رضيت على الملك)) . فإذا النّداء من قبل العرش : ((يا مُحمّد , قد فعلت وقدرك كبير عظيم)) . قال ابن عباس : والذي بعث مُحمّداً بالحقّ نبيّاً , إنّ صلصائيل يفخر على الملائكة ؛ أنّه عتيق الحُسين , ولعيا تفخر على الحور العين ؛ بأنّها قابلة الحُسين.

فيا إخواني , يحقّ لمن فارقته ساداته الذين بهم سعادته , ولم يتمكّن من الوصول إليهم , ولبذل نفسه في الجهاد بين يديهم , أن تسيل دموعه الهاطلة وتزيد حرقته المواصلة , ويواصل النّوح بالعويل لا سيّما لو كان بذاك رضا الجليل ، فنوحوا يا إخواني على ساداتكم الكرام , وتمثّلوا ما أصابهم من الكفرة اللئام , قتلوا رجالهم وذبحوا أطفالهم ونهبوا أموالهم ، فعلى مثلهم فليبك الباكون , وعلى مثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن المتوج (رحمه الله تعالى)

ألا نوحوا وضجوا بالبكاء ... على السبط الشهيد بكربلاء
ألا نوحوا بسكب الدمع حزناً ... عليه وامزجوه بالدماء
الا نوحوا على من قد بكاه ... رسول الله خير الأنبياء
ألا نوحوا على من قد بكاه ... عليّ الطهر خير الأوصياء
ألا نوحوا على من قد بكته ... حبيبة أحمد ست النساء
ألا نوحوا على من قد بكاه ... لعظم الشجو أملاك السماء
ألا نوحوا على قمر منير ... عراه الخسف من بعد الضياء
ألا نوحوا على غصن رطيب ... ذوي بعد النظارة والبهاء
ألا نوحوا لخامس آل طه ... وياسين وأصحاب العباء
ألا نوحوا على شرف القوافي ... ومتخرة المرائي والثناء
ألا نوحوا عليه وقد أحاطت ... به خيل البغاء الأشقياء

إذ أقبـــــل واعظـــــاً فـــــيهم خطيبـــــاً ... وبالـــــغ في النصـــــيحة والـــــدعاء
ألا يا قـــــوم أنشـــــدكم فـــــردوا ... جـــــوابي هـــــل يحـــــل لكـــــم دمـــــائي
وجـــــدي أحمـــــد وأبي علـــــيّ ... وأمـــــي فـــــاطم ســـــت النســـــاء
فقـــالوا هـــل نطقـــت بقـــول صـــدق ... وقـــد أخـــبرت بالحـــق الســـواء
ولكـــن قـــد أمـــرنا لا نخلـــي ... ســـبيلك أو تبـــايع بالوفـــاء
وإلّا بالقواضـــــب والعـــــوالي ... نجـــرعكم بهـــا غصـــص الظمـــاء
فقـــال أبالقتـــال تخوفـــوني ... وهـــل تخشـــى الأســـود مـــن الظبـــاء
فنـــادوا للقتـــال معـــاً ونادى ... أخيـــل الله هـــبي للقـــاء
فكـــافحهم علـــى غصـــص إلى أن ... أبادوا ناصـــريه ذوي الوفـــاء
وصـــادفهم بمهجتـــه إلى أن ... أتاه ســـهم أشـــقى الأشـــقياء
فخـــرّ وبادر الملعـــون شمـــر ... وحـــز وريـــده بعـــد ارتقـــاء
وعـــلا رأســـه في رأس رمـــح ... وخلـــى الجســـم شـــلواً بالعـــراء
ومـــالوا في الخيـــام فحرقوهـــا ... وعـــاثوا في الـــذراري والنســـاء
وســـاقوا الطـــاهرات مهتكـــات ... علـــى قتـــب الجمـــال بـــلا وطـــاء
ألا يا آل ياســـين فـــؤادي ... لـــذكري مصـــابكم حلـــف الضـــناء
فـــأنتم عـــدتي لي في يـــوم معـــادي ... إذا حشـــر الخلائـــق للجـــزاء
ومـــا أرجـــو لآخـــرتي ســـواكم ... وحاشـــا أن يخيـــب بكـــم رجـــائي
أنا ابـــن متـــوج توجتمـــوني ... بتـــاج الفخـــر طـــراً والبهـــاء
صـــلاة الخلـــق والخـــلاق تـــترى ... علـــيكم بالصـــباح وبالمســـاء
ولعنتـــه علـــى قـــوم أباحـــوا ... دمـــاءكم بظلـــم وافـــتراء

المجلس الثّامن

في اليوم الرّابع من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

تفكّروا أيّها الإخوان في أهل الظّلم والعدوان , كيف حملتهم الأحقاد والغلّ الكامن في الفؤاد , على انتهاك حرمة الرّسول وذرّيّة الزّهراء البتول , فصرعوهم على الرّمال ولم يراقبوا الكبير المتعال , ولا بما قيل وقال , بل رفعوا رؤوس آل النّبي على الرّماح , وتركوا أجسادهم شاحبة تسفى عليها الرّمال ، فهم ما بين قتيل يجري منه الصّديد وأسير مكبّل بالحديد ، وامرأة تحنّ ومريض يئنّ ، وسبايا كسبي العبيد ، يُقادون بالعنف إلى يزيد , كأنّهم أُسارى بني الأصفر وليسوا من ذرّيّة النّبي المطهّر :

قليـــل لهـــذا الـــرزء تكـــوير شمســـها ... وإن تفطـــر الســـبع الشـــداد لـــه قطـــرا

مصـــاب بكـــت منـــه السّـــماء وأهلهـــا ... وأشـــقت بـــه الشـــم الرعـــان علـــى المســـرى

وخطـــب جليـــل قليـــل حـــين حلولـــه ... لـــدمع رســـول الله مـــن عينـــه أجـــرى

ليبـــك بنـــو الســـلام طـــراً علـــيهم ... كمـــا بكـــت الآيات والملّـــة الغـــرا

حملتهم الدُنيا الدّنيّة على قتل العترة النّبوية . وقد ورد في الخبر عن سادات البشر , حبّها من أعظم الأخطار الموجبة للسخط ودخول النّار.

وفي الحديث القدسي : ((لو صلّى عبدي صلاة أهل السّماوات وأهل الأرضين , وصام صيام أهل السّماوات وأهل الأرضين , وحجّ حجيج أهل السّماوات وأهل الأرضين

وطوى عن أكل الطّعام مثل الملائكة المقرّبين , ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدّنيا ذرّة , أو من سمعتها أو من رئاستها , أو من محمدتها أو من حليتها , أو من زينتها أدنى من ذرّة , فإنّه لا يجاورني في دار كرامتي ، ولأنزعنّ من قلبه محبّتي , ولأظلمنّ قلبه حتّى ينسى ذكري ؛ حتّى لا أذيقه رحمتي يوم القيامة)).

وفي الخبر عن الصّادق (عليه السلام) , قال : ((إذا كان يوم القيامة , يمرّ رسول الله بشفير جهنّم , ومعه عليّ بن أبي طالب والحسن والحُسين (عليهم السلام) , فيراهم المختار وهو يومئذ في النّار , فينادي بصوت عال : يا شفيع المذنبين ! أنقذني من النّار . فلم يجبه ، فينادي : يا عليّ ! أغثني من النّار . فلم يجبه ، فينادي : يا حسن يا سيّد شباب أهل الجنّة ! أدركني . فلم يجبه ، فينادي : يا حُسين يا سيّد الشّهداء ! أنا الذي قتلت أعداءك وأخذت لك بالثأر , أنقذني من النّار . فيقول النّبي : يا حُسين , إنّ المختار قد احتجّ عليك بأخذ الثّأر من أعدائك , فأنقذه من النّار . قال : فينتفض الحُسين (عليه السلام) سريعاً كالبرق الخاطف , ويخرجه من النّار , ويغمسه في نهر الحيوان , ويدخله الجنّة مع الأخيار ببركة النّبي المختار)).

فسُئل الصّادق (ع) : يابن رسول الله , فلِمَ أُدخل المختار النّار وهو من الأخيار والشّيعة الأبرار , وأفضل الأنصار لأهل بيت النّبي المختار ؟! فقال (عليه السلام) : ((إنّ المختار كان يحبّ السّلطنة , وكان يحبّ الدّنيا وزينتها وزخرفها , وأنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة ؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : والذي بعثني بالحقّ نبياً , لو أنّ جبرائيل أو ميكائيل كان في قلبهما ذرّة من حبّ الدّنيا , لأكبّهما الله على وجوههما في نار جهنّم)).

فنزّهوا أيّها الإخوان أنفسكم عن الرّاكعون إلى الدُنيا , وإيّاكم وطلب الرّئاسة والعليا ؛ فإنّها دار لا يدوم فيها نعيم , ولم يبق أحد من شرّها سليم , وكيف يرضى العاقل بالدّنيا دار بعد آل الرّسول وسلالة الطّاهرة البتول ؟! هذه والله دار غدرت بمواليها , فلا خير والله فيها إلّا مَن اتخذ فيها الزّاد ليوم المعاد ، ولعمري , لا عمل فيها أفضل من موالاة الآل , الدّافعة لتلك الأهوال يوم الحشر والمآل :

هم السادة الأطهار آل محمد ... هم الدين والدنيا لمن يتعقل

هم الطور والأعراف والنور والضحى ... وياسين والأحقاف والمترمل

مهابط وحي الله في حجراتهم ... وتبيان برهان الكتاب المنزل

فمـــا مـــثلهم في الكـــون إن عـــد مفخـــر أعـــد نظـــراً يا صـــاح إن كنـــت تعقـــل
خلـــت مـــنهم أرض العقيـــق وعطلـــت منـــازل آيات بهـــا الـــوحي ينـــزل
منـــازل تنزيـــل بهـــا الحـــزن قـــد ثـــوى ومجلـــس أنـــس قـــد خـــلا منـــه نـــزل
حـــدا بهـــم حـــادي المنـــايا معجـــلا وســـارت بهـــم عنفـــاً علـــى الابـــن نـــزل
أصـــابتهم أيـــدي المصـــائب فاغتـــدوا أماثيـــل في الـــدّنيا لمـــن يتمثـــل
فمـــا مـــنهم إلّا قتيـــل وهالـــك بســـم ومـــذبوح وذاك مكبـــل
علـــى مـــثلهم فليبـــك بالمـــدى المـــدى ويـــذرف دمعـــاً كالمســـيل مســـبل

روي عن عليّ بن عاصم الكوفي الأعمى , قال : دخلت على سيدي ومولاي الحسن العسكري (عليه السلام) , فسلّمت عليه , فردّ عليّ السّلام وقال : ((مرحباً بك يابن عاصم , اجلس مكانك , هنيئاً لك يابن عاصم , أتدري ما تحت قدميك ؟)) . فقلت : يا مولاي , إنّي أرى تحت قدمي هذا البساط , كرّم الله وجه صاحبه . فقال لي : ((يا بن عاصم , اعلم أنّك على بساط جلس عليه كثير من النّبيين والمرسلين)) . فقلت : يا سيدي , ليتني لا أفارقك ما دمت في دار الدّنيا . ثمّ قلت في قلبي : ليتني أرى هذا البساط . فعلم الإمام ما في ضميري , فقال : ((ادن منّي)) . فدنوت منه , فمسح يده على وجهي , فصرت بصيراً بإذن الله ، ثمّ قال لي : ((هذا قدم أبينا آدم , وهذا أثر هابيل , وهذا أثر شيث , وهذا أثر إدريس , وهذا أثر هود , وهذا أثر صالح , وهذا أثر لقمان , وهذا أثر إبراهيم , وهذا أثر لوط , وهذا أثر شعيب , وهذا أثر موسى , وهذا أثر داود , وهذا أثر سُليمان , وهذا أثر الخضر , وهذا أثر دانيال , وهذا أثر ذي القرنين الاسكندر , وهذا أثر عدنان , وهذا أثر عبد المُطّلب , وهذا أثر عبد الله , وهذا أثر عبد مُناف , وهذا أثر جدّي رسول الله , وهذا أثر جدّي عليّ بن أبي طالب)) .

قال عليّ بن عاصم : فأهويت على الأقدام كلّها وقبّلتها , وقبّلت يد الإمام العسكري (عليه السلام) , وقلت له : يا سيدي , إنّي عاجز عن نصرتكم بيدي , وليس أملك غير موالاتكم , والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي , فكيف حالي يا سيدي ؟ فقال : ((حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله , قال : مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت , ولعن في خلواته أعداءنا , بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة , فكلّما لعن أحدكم أعداءنا , ساعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم ، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة , استغفروا له

وأثنوا عليه , وقالوا : اللّهمّ صلّ على روح عبدك , هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده , ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل . فإذا النّداء من قبل الله تعالى يقول : يا ملائكتي , إنّي قد أجبت دعائكم في عبدي هذا , وسمعت نداءكم , وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار , وجعلته من المُصطفين الأخيار)).

وكذلك قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لأصحابه الذين كانوا معه لمّا غُصبت الخلافة منه , حيث قال : ((يا أصحابي , الزموا بيوتكم واصبروا على البلاء , ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم وأهواء ألسنتكم , ولا تستعجلوا بما يُعجّله الله لكم ؛ فإنّه مَن مات منكم على فراشه وهو على معرفة من حقّ ربّه , وحقّ نبيّه وآل نبيّه , كان كمن مات شهيداً , أو أجره على الله , واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله , وقامت النّية مقام صلاته وجهاده بسيفه ويده , وإنّ لكلّ شيء أجلاً وانتهاء)).

فيا إخوتي , لله درّ الشّيعة المُخلصين , والأتباع المُتّقين , وأهل الولاية أجمعين , الذين بذلوا قلوبهم في المحبّة , واستعملوها في المودّة والمسبّة.

روي في الخبر عن سيّد البشر (صلى الله عليه وآله) , أنّه كان يقول للحسن والحُسين : ((أنتما زينة عرش الرّحمن , أنتما اللؤلؤة والمرجان)) . فقيل له : يا رسول الله , وكيف ذلك , وكيف يكونان تزيين عرش الرّحمن ؟ فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : ((إذا كان يوم القيامة , يزيّن عرش ربّ العالمين بكلّ زينة , ثمّ يؤتى بمنبرين من نور , كلّ منبر طوله مئة ميل , فيوضع أحدهما عن يمين العرش , والآخر عن يسار العرش ، ثمّ يؤتى بالحسن والحُسين (عليهما السلام) , فيقف الحسن على أحدهما والحُسين على الآخر , يزيّن الرّب تبارك وتعالى بهما عرشه كما تزيّن المرأة قرطاها)) . ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) : ((ويوضع يوم القيامة منابر تحت العرش لشيعتي , ولشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا , فيقول الله عزّ وجلّ : هلمّوا يا عبادي إليّ لأنشر عليكم كرامتي , فقد أوذيتم في دار الدُنيا)).

وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله) : ((أنا الشّجرة وفاطمة فرعها وعليّ لقاحها , والحسن والحُسين ثمرها , وشيعتنا أهل البيت أوراقها , قد أفلح من تمسّك بهذه الشّجرة)).

وفي الخبر أيضاً عنه (صلى الله عليه وآله) , أنّه قال : ((يدخل الجنّة من أُمّتي سبعون ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب يصل إليهم)) . ثمّ التفت إلى عليّ (عليه السلام) , فقال : ((شيعتك هُم وأنت إمامهم)).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) , قال : ((إذا بلغت نفس المؤمن الحنجرة , وأهوى ملك الموت بيده إليها , يرى قرّة عين , يُقال له : انظر عن يمينك . فيرى رسول الله

وعليّاً وفاطمة والحسن والحُسين , فيقولون له : إلينا إلى الجنّة . والله لو بلغت روح عدوّنا إلى صدره , وأهوى ملك الموت بيده إليها , لا بدّ أن يُقال : انظر عن يسارك . فيرى مُنكراً ونكيراً يُهدّدانه بالعذاب , نعوذ بالله منه)) . :

مناقبهم بين الورى مستنيرة ... لها غرر مجلوة وحجول
مناقب جلت أن يحاط بحصرها ... نمتها فروع قد زكت وأصول
مناقب وحي الله أثبتها لهم ... بما قام منه شاهد ودليل
مناقب من خلق النّبي وخلقه ... ظهرت فما يغتالهن أفول
أمولاي آمالي تؤمل نصركم ... وقلبي إليكم بالولاء يميل
وقد طال عمر الصبر في أخذ ثاركم ... كما آن للظلم المقيم رحيل
متى يشتفي حر الغليل ويشتفي ... فؤاد بآلام المصاب عليل
ويجبر هذا الكسر في ظل دولة ... لها النصر جند والأمان دليل
هنالك يضحى دين آل محمد ... عزيزاً ويمسي الكفر وهو ذليل
ويطوي بساط الحزن بعد كآبة ... وتنشر نشراً للهناء ذيول
فيا آل طه الطاهرين رجوتكم ... ليوم به فصل الخطاب طويل
أقيلوا إعثاري يوم فقري وفاقتي ... فظهري بأعباء الذنوب ثقيل

فيا إخواني , دعوا التّشاغل عنكم بالأهل والأوطان والأتراب والأخدان , تفكّروا فيما أصاب سادات الزّمان الذين تمّ لكم بهم الإيمان , واستحققتهم بموالاتهم دخول الجنان ورضاء الرّحمن.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

يا عين لا لخلو الربع والدمن ... باكي الرزايا سوى الباكي على السكن
وآسى بني الهدى فيما أصيبت به ... وساعدي البضعة الزّهراء على الحزن
وقابليها بارض الطف صارخة ... على القتيل الغريب النازح الوطن

تشـــــكو إلى الله والأمـــــلاك محدقـــــة ... بالعـــرض تستصـــرخ المـــولى أبا حســـن
مـــن حولهـــا مـــريم العـــذراء وآســـية ... تكـــرر النـــوح بالتـــذكار والحـــزن
والنـــوح مـــن نادبات الجـــن مرتفـــع ... وقلبهـــا موجـــع بالثكـــل والمحـــن
لهفـــي علـــى قـــول مـــولاتي وقـــد نظـــرت ... شـــلو الحُســـين بـــلا غســـل ولا كفـــن
ملقـــى علـــى الأرض عـــاري الجســـم منعفـــر ... الخـــدين مختضـــب الأوداج والـــذقن
لهفـــي علـــى زينـــب حـــرى مجـــردة ... مســـلوبة تســـتر الأكتـــاف بالـــردن
تقـــول يا واحـــدي مـــن لي إذا نزلـــت ... بي الحـــوادث يحميـــني ويكفيـــني
لهفـــي علـــى فـــاطم الصـــغرى مقرحـــة ... بالـــدمع أجفانهـــا مســـلوبة الوســـن
تـــدعو إلى زينـــب يا عمتـــا ســـلب العلـــج ... القنـــاع ليســـبيني ويهتكـــني
فرمـــت أســـتر وجهـــي عنـــد رؤيتـــه ... فظـــل يشـــتمني عمـــداً ويضـــربني
أيـــن الحمـــاة وأيـــن الناصـــرون لنـــا ... وا خيبـــتي جـــار دهـــري واعتـــدى زمـــني
لهفـــي علـــى الســـيد الســـجاد معـــتقلاً ... في أســـرهم مســـتذلا ناحـــل البـــدن
إذا شـــكا اسمعـــوه قـــبح شـــتمهم ... وإن ونى قنعـــوه فاضـــل الرســـن
وا حســـرتاه لكـــريم الســـبط مشـــتهراً ... كالبـــدر يشـــرق فـــوق الـــدل واللـــدن
فيـــا لهـــا محنـــة عمـــت مصـــيبتها ... ويا لهـــا حســـرة في قلـــب ذي شـــجن
يهـــني يزيـــد بـــرأس طـــال مـــا رشـــف ... المختـــار مـــن ثغـــره تقبيـــل مفتـــتن
وتســـتحث بنـــات المصـــطفى ذلـــلا ... علـــى المطـــايا إلى الأطـــراف والمـــدن
قـــد قـــابلونا بنـــو حـــرب بمـــا صـــنعوا ... ولا شـــفوا غلـــل الأحقـــاد والضـــغن
بفعلهـــم كفـــروا فينـــا واعتقـــدوا ... أن لا جـــزاء علـــى قـــبح ولا حســـن
مضـــوا علـــى ســـنن الماضـــين وارتكبـــوا ... نهـــج الضـــلال ومـــالوا عـــن هـــدى الســـنن
كـــأنني بالبتـــول الطهـــر واقفـــة ... في الحشـــر تشـــكو إلى الـــرّحمن ذي المـــنن
تأتي وقـــد ضـــمخت ثـــوب الحُســـين دمـــاً ... مـــن نحـــره وهـــي تبـــدي الحـــزن في حـــزن
تـــدعو الا ابـــن مســـمومي ويا أســـفي ... علـــى قتيلـــي ويا كـــربي ويا حـــزني
يا رب مـــن نوزعـــت مـــيراث والـــدها ... مثلـــي ومـــن طولبـــت بالحقـــد والإحـــن
ومـــن تـــرى جرعـــت في ولـــدها غصـــص ... كمـــا ابـــن مرجانـــة الملعـــون جـــرعني
ومـــن تـــرى كـــذبت قبلـــي وقـــد علمـــوا ... أن الإلـــه مـــن الأرجـــاس طهـــرني
وهـــل لبنـــت نـــبي أضـــرمت شـــعل ... كمـــا أطيـــف بـــه بيـــتي ليحـــرقني

خرجـــت أطلـــب للأطفـــال بلغـــتهم ... دفعـــني ظـــالمي عنهـــا ودافعـــني

رب انتصـــف لي ممـــن خـــان عهـــدك ... في ولـــدي وممـــن زوى إرثـــي فـــأفقرني

وتســـتغيث أمـــام العـــرش ســـاجدة ... والمصـــطفى واقـــف والـــدمع كـــالمزن

فيـــبرز الأمـــر أني قـــد سمعـــت وقـــد ... نقمـــت ممـــن عصـــى أمـــري وخـــالفني

أعظـم بهـا ومنـادي الحشـر يسـمع بالصـوت ... الرفيـــع لـــديها كـــل ذي أذن

غضـــوا العيـــون فخـــاتون القيامـــة قـــد ... جـــاءت لتشـــفع فـــيمن بالـــولاء كـــنى

مـــن كـــل محـــترق مـــن عظـــم فجعتهـــا ... بكـــى وســـاعدها بالمـــدمع والهـــتن

يا ســـادتي الهـــادي النّـــبي ومـــن ... أخلصـــت ودي لهـــم في الســـر والعلـــن

عـــرفتكم بـــدليل العقـــل والنظـــر المهـــدي ... فلـــم أخـــش كيـــد الجاهـــل اللكـــني

ظفـــرت بالكنـــز في علـــم اليقـــين فلـــم ... أخـــش اعتراضـــاً لـــدى شـــك ينـــازعني

فلســـت آســـى علـــى مـــن ظـــل يبعـــدني ... بالقـــرب مـــنكم ومـــن بالغـــت تـــرحمني

وإنـــني أرتجـــي أن ســـوف يلطـــف بي ... ربي فيصـــفح عـــن جرمـــي ويـــرحمني

وأن فاطمـــــة الزّهـــــراء تشـــــفع لي ... والمرتضـــى لجنـــان الخلـــد يقســـمني

فـــاز الخليعـــي كـــل الفـــوز واتضـــحت ... بكـــم لـــه ســـبل الإرشـــاد والســـنن

الباب الثّاني

أيّها المؤمنون الأخيار , لا تبخلوا بالدّموع الغزار على عترة النّبي المُختار ، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويجزل لديه ثوابكم ؟ أليس هُم شفعاؤكم يوم المعاد إذا وقفتم بين يدي ربّ العباد ؟ أليس هُم العدّة لكم بكلّ شدّة ؟ أليس بهم تحطّ الأوزار ؟ أليس هُم الجنان الواقية من النّار ؟ فمَن بخل منكم عليه بإثارة الأحزان والأشجان , فعلى نفسه بخل ولقدر مواليه وساداته حقر وجهل , أيبكي الباكون منكم على الأهل والأولاد والآباء والأجداد ؟ فيا عجباً لمن أساء إليهم وظلمهم وقصّر في حقّهم وما أكرمهم ! وما ارتكب منهم ما يوجب السّخط العظيم , والعدل عن النّهج القويم والصّراط المُستقيم ؟! أمر : ﴿ تَكَادُ السّماوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقّ الْأَرْضُ وَتَخِرّ الْجِبَالُ هَدّاً ﴾[1] :

إن كنـــت في شـــك فســـل عـــن حـــالهم ... ســـنن الرّســـول ومحكـــم التنزيـــل

فهنـــاك أعـــدل شـــاهد لـــذوي النهـــى ... وبيـــان فضـــلهم علـــى التفصـــيل

---

(1) سورة مريم / 90.

ووصـــــية ســـــبقت لأحمـــــد فـــــيهم جـــاءت إليـــه علـــى يـــدي جبرائيـــل

روي عن أُمّ سلمة : أنّ الحسن والحُسين دخلا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) , وكان عنده جبرائيل (عليه السلام) , فجعلا يدوران حوله يشبّهانه بدحية الكلبي , فجعل جبرائيل يومي بيده نحو السّماء كالمُتناول شيئاً , فإذا بيد جبرائيل تفّاحة وسفرجلة ورمّانة , فناولهما الجميع , فتهلّلت وجوههما فرحاً وسعيا إلى جدّهما , فقبّلهما وقال لهُما : ((اذهبا إلى منزلكما وابدءوا بأبيكما)) . ففعلا كما أمرهما جدّهما , ولم يأكلوا منها شيئاً حتّى جاء النّبي إليهم , فجلسوا جميعاً وأكلوا حتّى شبعوا , ولم يزالوا يأكلون من ذلك السّفرجل والتّفّاح والرّمان , وهو يرجع كما كان أوّلاً حتّى قُبض النّبي (صلى الله عليه وآله) , ولم يلحقه التّغيير والنّقصان في مدّة أيّام حياة فاطمة (عليها السلام).

قال الحُسين (عليه السلام) : ((فلمّا توفّيت أُمّي فاطمة , فقدنا الرّمان وبقي التّفّاح والسّفرجل أيّام حياة أبي ، فلمّا استشهد أبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , فقدنا السّفرجل وبقي التّفاح عليَّ إلى وقت مُنعت فيه شرب الماء , فكنت أشمّها إذا عطشت , فيسكن لهيب عطشي ، فلمّا دنا أجلي , رأيتها قد تغيّرت فأيقنت بالفناء)).

قال عليّ بن الحُسين : ((سمعت أبي يقول ذلك قبل مقتله بساعة , فلمّا قضى نحبه , وجد ريح التّفّاح في مصرعه , فالتمست التّفّاحة فلم أجد لها أثراً , فبقي ريحها بعد مقتله (عليه السلام) , ولقد زرت قبره فشممت منه رائحة التّفّاح تفوحّ من قبره صلوات الله عليه , فمَن أراد ذلك من شيعتنا الصّالحين الزّائرين قبر الحُسين , فيلتمس ذلك في أوقات السَّحر , فإنّه يجد رائحة التّفّاح عند قبر الحُسين إن كان مخلصاً موالياً صادقاً)).

وعن الصّادق (عليه السلام) : ((أنّ جبرائيل نزل إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) , فقال : يا مُحمّد , إنّ الله يقرؤك السّلام ويبشّرك بمولود من ابنتك فاطمة الزّهراء (عليها السلام) , وتقتله أُمّتك من بعدك . فقال : يا جبرائيل , قُل لربّي , لا حاجة لي في مولد يولد من فاطمة وتقتله أُمّتي من بعدي . قال : فعرج جبرائيل (عليه السلام) إلى السّماء في أسرع من طرفة عين , ثمّ هبط وقال : يا مُحمّد , إنّ ربّك يقرأ عليك السّلام , ويبشّرك أنّه جاعل في ذرّيّته الأمانة والولاية والوصيّة . فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : رضيت بذلك . ثمّ أرسل النّبي إلى ابنته فاطمة (عليها السلام) , يقول : إنّ الله يبشّرك بمولود يولد منك وتقتله أُمّتي من بعدي . فجزعت فاطمة وأرسلت إليه تقول : لا حاجة لي في مولود يولد منّي وتقتله أُمّتك من بعدنا . فأرسل إليها يقول : إنّ الله

جاعل من ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة . فأرسلت إليه تقول : إنّي قد رضيت :﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾[1] . [فلو أنّه قال : اصلح لي ذريتي ، لـ] كانت ذرّيّته كلّهم أئمة)) . فهذه الآية نزلت في شأن الحُسين (ع).

وروي : أنّ الحُسين لم يرضع من ثدي فاطمة شيئاً , ولا رضع من أُنثى لبناً , ولكنّه كان يؤتى به إلى جدّه رسول الله , فيضع إبهامه في فيه , فيمصّ منها لبناً يكفيه ويُغذّيه يومين أو ثلاثة أيّام , فنبت لحم الحُسين من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) , ودمه من دمه وعظمه من عظمه , ومخّه من مخّه وشعره من شعره , ولم يولد مولود لستة أشهر , إلّا عيسى بن مريم والحُسين بن فاطمة (عليهما السلام).

وفي خبر آخر : أنّ فاطمة (عليها السلام) لـمّا اغتسلت بعدما ولدت الحُسين , جفّ لبنها , فطلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرضعة , فلم يجد له مرضعة , فكان يأتيه الحُسين مع أُمّ سلمة فيلقمه إبهامه فيمصّه , ويجعل الله له من إبهام النّبي رزقاً يغذّى به بقدرة الله تعالى.

وفي خبر آخر : بل كان رسول الله يُدخل لسانه في فم الحُسين , فيغّره كما يغّر الطّير فرخه , فيجعل الله له في ذلك رزقاً بقدرة الله تعالى , ففعل ذلك به أربعين يوماً وليلة ، فنبت لحمه من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

أيقتل ظمآناً حُسين بكربلا ... وفي كل عضو من أناملـه بحر
ووالده الساقي على الحوض في غد ... وفاطمة ماء الفرات لها مهر
فوا لهف نفسي للحسين وما جنى ... عليه غداة الطف في حربه شمر
سنان سنان خارق منه في الحشا ... وصارم شمر في الوريد له شمر
تجر عليه العاصفات ذيولها ... ومن نسج أيدي الصافنات له طمر
فيا لك مقتولاً بكته السّماء دماً ... فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
مصابكم يا آل طه مصيبة ... ورزء على السّلام أحدثه الكفر

حكى عبد الله بن العبّاس , قال : جاءني رجل من بني أُميّة , فقال : أريد أن أسألك عن سؤال ؟ فقلت له : سل عمّا تُريد . فقال لي : يا عبد الله , ما تقول في دم البعوضة , هل يُنقض الوضوء أم لا ؟ وهل هو طاهر أم نجس ؟ فقلت له : ثكلتك أُمّك يا عديم الرأي ! تسأل عن دم البعوضة فلِمَ لا سألت عن دم الحُسين ابن بنت

---

(1) سورة الأحقاف / 15.

رسول الله ؟! سفكتم دمه وقطعتم لحمه وكسرتم عظمه , وقتلتم أولاده وأطفاله وأنصاره , وسبيتم حريمه ومنعتموه من شرب الماء , ألا لعنة الله على الظّالمين . ثمّ التفت عبدالله إلى جلسائه , وقال : انظروا إلى هذا اللعين , كيف يسألني عن دم البعوضة , ولا يخاف أن يسأله الله عن دم الحُسين ابن بنت رسول الله ؟! ثمّ قال لأصحابه : والله , إنّي سمعت بهاتي أذني من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول مراراً كثيرة : ((الحسن والحُسين ريحانتاي في الدُنيا , وهُما منّي وأنا منهُما , أحبّ الله مَن أحبّهما , وأبغض الله مَن أبغضهما , وآذى الله مَن آذاهما , ووصل الله مَن وصلهما , وقطع الله مَن قطعهما , فإنّهما ابناي وسبطاي وقرّتا عيني , وسيّدي شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين)) . فقلت : يا رسول الله , أيّ أهل بيتك أحبّ إليك ؟ فقال : ((الحسن والحُسين أحبّ النّاس إليّ)) . وكان يقول (صلى الله عليه وآله) : ((يا فاطمة , ادعى لي ابني)) . فيأتيان إليه فيضمّهما إليه , ويشمّهما ويقبّلهما ويقول : ((أحبّ الله مَن أحبّ الحسن والحُسين ومَن أحبّ ذرّيّتهما , فمَن أحبّهم لم تمس جسده نار جهنّم ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج , إلّا أن يكون له ذنب يخرجه عن الإيمان)).

وعن الأوزاعي , عن عبد الله بن شداد , عن أُمّ الفضل بنت الحرث , أنّها دخلت على رسول الله فقالت : يا رسول الله , رأيت البارحة حلماً مُنكراً شديداً . قال : ((وما هو يا أُمّ الفضل ؟)) . قالت : رأيت كأنّ قطعة من جسدك قُطعت ووضعت في حجري . فقال رسول الله : ((يا أُمّ الفضل , ستلد ابنتي فاطمة غُلاماً , فتكون تربيته في حجرك)) . قالت : فولدت فاطمة الحُسين وكان كما قال رسول الله , فربّيته في حجري ، فدخلت به يوماً على النّبي فوضعته في حجره ، ثمّ حانت منّي إلتفاتة , فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدّموع , فقلت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، ما لك تبكي ؟! فقال : ((أتاني جبرائيل أخي , وأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا , وأتاني بقبضة من تربة حمراء فأرانيها)).

ومن طرقهم : أنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) مرّ بكربلاء , فرأى عدّة من الظّباء هناك مجتمعة , فأقبلت إليه وهي تبكي , وأنّه جلس وجلس الحواريّون , فبكى وأبكى الحواريّين وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى , فقالوا : ياروح الله وكلمته , ما يبكيك ؟ قال : أتعلمون أيّ أرض هذه ؟ قالوا : لا . قال : هذه أرض يُقتل فيها فرخ لرسول أحمد , وفرخ الخيّرة الطّاهرة البتول شبيهة أُمّي , ويُلحد فيها , وهي أطيب من المسك ؛ لأنّها طيبة الفرخ المستشهد , وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء (عليهم السلام) , وهذه الظّباء

تكلّمني وتقول : إنّها ترعى في هذه الأرض ؛ شوقاً إلى تربة الفرخ المُبارك . وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض . ثمّ ضرب بيده إلى ثغر تلك الظّباء فشمّها , وقال : اللّهمّ , ابقها حتّى يشمّها أبوه فتكون له عزاء . فبقيت إلى أيّام أمير المؤمنين (عليه السلام) , فشمّها وبكى وأخبر بقصّتها.

وعن سلمان الفارسي , أنّه قال : كان سيّدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) يحدّثنا كثيراً بالأشياء والمغيّبات , التي تحدث على مرور السّنين والأوقات , وأنّه يوم الجُمُعة يخطب على منبره في جامع الكوفة , فقال في خطبته : ((أيّها النّاس , سلوني قبل أن تفقدوني , فو الله , لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة وتهدي مئة , إلّا أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة)) قال : فقام إليه رجل فاجر فاسق , وقال له : يا عليّ , أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟ فقال له (عليه السلام) : ((والله , لقد أخبرني بسؤالك هذا ابن عمّي رسول الله , ونبّأني بما سألت عنه , وإنّ على كلّ طاقة من شعر رأسك ولحيتك شيطاناً يغويك ويستفزّك , وإنّ على كلّ شعرة من بدنك شيطاناً يلعنك ويلعن ولدك ونسلك , وإنّ لك ولداً رجساً ملعوناً , يقتل ولدي الحُسين بن بنت رسول الله , وأنت وولدك بريئان من الإيمان , ولولا أنّ الذي سألتني عنه يعسر برهانه لأخبرتك به , ولكن حسبك فيما نبأتك به من لعنتك ورجسك , وولدك الملعون الذي يقتل ولدي ومهجة قلبي الحُسين)) . قال : وكان له ولد صغير في ذلك الوقت , فلمّا نشأ وكبر وكان من أمر الحُسين ما كان , نمى الصّبي وتجبّر وتولّى قتل الحُسين (عليه السلام) . وقيل : إنّ ذلك الصّبي كان اسمه خولّى بن يزيد الأصبحي , وهو الذي طعن الحُسين برمحه , فخرج السّنان من ظهره , فسقط الحُسين على وجهه يخور في دمه ويشكو إلى ربّه : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمِينَ ﴾[1] . فيا ويلهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) , كأنّهم ما سمعوا ما ورد في حقّهم , أم سمعوا وهم غافلون ! : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2].

فعلى الأطائب من آل بيت مُحمّد فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

أرى الصـــــبر يفـــــنى والهمـــــوم تزيـــــد وجســـــمي يبلـــــى والســـــقام جديـــــد

---

(1) سورة هود / 18.

(2) سورة الشّعراء / 227.

إذا مـــا تعمـــدت الســـلو في خـــاطري ... أباه فـــــؤادي للهمـــــوم عنيـــــد

وذكـــــرني بالحـــــزن والنـــــوح والبكـــــا ... غريـــــب بأكنـــاف الطفـــوف فريـــد

يـــــودع أهليـــــه وداع مفـــــارق ... لهـــم أبـــد الأيام لـــيس يعـــود

كـــأني بمـــولاي الحُســـين وصـــحبه ... كـــأنهم تحـــت الـــوطيس أســـود

عطاشـــى علـــى شـــاطئ الفـــرات فمـــالهم ... ســـبيل إلى قـــرب الميـــاه ورود

فيـــاليتني يـــوم الطفـــوف شـــهدتهم ... وكنـــت كمـــا جـــادوا هنـــاك أجـــود

لقـــد صـــبروا لا ضـــيع الله صـــبرهم ... إلى أن قتلـــوا مـــن حولـــه وأبيـــدوا

وقـد خـرّ مـولاي الحُسـين مـولاي الحُسـين مجـدلاً ... قتـــيلاً عفـــيراً في الـــتراب وحيـــد

وأقبـــل شمـــر الـــرجس واحتـــز رأســـه ... بقلـــب مشـــؤوم فارقتـــه ســـعود

وســـاقوا الســـبايا مـــن بنـــات محمـــد ... يســـوقهم قاســـي الفـــؤاد عتيـــد

وفاطمـــة الصـــغرى تقـــول لاختهـــا ... وقـــد كضـــها جهـــد هنـــاك جهيـــد

يا أخـت قـد ذابـت مـن السـير مهجـتي ... ســـلي ســـائق الأضـــعان أيـــن يزيـــد

تنـــادي وقـــد أبـــدت مـــن الثكـــل صـــبرها ... بصـــوت تكـــاد الأرض منـــه تميـــد

بكـــى رحمـــة لي حاســـدي ومعانـــدي ... فيـــا ســـوء حـــال إذ بكـــاه حســـود

فـــني جلـــدي يابـــن الوصـــي ولـــيس ... فـــؤادي علـــى مـــا لقيـــت جليـــد

فيـــا غائبـــاً لا يرتجـــى منـــه أوبـــة ... مـــزارك مـــن قـــرب الـــديار بعيـــد

ظننـــت بأن تبقـــى فأيســـني الرجـــا ... ويأســـي المرجـــى يابـــن أمـــي شـــديد

تبيـــد الليـــالي والـــدهور ومهجـــتي ... وحـــزني علـــى مـــولاي لـــيس يبيـــد

ســـيعلم أعـــداء الحُســـين ورهطـــه ... إذا مـــا هـــم يـــوم المعـــاد أعيـــدوا

واقبلـــت الزّهـــراء فـــاطم حولهـــا ... مـــن أمـــلاك رب العـــالمين جنـــود

تنـــادي إلهـــي خـــذ بحـــق ظـــالمي ... فإنـــك عـــدل للخصـــوم عنيـــد

فهـــذا يزيـــد قاتـــل إبـــني ورهطـــه ... علـــى ظمـــأ حـــتّى فنـــوا وأبيـــدوا

وســـاقوا بنـــاتي حاســـرات أذلـــة ... كمـــا ســـيل مـــن نســـل العبيـــد عنيـــد

فتبكـــي لهـــا الأمـــلاك جمعـــاً وعنـــدها ... ينـــادي منـــادي الحـــق أيـــن يزيـــد

فيـــؤتى بـــه ســـحباً ويـــؤتى برهطـــه ... وجـــوههم بـــين الخلائـــق ســـود

فيـــأمر مـــولاي الجليـــل بقـــتلهم ... إذ قتلـــوا مـــن بعـــد ذاك أعيـــدوا

وتقـــــــتلهم أولاد فـــــــاطم كلهـــــــم وشـــــــيعتهم والعـــــــالمون شـــــــهود
ويحشـــــــرهم ربي إلى ناره الـــــــتي يكـــــــون بهـــــا للظـــــالمين خلـــــود
إذا نضـــــجت فيهـــــا هنـــــاك جلـــــودهم أعيـــــد لهـــــم مـــــن بعـــــد ذلـــــك جلـــــود
فمـــــا فعلـــــت عـــــاد كقـــــبح فعـــــالهم ولا استحســـــنت مـــــا استحســـــنته ثمـــــود
شـــــهدت بمـــــن حـــــج الملبـــــون بيتـــــه وربي علـــــى مـــــا قـــــد شـــــهدت شـــــهيد
بأن رســـــول الله أكـــــرم مـــــن مشـــــى ومـــــن حملتـــــه في المهامـــــة قـــــود
وعترتـــــه أزكـــــى وأطهـــــر عـــــترة ومـــــن جـــــاد حـــــتّى لا يكـــــون يجـــــود
ولـــــولاهم لم يخلـــــق الله خلقـــــه ولم يـــــك وعـــــد فـــــيهم ووعيـــــد
ومـــــا خلقـــــوا إلّا ليمـــــتحن الـــــورى فيشـــــقى شـــــقي فـــــيهم وســـــعيد
علـــــيهم ســـــلام الله مـــــا در شـــــارق ومـــــا اخضـــــر يومـــــاً في الأرائـــــك عـــــود
وإني ابـــــن حمـــــاد بمـــــدح أئمـــــتي أعـــــيش وعيشـــــي في الزمـــــان حميـــــد
أحـــــبر في آل النّـــــبي مـــــدائحي وأحســـــن مـــــا حبرتـــــه وأجيـــــد

الباب الثّالث

يا إخواني , تفكّروا في أنوار الله في أرضه وسمائه , وأصفياء الله وحججه وخلفائه , كيف تُقطّع منهم الأوصال , ويُجدّلون على الرّمال , ويتجرّعون الحتوف بأراضي الطّفوف ؟ ولعمري , هذا دأب الصّالحين وأولياء الله المُقرّبين ، فإنّ الله يذود أولياءه عن لذّات الدُنيا , كما يذود لراعي الشّفيق إبله عن مراتع الهلكة . وتأكيد ذلك ما روي : أنّ موسى (عليه السلام) لـمّا توجّه إلى مناجاة ربّه , اعترضه رجل من عباده الصّالحين , فقال له : يا موسى , أبلغ ربّك أنّي أحبّه وأنا مُطيع له . فلمّا فرغ موسى من المناجاة , نودي : ((يا موسى , ألا تبلغني رسالة عبدي ؟)) . فقال : يا إلهي , أنت العالم بما قال عبدك . فقال ذو الجلال : ((يا موسى , أنا أيضاً أحبّه)) . فازداد ذلك الرّجل في يقين موسى إنّه عبد صالح , فلمّا رجع موسى من مُناجاة ربّه , جعل يتفقّد ذلك الرّجل في مكانه , فإذا هو بالأسد قد افترسه , فتعجّب موسى (عليه السلام) وحزن عليه , وقال : يا إلهي , رجل صالح تحبّه ويحبّك , تسلّط عليه كلباً من كلابك يفترسه ؟! فأتاه النّداء : ((نعم يا موسى , وهكذا أفعل بأحبابي وأوليائي , ابتليهم في دار الهوان , وأسكنهم عندي في غرفات الجنان)).

وروي أيضاً : أنّ رجُلاً جاء إلى رسول الله , فوقف بين

يديه , فقال : يا رسول الله , إنّي أحبّ الله عزّ وجلّ ، فقال : ((استعد للبلاء)) . فقال : يا رسول الله , وإنّي أحبّك . فقال له : ((استعد للفقر)) . فقال : وإنّي أحبّ عليّ بن أبي طالب . فقال : ((استعد لكثرة الأعداء)).

ولـمّا كان الإمام الحُسين حبيب الملك الدّيان , وولي الواحد المنّان , وحجّة الله على العباد , لا جرم ابتلاه الله بأهل العناد والفساد ، وهل اصابته تلك السّهام والمحن العظام ، إلاّ من القوس الذي وتر على أبيه وأُمّه وأخيه ؟ ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2] . فتعساً لِمَن أردى تلك العصابة الكرام ! وسحقاً لِمَن نكّس أعلام أولئك الأعلام ! أما خافوا من أهوال يوم القيامة ؟! أما راقبوا جدّهم صاحب الغمامة ؟! أما راجعوا عقولهم فعلموا في المحشر كيف يكون ؟! وبماذا يتعللون إذا بكت الزّهراء على ما حلّ بولدها الذي هو قطعة من كبدها ؟ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقّ وَضَلّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[3].

روي : أنّ النّبي خرج من المدينة غازياً وأخذ معه عليّاً , وبقي الحسن والحُسين (عليهما السلام) عند أُمّهما لأنّهما صغيران , فخرج الحُسين (عليه السلام) ذات يوم من دار أُمّه يمشي في شوارع المدينة , وكان عمره يومئذ ثلاث سنين , فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة , فجعل يسير في جوانبها ويتفرّج في مضاربها , فمرّ عليه يهودي يُقال له صالح بن رقعة اليهودي , فأخذه إلى بيته , وأخفاه عن أُمّه حتّى بلغ النّهار إلى وقت العصر , والحُسين لم يتبيّن له أثر , فقاد قلب فاطمة بالهمّ والحزن على ولدها الحُسين (عليه السلام) , فصارت تخرج من دارها إلى باب مسجد النّبي (صلى الله عليه وآله) سبعين مرّة , فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحُسين (عليه السلام) , ثمّ أقبلت إلى ولدها الحسن (عليه السلام) , وقالت له : ((يا مُهجة قلبي وقُرّة عيني , قُم فاطلب أخاك الحُسين , فإنّ قلبي يحترق من فراقه)) . فقام الحسن وخرج من المدينة , وأتى إلى دور حولها نخل كثير , وجعل يُنادي : ((يا حُسين بن عليّ ! يا قرّة عين النّبي ! أين أنت يا أخي ؟)) . قال : فبينما الحسن يُنادي , إذ بدا له غزالة في تلك السّاعة , فألهم الله الحسن أن يسأل الغزالة , فقال : ((يا ظبية , هل رأيت أخي حُسيناً ؟)) . فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله ، وقالت : يا حسن , يا نور عين المُصطفى وسرور قلب المُرتضى , ويا مُهجة فؤاد الزّهراء , اعلم أنّ أخاك أخذه صالح اليهودي وأخفاه في بيته . فسار الحسن حتّى

---

(1) سورة إبراهيم / 42.

(2) سورة الشّعراء / 227.

(3) سورة يونس / 30.

أتى دار اليهودي , فناداه فخرج صالح , فقال له الحسن : ((إليّ الحُسين من دارك وسلّمه إليّ , وإلاّ أقول لأُمّي تدعو عليك في أوقات السّحر , وتسأل ربّها حتّى لا يبقى على وجه الأرض يهودي , ثمّ أقول لأبي يضرب بحسامه لجمعكم حتّى يلحقكم بدار البوار , وأقول لجدّي يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهودياً إلّا وقد فارق روحه)) . فتحيّر صالح اليهودي من كلام الحسن ، وقال له : يا صبي مَن أُمّك ؟ فقال : ((أُمّي الزّهراء بنت مُحمّد المُصطفى , قلادة الصّفوة ودرّة صدف العصمة , وعزّة جمال العالم والحكمة , وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر , ولمعة من أنوار المحامد والمآثر ، خمرة طينة وجودها من تفّاحة من تفّاح الجنّة , وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأُمّة ، وهي أُمّ السّادة النُجباء وسيّدة النّساء , البتول العذراء فاطمة الزّهراء (عليها السلام))) . فقال اليهودي : أمّا أُمّك فعرفتها ، فمَن أبوك ؟ فقال الحسن (عليه السلام) : ((إنّ أبي أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب , الضّارب بالسّيفين , والطّاعن بالرّمحين , والمُصلّي مع النّبي في القبلتين , والمفدي نفسه لسيّد الثّقلين , أبو الحسن والحُسين)) . فقال صالح : يا صبي , قد عرفت أباك , فمَن جدّك ؟ فقال : ((جدّي [درّة] من صف [صدف][1] الجليل ، وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل ، الكوكب الدّرّي , والنّور المضيء من مصباح التّبجيل المعلقة في عرش الجليل , سيّد الكونين ورسول الثّقلين , ونظام الدّارين وفخر العالمين , ومُقتدى الحرمين , وإمام المشرقين والمغربين , وجدّ السّبطين أنا الحسن وأخي الحُسين)).

قال : فلمّا فرغ الحسن من تعداد مناقبه , انجلى صداه الكفر عن قلب صالح , وهملت عيناه بالدّموع , وجعل ينظر كالمتحيّر , متعجّباً من حسن منطقه وصغر سنّه وجودة فهمه , ثمّ قال : يا ثمرة فؤاد المُصطفى , ويا نور عين المُرتضى , ويا سرور صدر الزّهراء , يا حسن , أخبرني من قبل أن أسلّم إليك أخاك عن أحكام دين الإسلام , حتّى أذعن لك وأنقاد إلى الإسلام . ثمّ إنّ الحسن عرض عليه أحكام الإسلام , وعرّفه الحلال والحرام , فأسلم صالح وأحسن الإسلام على يد الإمام , وسلّمه أخاه الحُسين , ثمّ نثر على رأسيهما طبقاً من الذّهب والفضّة , وتصدّق به على الفُقراء والمساكين ببركة الحسن والحُسين (عليهما السلام) ، ثمّ إنّ الحسن أخذ بيد أخيه الحُسين وأتيا إلى أُمّهما ، فلمّا رأتهما اطمأنّ قلبها وزاد سرورها بولديها.

قال : فلمّا كان اليوم الثّاني , أقبل

---

(1) ما في المعقوفتين هي من إضافات (موقع معهد الإمامَين الحسنَين).

صالح ومعه سبعون رجُلاً من رهطه وأقاربه , وقد دخلوا جميعهم في الإسلام على يد الإمام ابن الإمام أخى الإمام (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام) ، ثمّ تقدّم صالح إلى الباب – باب الزّهراء – رافعاً صوته بالثّناء للسادة الأُمناء , وجعل يمرّغ وجهه وشيبته على عتبة دار فاطمة , وهو يقول : يا بنت مُحمّد المُصطفى , عملت سوءاً بابنك وآذيت ولدك , وأنا على فعلي نادم , فاصفحي عن ذنبي . فأرسلت إليه فاطمة تقول : ((يا صالح , أمّا أنا فقد غفرت عنك من حقّي ونصيبي , وصفحت عمّا سوءتني به , لكنّهما ابناي وابنا عليّ المُرتضى , فاعتذر إليه ممّا آذيت ابنه)) . ثمّ إنّ صالحاً انتظر عليّاً حتّى أتى من سفره , وعرض عليه حاله واعترف عنده بما جرى له , وبكى بين يديه واعتذر مما أساء إليه , فقال له : ((يا صالح , أمّا أنا فقد رضيت عنك وصفحت عن ذنبك , لكن هؤلاء ابناي وريحانتا رسول الله (ﷺ) , فامض إليه واعتذر ممّا أسأت بولده)) . قال : فأتى صالح إلى رسول الله (ﷺ) باكياً حزيناً , وقال : يا سيّد المُرسلين , أنت قد أُرسلت رحمة للعالمين , وإنّي قد أسأت وأخطأت , وإنّي قد سرقت ولدك الحُسين , وأدخلته داري وأخفيته عن أخيه وأُمّه , وقد سوءتهما في ذلك , وأنا الآن قد فارقت الكفر ودخلت في دين الإسلام . فقال له النّبي (ﷺ) : ((أمّا أنا فقد رضيت عنك وصفحت عن جرمك , لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله , وتستغفره ممّا أسأت به قرّة عين الرّسول ومهجة فؤاد البتول , حتّى يعفو الله عنك سبحانه)) . قال : فلم يزل صالح يستغفر ربّه ويتوسّل إليه , ويتضرّع بين يديه في أسحار الليل وأوقات الصّلوات , حتّى نزل جبرائيل إلى النّبي بأحسن التّبجيل , وهو يقول : ((يا مُحمّد , قد صفح الله عن جرم صالح حيث دخل في دين الإسلام على يد الإمام ابن الإمام عليهم أفضل الصّلوات والسّلام)) . :

فقل لحساده موتوا بغيضكم ... فإنه بعطاء الله ممنوح

وحرفوا ما استطعتم من إمامته ... فشأنه بلسان الحق ممدوح

بيوتكم بفنون اللهو مفعمة ... وبيته فيه تقديس وتسبيح

فإنكم جسد ميت بكثرتكم ... وفضله بين أبدان الورى روح

عن أبي ذر الغفاري , قال : كان سيدي عليّ بن أبي طالب يحدّثنا في بعض الأوقات بالمغيّبات , فبينما نحن جلوس معه في جامع الكوفة , إذ دخل إليه رجل

وسلّم عليه , وقال له : يا أمير المؤمنين , إنّي مررت بوادي القُرى , فرأيت خالد بن عرفطة مقتولاً مطروحاً في البر . فقال له عليّ (عليه السلام) : ((كذبت , أنّ خالداً لم يمت حتّى يقود جيش الضّلال ابن زياد , ويكون حامل لوائه حبيب بن جماز لعنه الله تعالى)) . فقام حبيب بن جماز من بينهم , وقال : يا أمير المؤمنين , أراك تقول هكذا وإنّي لك شيعة , وأنا موال لك , وإنّي لك محبّ ؟! فقال له : ((مَن أنت ؟)) . فقال : أنا حبيب بن جماز . فقال له : ((إيّاك إيّاك أن تحملها يا شقي ! ولكن لا بدّ أن تحملها وتدخل بها من هذا الباب)) . وأومى بيده إلى باب الفيل بمسجد الكوفة , ((وتُقاتل ولدي الحُسين بعد وفاتي)) . فلمّا كان من أمر الحُسين ما كان وحان من حينه ما حان , بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى حرب الحُسين (عليه السلام) , وجعل خالد بن عرفطة على مقّدمته بأربعة آلاف فارس , وحبيب بن جماز حامل رايته , فسار بها حتّى دخل مسجد الكوفة من باب الفيل كما أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن أخباره بالمغيّبات : أنّه (عليه السلام) التفت إلى البرّاء بن عازب ، وقال له : ((يابن عازب , يُقتل ولدي الحُسين وأنت حيّ حاضر ولم تنصره , وتزعم أنّك مُحبّ لنا)) . فلمّا قُتل الحُسين , كان البرّاء بن عازب يُظهر الحسرة والنّدم , ويقول : حدّثني سيّدي عليّ بن أبي طالب أنّه يُقتل ولده الحُسين ولم أنصره . وظلّ يُكثر الحسرة والنّدم مدّة عمره.

فانظروا يا إخواني إلى ما خصّ الله به هذا الشّخص الرّباني من الفضائل العظيمة والعطايا الجسيمة . فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الدرمكي (رحمه الله تعالى)

نحـــول جســـمي لا ينفـــك عـــني ... وقـــد صـــار البكـــا شـــغلي وفـــني

وقلـــبي فيـــه نـــيران ووجـــد ... وهمـــي صـــار ممزوجـــاً بحـــزني

يطيـــب لي البكـــا في كـــل وقـــت ... وأســـعف في الـــرزايا مـــن ســـعفني

كفـــاني مـــوت خـــير الخلـــق طـــراً ... بأن الـــنفس في الســـلوان أشـــني

أخـــذتم نحلـــتي ظلمـــاً وإرثـــي ... وحلـــتم دون مـــا ربي رزقـــني

وســـب البضـــعة الزّهـــراء لـــمّا ... أتـــت زفـــراً وقالـــت مـــا نصـــفني

أمـــا في هـــل أتـــى وفيـــت نـــذري فيـــا ويـــل لملعـــون عصـــبني
ســـلوا عـــم وطـــة إن شـــككتم ســـلوا ياســـين مـــا ربي رزقـــني
فقـــال الـــرجس مـــا نرضـــى بهـــذا ولا ذا القـــول في ذا اليـــوم يغـــني
فماتـــت وهـــي في حـــرق وكـــرب تواصـــل حـــر زفرتهـــا بغـــين
وقتـــل الطهـــر في المحـــراب لـــمّا أتتـــه كتـــب ملعـــون ولكـــني
بأنا طـــائعون بكـــل أمـــر وأنـــت محكـــم في كـــل فـــن
فعجـــل بالمســـير يظـــن خـــيراً يحســـب البيـــد ســـرعاً لا يـــوني
إلى أن صـــار في نقـــع المنـــايا وحـــادي العـــيس مســـرور يغـــني
فمانعـــه الجـــواد الســـير عنهـــا فقـــال لصـــحبته يا مـــن حضـــرني
فمـــا اســـم الأرض يا قـــوم انبـــؤني ففـــي أكنافهـــا قـــد طـــاش ذهـــني
فقـــالوا ذي منـــازل كـــربلايا فقـــال الكـــرب فيهـــا قـــد شملـــني
ألا حطـــوا الرحـــال فـــلا مســـير ففـــي هـــذه الفـــلاة يكـــون دفـــني
وفيهـــا يقتـــل العبـــاس ظلمـــاً ويقتـــل كـــل صـــديق نصـــرني
وفيهـــا تقتـــل أولادي وصـــحبي وتســـبى نســـوتي بالـــرغم مـــني
وفي هـــذي الفـــلاة نـــزار حقـــاً وقـــد جـــاز الســـعادة مـــن نصـــرني
وأقتـــل ظاميـــاً والمـــاء طـــام ويشـــربه هنيئـــاً مـــن منعـــني
إذا شـــرب المحـــب المـــاء بعـــدي فطـــاب لـــه التـــنغص إذ ذكـــرني
ومـــا لي مهـــرب عـــن أمـــر ربي فقـــد لاحـــت دلائـــل مـــا وعـــدني
فلمـــا كـــان وقـــت الظهـــر بانـــت لهـــم خيـــل لأشـــقى الخلـــق تـــدني
فقـــال أتـــتكم أرجـــاس حـــرب بأعـــلام تخـــالف مـــا وردني
فمـــا للقـــوم قصـــدكم ســـبيلاً وكـــل بالمنـــايا قـــد قصـــدني
فضـــجوا بالبكـــاء حـــزناً عليـــه وقـــالوا بعـــدكم لا عـــيش يهـــني
فـــلا والله لا نرضـــى بـــذل ولا نســـتقبل الأعـــداء يجـــني
ولكـــن نبـــذل الأرواح منـــا ونرضـــى خـــير مســـؤول ومغـــني
ونفحـــم عنـــد نـــيران الأعـــادي ونوصـــل فـــيهم ضـــربا بطعـــن
فيـــا لله كـــم قطعـــوا رؤوســـاً وكـــم قـــد ألحقـــوا قـــرناً بقـــرن

إلى أن جـــــدلوا بالـــــترب جمعـــــاً ... عليـــهم جـــاريات الـــريح تبـــني

وظـــل الطهـــر يفـــترس الأعـــادي ... كليـــث ثار في إبـــل وضـــان

إلى أن خـــر مطعـــوناً طريحـــاً ... دنيفـــاً بإنكســـار الطـــرف يـــرني

ينـــادي بعـــد عـــز وامتنـــاع ... أمـــا أحـــد علـــى أهلـــي يجـــرني

ألـــيس البضـــعة الزّهـــراء أمـــي ... وجـــدي أحمـــد يا مـــن جهلـــني

فقـــال الشـــمر أقصـــر يا حُســـين ... ومـــا تعديـــدك المعـــروف بغـــني

وحـــز الـــرأس كرهـــاً مـــن قفـــاه ... وبـــراه وعـــلاه بلـــدن

وخـــلا الجســـم منعفـــراً طريحـــاً ... غســـيلاً بالـــدما مـــن غـــير دفـــن

تلـــوذ بـــه الأرامـــل واليتـــامى ... حيـــارى يا أباه منيـــع ركـــني

يعـــز عليـــك يا أبتـــاه مـــا لي ... بـــلا وطـــأ وقيـــد قـــد جـــرحني

أبي مـــن لليتيمـــة إن ســـبتها ... علـــوج أميـــة واستصـــرختني

وفاطمـــة الصـــغيرة في بكاهـــا ... تقـــول إليـــك يا أبتـــاه خـــذني

وأســـكن روعـــتي ممـــا جـــرى لي ... لأن مصـــيبة عظمـــى دهتـــني

فلـــو بنـــت النّـــبي تـــرى مكـــاني ... لماتـــت غصـــة لـــمّا رأتـــني

وليـــت المـــوت قـــدمني بأخـــذ ... وإلّا عنـــد مصـــرعكم صـــرعني

أبي أصـــبحت منفـــرداً غريبـــاً ... فـــوا حـــزناه ممـــا قـــد دهمـــني

أبي ســـاروا بنـــا فـــوق المطـــايا ... بأعنـــف حـــادي يحـــدي ببـــدن

فلمـــا أن أتـــين إلى يزيـــد ... فقـــال لســـاقي الصـــهباء زدني

وقـــرب رأس مـــولانا إليـــه ... ليقـــرع منـــه ســـناً بعـــد ســـن

فلعنـــة ذي الجـــلال علـــى يزيـــد ... بعـــد الخلـــق أنســـى وجـــني

وتغشـــي أدلمـــاً وأبا فـــلان ... وقرمـــانا فـــافهم مـــا أكـــني

إلـــيكم يا بـــني طـــه عروســـاً ... تربـــت بـــين أتـــراب وخـــدن

زهـــت إذ ألبســـت حلـــل المعـــاني ... وتوجهـــا مـــديحكم بحســـن

منظمهـــا مـــديح درمكـــي ... بهـــا يرجـــو جـــواركم بعـــدن

فمـــن فضـــل الإلـــه أبي محـــب ... وأمـــي مـــن محبـــتكم ســـقتني

إذا مـــــا نلـــــت مـــــن ربي ولاكـــــم فـــــلا أســـــفي علـــــى شـــــيء منعـــــني

لأنكـــــم أجـــــل الخلـــــق أصـــــلاً وأعلمهـــــم وأفضـــــلهم بلســـــن

وأعبـــــدهم وأهـــــداهم وأتقـــــى وأخـــــوفهم لمـــــن يغـــــني ويفـــــني

صـــــلاة الله دائمـــــة علـــــيكم تضـــــاعف مـــــا شـــــدت ورقـــــا تغـــــني

المجلس التّاسع

في الليلة الخامسة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

يا إخواني في الدّين , هل يحسن إصاخة سمعي إلى لوم اللائمين , أو يميل طبعي إلى عذل العاذلين في ترك أحزاني وشجوني , وبثّ أشجاني وأنيني , وقد فتكت أيدي الكفرة الفجرة المارقين بمولاي الحُسين بن أمير المؤمنين ؟ بل أموت وأحزانه في فؤادي وبها ألاقي الله في معادي , فأطيلوا رحمكم الله النّوح والأحزان على سادات الزّمان وأُمناء الملك الدّيان , وليكن نوحكم على شفعائكم يوم النّشور أكثر من نوح الحمام والطّيور , وكيف لا ينهدّ ركني لمصابهم ولم أتجرّع بعض ما تجرّعوه من غصصهم وأوصابهم ؟ أأطمع أن أشاركهم في الفضل والأنعام ولا أشاركهم في تلك الأهوال العظام ؟ :

أذل لمـــن أهـــوى لأحظـــى بعـــزة وكـــم عـــزة قـــد نالهـــا المـــرء بالـــذل

إذا كـــان مـــن تهـــوى عزيـــزاً ولم تكـــن ذلـــيلاً لـــه فـــأقر السّـــلام علـــى الوصـــل

ولعمري , كم من باك على ربع خراب , وكم من هائم على سكن التّراب , وهو غافل عن تمثّل هذا الرّزء العظيم والمصاب الجسيم ، فلا خير والله في قلوب لا تميل إليهم ودموع لا تسح عليهم ، وما لي لا أبكيهم حتّى تنقطع أوصالي ؟ كيف وهم مرجعي وبهم اتصالي :

آل الرّســـــــول الألي لا زال حـــــــبهم للقلـــب مـــن كـــل داء للمحـــب شـــفا

ومـــــن خـــــذلهم فـــــلا تشـــــفى بشـــــافية قلـــــوبهم ولهـــــم فـــــوق الجحـــــيم شـــــفا

ضـــــاعت حقـــــوقهم حـــــتّى طـــــريقتهم قـــــد ضـــــل عنهـــــا عقـــــول ســـــيرهم عنفـــــا

روي عن الإمام العسكري (ع) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ (الآية) [1] . قال : ((قال لي أبي عن آبائه عن رسول الله (ص) : لـمّا نزلت هذه الآية في ذمّ اليهود الذين نقضوا عهود الله , وحادوا عن أمر الله , وكذّبوا رسول الله , وقتلوا أنبياء الله , فقال النّبي (صلى الله عليه وآله) : يا أصحابي , أفلا أنبئكم بما يضاهيكم من يهود أُمّتي ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله صلّى الله عليك وعلى آلك . فقال : قوم من بني أُميّة يزعمون أنّهم من أُمّتي , ويظنون أنّهم من أهل ملّتي , يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطائب أرومتي وذرّيّة ابنتي , ويبذلون شريعتي ويتركون سنّتي , ويقتلون ولديَّ الحسن والحُسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحيى (عليهما السلام) , ألا وأنّ الله يلعنهم كما لعنهم من قبل , ويبعث الله على بقايا ذراريهم يوم القيامة إماماً هادياً مهديّاً من ولد الحُسين , فيقتلهم عن آخرهم ويأخذ بثأر جدّه الحُسين , ولهم يوم القيامة أشدّ العذاب وبئس المصير ، ألا لعن الله قتلة الحُسين ومحبّيهم وناصريهم والشّاكّين في لعنهم من غير تقية , ألا وصلّى الله على الباكين على الحُسين والمقيمين عزاءه , ألا وصلّى الله على مَن بكى على الحُسين رحمة وشفقة ورقّة له ، ألا وصلّى الله على اللاعنين لأعدائهم والممتلين عليهم غيضاً وحنقاً ، ألا وإنّ الرّاضين بقتل الحُسين هُم شُركاء قتلته ، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمتقدّمين والمتأخّرين براءة من دين الله , وعليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، ألا وأنّ الله يأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقّوا دموع الباكين على مصاب الحُسين (عليه السلام) , فيجمعون دموعهم وينقلونها إلى خزنة الجنان , فيمزجونها بماء الحيوان فيزيد في عذبها وطيبها وطعمها ألف ضعفها , وإنّ الملائكة المقرّبين ليتلقّون دموع الفرحين الضّاحكين لقتل الحُسين ومصاب الحُسين , فيلقونها في الهاوية , فيمزجونها بحميم جهنّم وصديدها وغساقها وغسيلها , فتزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها , يشدّد الله على المنقولين إليها من أعداء آل

---

(1) سورة البقرة / 84 - 85.

محمد في عذابهم يوم القيامة)) . قال : ((فقام ثوبان مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فقال : بأبي وأُمّي يا رسول الله ! أخبرني متى قيام الساعة ؟ فقال رسول الله : ماذا أعددت لها ؟ فقال ثوبان : ما أعددت لها كثير عمل إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله . فقال رسول الله : وإلى ماذا بلغ حبّك لرسول الله وأهل بيته ؟ قال : والذي بعثك بالحقّ نبيّاً , إنّ في قلبي محبّتكم ما لو أنّي قُطّعت بالسّيوف ونُشّرت بالمناشير , وقُرّضت بالمقارض وأُحرقت بالنّيران , وطُحنت برحى الحجارة , كان أحبّ إليّ وأسهل عليّ من أن أجد لك في قلبي منك غشّاً أو دغلاً أو بُغضاً , ولا لأحد من أهل بيتك ومن عترتك , فهم أحبّ الخلق إليّ من بعدك , وإنّ أبغض النّاس إليّ مَن لا يحبّك ولا يحبّ أهل بيتك وعرتك . يا رسول الله , فهذا ما عندي من حبّك وحبّ مَن يحبّك , وبغض من يبغضك أو يبغض أحداً من أهل بيتك , فإن قُبل منّي , فقد سعدت , وإن ترد منّي عملاً غيره , فما أعلم أنّ لي عملاً غير هذا أعتمد عليه وأعتدّ به يوم القيامة مع مَن أحبّ.

فقال (ص) : ... واعلم يا ثوبان , لو أنّ عليك من الذّنوب ملأ ما بين الثّرى إلى عنان السّماء , لانحسرت وزالت عنك بهذه الموالاة , أسرع من انحسار الظّل عن الصّخرة الملساء المستوية إذا طلعت عليها الشّمس , ومن انحسار الشّمس إذا غابت عنها , ولعمري , لا عمل فيها أفضل من موالات الآل ؛ لدفع تلك الأهوال والأمور العضال)) . :

يا آل طـــــة أنـــــتم القصـــــد والمـــــنى ... وفي يـــدكم يـــوم اللقـــا النفـــع والضـــر
رجـــوتكم ذخـــري وفخـــري وعـــدتي ... ومـــا خـــاب مـــن أنـــتم لـــه الفخـــر والـــذخر
إذا كـــل مـــن عـــاداكموا بجهـــنم ... وشـــيعتكم والمؤمنـــون بكـــم ســـروا
وادخلتمـــوهم للجنـــان فهـــم بهـــا ... وجـــوههم بـــيض ملابســـهم خضـــر
علـــيكم ســـلام الله مـــا ناح صـــادح ... علـــى عـــذبات الـــدوح وابتســـم الزهـــر

روي : أنّ الرّشيد لمّا أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) , أعرض قتله على سائر جنده وفرسانه , فلم يقتله أحد منهم ، فأرسل إلى عُمّاله في بلاد الأفرنج يقول لهم : التمسوا إليّ قوماً لا يعرفون الله ولا يعرفون رسول الله , فإنّي أريد أن أستعين بهم على مُهمّ . قال : فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من شرائط الإسلام كلمة واحدة , ولا يعرفون من اللغة العربية كلمة واحدة أبداً ، وكانوا خمسين رجلاً , فلمّا

دخلوا إليه , أكرمهم وأعزّهم وأنزلهم في دار الكرامة , وحمل لهم الهدايا والتُحف والخُلع السّنيّة , ثمّ استدعاهم وسألهم : مَن ربّكم , ومَن نبيّكم ؟ فقالوا : لا نعرف لنا ربّاً ولا نبيّاً أبداً . فقال لهم : هذا مرادي وهذا قصدي . فقال لوزيره : قُل لهم , إنّ الملك له عدو في هذا البيت جالس – يعني موسى بن جعفر (عليه السلام) – , فادخلوا إليه واقتلوه ولكم الجائزة العُظمى . فقالوا : سمعاً وطاعة , وهذا أمر هيّن علينا , فإن أردتم قطعناه قطعاً وأكلنا لحمه . قال : فقاموا جميعاً بأسلحتهم كأنّهم السّباع الضّارية ودخلوا على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) , والرّشيد ينظر إليهم من طاقة حجرته ويبصر ما يفعلون , قال : فلمّا رأوه , رموا أسلحتهم وارتعدت فرائضهم وخرّوا سجّداً يبكون رحمة له ، قال : فجعل الإمام (عليه السلام) يمرّ يده الشّريفة على رؤوسهم وهم يبكون , ومع ذلك يخاطبهم بلحنهم ولغتهم ، قال : فلمّا رأى الرّشيد ذلك منهم , خشي من الفضيحة وصاح بالوزير : اخرجهم عنه . فخرجوا وهُم يمشون القهقرى إجلالاً للإمام (عليه السلام) , ثمّ إنّهم ركبوا خيولهم وأخذوا الهدايا والتُحف التي وصلتهم منه , ومضوا لشأنهم من غير إذن الرّشيد.

فانظروا يا إخواني إلى هذه العداوة العظيمة والشّقاوة المعضلة الجسيمة : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] :

قـــوم عـــلا بنيـــانهم مـــن هاشـــم ... فـــرع أشـــم وســـؤدد مـــا ينقـــل

قـــوم بهـــم نصـــر الإلـــه رســـوله ... وعلـــيهم نـــزل الكتـــاب المنـــزل

وبهـــديهم رضـــي الإلـــه لخلقـــه ... وبجـــدهم نصـــر النّـــبي المرســـل

روي : أنّ رجُلاً من الخوارج قال لـمُحمّد بن الحنفية : لِمَ غرر بك أبوك في الحروب ولم يغرر الحسن والحُسين ؟ فقال له : ويا ويلك ! أما علمت أنّهما عيناه وأنا يمينه , فهو يدفع بيمينه عن عينيه.

وعن ابن عباس , قال : لـمّا كنّا في حرب صفّين , إذ دعا عليّ ابنه مُحمّد بن الحنفية , وقال له : ((يا بني , شد على عسكر معاوية)) . ففعل ما أمره أبوه وحمل على ميمنة عسكر معاوية فكشفهم , ثمّ رجع إلى أبيه وقد جُرح , فقال له : يا أبي العطش العطش ! فسقاه جرعة من الماء , ثمّ صبّ الباقي بين درعه وجلده , فو الله لقد رايت علق الدّم يخرج من الدّرع , ثمّ أمهله ساعة , ثمّ قال له : ((يا بُني , شد على الميسرة)) . فحمل على ميسرة عسكر معاوية فكشفهم , ثمّ رجع وبه جراحات وهو يقول : الماء الماء يا أبتاه ! فسقاه جرعة من الماء وصبّ باقي الماء

---

(1) سورة الصّف / 8.

بين درعه وجلده ، ثمّ قال له : ((يا بُني , شد على القلب)) . فحمل عليهم فكشفهم وقتل منهم فُرساناً , ثمّ رجع إلى أبيه وهو يبكي وقد أثقلته الجروح , فقام إليه أبوه وقبّل ما بين عينيه , وقال له : ((فداك أبوك ! فقد سررتني والله يا بني بجهادك هذا بين يدي , فما يبكيك , أفرح أم جزع ؟)) . فقال : يا أبتي كيف لا أبكي وقد عرّضتني للموت ثلاث مرّات فسلّمني الله , وها أنا مجرح كما ترى ؟ وكلّما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب ساعة , فما تمهلني وهذان أخواي الحسن والحُسين ما تأمرهما بشيء من الحرب . فقام إليه أمير المؤمنين وقبّل وجهه , وقال له : ((يا بُني , أنت ابني وهذان ابنا رسول الله , أفلا أصونهما من القتل ؟)) . فقال : بلى يا أبتاه , جعلني الله فداك وفداهما من كلّ سوء ! :

فليـــت شـــعري هـــل تـــوازي مصـــيبة مصـــــيبتكم يا آل بيـــــت محمـــــد

رزيـــــتم رزايا لا يطيـــــق بحملهـــــا سمـــــاء ولا أرض ولا كـــــل جامـــــد

روي : أنّ الحسن الزّكي لمّا دنت وفاته ونفذت أيّامه وجرى السّم في بدنه وأعضائه , وتغيّر لون وجهه ومال بدنه إلى الزّرقة والخضرة ، قال له أخوه الحُسين (عليه السلام) : ((ما لي أرى لون وجهك مائلاً إلى الخضرة ؟)) . فبكى الحسن (عليه السلام) , وقال له : ((يا أخي , لقد صحّ حديث جدّي فيّ وفيك)) . ثمّ مدّ يده إلى أخيه الحُسين واعتنقه طويلاً وبكيا كثيراً , فقال الحُسين (عليه السلام) : ((يا أخي , ما حدّثك جدّك وماذا سمعت منه ؟)) . فقال : ((أخبرني جدّي رسول الله , أنّه قال : لمّا مررت ليلة المعراج بروضات الجنان ومنازل أهل الإيمان , فرأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة , لكن أحدهما من الزّبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر , فاستحسنتهما وشاقني حسنهما , فقلت : يا أخي جبرائيل , لِمَن هذين القصرين ؟ فقال : أحدهما لولدك الحسن والآخر لولدك الحُسين . فقلت : يا جبرائيل , فلِمَ لا يكونا على لون واحد ؟ فسكت ولم يردّ عليّ جواباً , فقلت : يا أخي , لِمَ لا تتكلّم ؟ فقال : حياء منك يا مُحمّد . فقلت له : تالله عليك إلّا ما أخبرتني ؟ فقال : أمّا خضرة قصر الحسن , فإنّه يُسمّ ويخضر لونه عند موته ، وأمّا حُمرة قصر الحُسين , فإنّه يُقتل ويُذبح ويُخضب وجهه وشيبته وبدنه من دمائه . فعند ذلك بكيا وضجّ النّاس بالبكاء والنّحيب على فقد حبيبيّ الحبيب)).

وحكي عن السّدي , قال : ضافني

رجل في ليلة كنت أحبّ الجليس , فرحّبت به وقرّبته وأكرمته وجلسنا نتسامر , وإذا به ينطلق بالكلام كالسّيل إذا قصد الحضيض , فطرقت له فانتهى في سمره طفّ كربلاء , وكان قريب العهد من قتل الحُسين (عليه السلام) , فتأوّهت الصّعداء وتزفّرت كمداً , فقال : ما بالك ؟ قلت : ذكرت مصاباً يهون عنده كلّ مصاب . قال : أما كُنت حاضراً يوم الطّفّ ؟ قلت : لا ، والحمد لله . قال : أراك تحمد على أيّ شيء ؟ قلت : على الخلاص من دم الحُسين ؛ لأنّ جدّه (صلى الله عليه وآله) قال : ((مَن طولب بدم ولدي الحُسين يوم القيامة , لخفيف الميزان)) . قال : قال هكذا جدّه ؟ قلت : نعم ، وقال (صلى الله عليه وآله) : ((ولدي الحُسين يُقتل ظُلماً وعدواناً , ألا ومَن قتله يدخل في تابوت من نار , ويُعذّب نصف عذاب أهل النّار , وقد غلت يداه ورجلاه , وله رائحة يتعوّذ أهل النّار منها , هو ومَن شايع وبايع أو رضي بذلك :﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾[1] . لا يفتر عنهم ساعة , ويسقون من حميم جهنّم ، فالويل لهم من عذاب جهنم !)) . قال : لا تُصدّق هذا الكلام يا أخي . فقلت : كيف هذا وقد قال (صلى الله عليه وآله) : ((لا كَذِبتُ ولا كُذِّبت)) ؟ قال : ترى قالوا : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((قاتل ولدي الحُسين لا يطول عمره)) ها أنا وحقّك قد تجاوزت التّسعين مع أنّك لا تعرفني . قُلت : لا والله . قال : أنا الأخنس بن زيد . قُلت : وما صنعت يوم الطّفّ ؟ قال : أنا الذي أُمّرت على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطء جسم الحُسين بسنابك الخيل , وهشّمت أضرعه , وجررت نطفاً من تحت عليّ بن الحُسين وهو عليل حتّى كببته على وجهه , وخرمت أذني صفيّة بنت الحُسين لقرطين كانا في إذنيها . قال السّدي : فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً , وخرجت أعالج على إهلاكه , وإذا بالسّراج قد ضعفت فقمت أظهرها , فقال : اجلس , وهو يحكي لي مُتعجّباً من نفسه وسلامته , ومدّ إصبعه ليظهرها فاشتعلت به , ففركها في التّراب فلم تنطفئ , فصاح بي : أدركني يا أخي ! فكببت الشّربة عليها وأنا غير محبّ لذلك , فلمّا شمّت النّار رائحة الماء , إزدادت قوّة , وصاح بي : ما هذه النّار وما يطفئها ؟ قلت : إلق نفسك في النّهر . فرمى بنفسه , فكُلّما ركس جسمه في الماء , اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الرّيح البارح ، هذا وأنا أنظره فو الله الذي لا إله إلّا هو , لم تطف حتّى صار فحماً وسار على وجه الماء , ألا لعنة الله على الظالمين

---

(1) سورة النّساء / 56.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الفاضل مُحمّد بن نقيح (رحمه الله تعالى)

عجباً لقلب فيكم لا يفجع ... ولأنفس في رزئكم لا تجزع

لله در مراركم بمصابكم ... لم تنصدع ونواظر لا تدمع

ما هل عاشورا إلّا وهاج لي ... حزن فصرت كبومة استبشع

لم أنس مولاي الحُسين بمكة ... عن بيعة الباغي غداً يتمنع

تباً لقوم خالفوه وخالفوا ... أمر الرسول وللوصية ضيعوا

كتبوا إليه من العراق وأجمعوا ... أن ينصروه فمذ أتى لم يزمعوا

وتقاعدوا عن نصره وتعاقدوا ... في خذله وعلى الأذية أجمعوا

فأراد لمّا أن تبين غدرهم ... جزماً إلى حرم المدينة يرجع

بعثوا إليه الحر عند قدومه ... فبقى يساير تارة ويجعجع

ساروا فوافوا في العشية كربلا ... أرض الطفوف من البراري سلقع

قال انزلوا فهنا مناخ ركابنا ... وهنا محط رحالنا والمصرع

وأتى ابن سعد مقبلاً في عصبة ... نحو الأطائب والعساكر تتبع

وتأهبوا للحرب بعد تظاهر ... والعلج في إضرامها يتشجع

فاستمهل السبط الطغاة لعله ... يدعو إلى الله العلي ويضرع

فأقام ليلته ينا جي ربه ... طوراً ويسجد في الظلام ويركع

ويقول إن القوم لا بغيا لهم ... غيري وإني عارف من يرجع

فأقام بين يديه كل موفق ... وغدا يقهقر كل من يتطمع

وأتى الحُسين يناشد القوم الذي ... لم يبق فيهم من ينيب ويخشع

وغدا ابن سعد راشقاً بسهامه ... قوم الإمام وفي الأذية يسرع

وأتت سهام القوم بعد كأنها ... مطر تدفعه الرياح الزعزع

ذادوه عن ماء الفرات بجحفل ... فيه الصوارم والسلاح يقعقع

فتيقن السبط اللقاء لربه ... فأتى الخيام بدرعه يتلفع

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

يوصـــي ســـكينة بالســـكينة بعـــده ... بالصـــبر عنـــد مصـــابه ويـــودع
وبقـــى رجـــال الســـبط يقتـــل واحـــد ... مـــنهم وآخـــر بعـــده يتوقـــع
حـــتى بقـــى فـــرداً وحيـــداً ظاميـــاً ... لا مـــانع عنـــه ولا مـــن يـــدفع
حملـــوا عليـــه بالطعـــان فصـــدهم ... بالســـيف وهـــو اللـــوذعي الأشـــجع
مـــذ اثخنـــوه بالجـــراح وأضـــعفوا ... منـــه الجـــوارح وهـــو لا يـــتروع
وشـــكى النســـاء إلى الحُســـين مـــن الظمـــا ... وأتينـــه بالطفـــل مضـــى يرضـــع
فمضـــى بـــه نحـــو الطغـــاة كأنـــه ... بـــدر بـــدا مـــن برجـــه يتطلـــع
ودعـــا لـــه مـــاء يبـــل غليلـــه ... ويقـــول هـــل قلـــب يـــرق ويخشـــع
وأتاه ســـهم مـــارق مـــن مـــارق ... بغـــروره وبكفـــره يتمتـــع
قطـــع الوريـــد مـــن الوليـــد وأقبلـــت ... منـــه الـــدماء واحمـــر منـــه البرقـــع
أخـــذ الـــدماء بكفـــه فرمـــى بـــه ... نحـــو السّـــماء والعـــين منـــه تـــدمع
ومضـــى يجـــدل كـــل صـــل صـــائل ... ويقـــد هامـــاً مـــنهم ويـــدرع
حـــتى دنى أجـــل الكتـــات ولم يكـــن ... مـــن بغـــدما حـــتم المقـــدر ينفـــع
أردوه عـــن ظهـــر الجـــواد كأنـــه ... جبـــل لخشـــية ربـــه متصـــدع
لهفـــي لـــه يبغـــي هنالـــك شـــربة ... فيجـــاب بالشـــتم الشـــنيع ويمنـــع
لهفـــي لمصـــرعه الشـــريف علـــى الثـــرى ... بـــين اللئـــام وعـــز ذاك المصـــرع
لهفـــي لجثتـــه الشـــريفة في الثـــرى ... مطروحـــة يســـفى عليهـــا الزوبـــع
لهفـــي لـــه إذ يســـتغيث فلـــم يغـــث ... أفلـــم يكـــن عنـــد النـــداء مـــن يســـمع
ذبحـــوه ظمـــآناً وكـــوثر جـــدّه ... بالمـــاء في يـــوم القيامـــة مـــترع
حملـــوا الكـــريم علـــى القنـــاة مضـــمخاً ... والنـــور مـــن أعضـــائه يتشعشـــع
قطـــع اللعـــين ســـنان منـــه وريـــده ... هـــل كـــان يـــدري أي عضـــو يقطـــع
تبـــت يـــداه لقـــد أســـاء بفعلـــه ... ولـــه جهـــنم في القيامـــة تســـفع
وأتـــى الجـــواد إلى الخيـــام منهمـــا ... بصـــهيله والســـرج منـــه بلقـــع
وأتـــت ســـكينة وهـــي تنـــدب حاســـراً ... بأبي الشـــجاع الاريحـــي الأروع
وا ســـيداه عـــدمت بعـــدك صـــحتي ... فـــإلى الإلـــه المشـــتكى والمفـــزع
فالـــدين أضـــحى بعـــد فقـــدك ثاكـــلا ... والـــدهر أمســـى وهـــو بعـــدك أجـــدع

أيـــن الحمـــاة وأيـــن جـــدّي الـــمُصطفى ... بـــل أيـــن حيـــدرة البطـــين الأنـــزع
اليـــوم مـــات مُحمّـــد واستوســـرت ... أولاده مـــن بعـــده وتضعضـــعوا
كـــم حرمـــة ظهـــرت محاســـن وجههـــا ... وكريمـــة قـــد مـــال عنهـــا البرقـــع
فالطيبـــات الطـــاهرات حواســـر ... وتمـــاط عـــنهن الثيـــاب وتنـــزع
والســـيد الســـجاد في أيـــدي العـــدا ... مضـــني علـــى حمـــل الشـــدائد يرفـــع
هـــذا ومـــا ســـكنت بـــه اضـــغانهم ... وبمـــا جـــرى في حقـــه لم يقنـــع
ســـلبوه مـــن أثوابـــه ودروعـــه ... ولنـــزع خاتمـــه تبـــين الإصـــبع
رضـــوا جنـــاجن صـــدره بخيـــولهم ... بغيـــاً وعـــن أحقـــادهم لا يقلـــع
ويزيـــد ينكـــث ثغـــره بقضـــيبه ... متمـــثلاً بالشـــعر لا يتنعنـــع
فليـــأتين غـــداً بقـــبح صـــنيعه ... مـــن الندامـــة في القيامـــة يقـــرع
تالله لا عـــاد ولا فرعونهـــا ... كـــلا ولا فعلـــت ثمـــود وتبـــع
كفعـــال هـــذا الـــنكس ابـــن أميّـــة ... ومقامـــه في يـــه يتســـكع
أيـــن الصـــحابة أيـــن حـــزب مُحمّـــد ... لا منكـــر مـــنهم ولا متوجـــع
خـــص الكـــرام بكـــل خطـــب فـــادح ... فيـــه العقـــول مـــع القلـــوب تـــروع
صـــبروا علـــى البلـــوى بكـــل كريهـــة ... والســـر فـــيهم لا محالـــة يـــودع
طـــوبى لأرض حـــل في أكنافهـــا ... جســـد الحُســـين وطـــاب ذاك الموضـــع
قـــد قدســـت أرض الطفـــوف وبوركـــت ... لـــمّا اغتـــدى لـــك في ثراهـــا مضـــجع
لـــك تربـــة فيهـــا الشـــفاء وقبـــة ... فيهـــا الـــدعاء إلى المهـــيمن يرفـــع
هـــم ســـادة الـــدنيا ويـــوم معـــادنا ... في الحشـــر مـــنهم شـــافع ومشـــفع
ولســـوف يـــدرك ثأرهـــم مهـــديهم ... وأنا ليـــوم ظهـــوره أتوقـــع
إن لم أكـــن أدركـــت نصـــرة جـــدّه ... فبنصـــره فيمـــا بقـــي اتطمـــع
يابـــن الإمـــام العســـكري ومـــن لـــه ... صـــيد الملـــوك إذا تمثـــل تخضـــع
يا ســـيّدي ظهـــر الفســـاد وأظلمـــت ... ســـبل الرشـــاد فهـــل لنـــورك مطمـــع
وجـــرت علينـــا في الزمـــان ملاحـــم ... لم نـــدر في تـــدبيرها مـــا نصـــنع
لم يبـــق إلّا عـــالم متصـــنع ... أو جاهـــل متنســـك أو مبـــدع
جعـــل العلـــوم علـــى الفســـاد ذريعـــة ... أكلـــوا بهـــا الـــدنيا ولم يتورعـــوا

يبغـــــون في الأرض العلـــــو وقصـــــدهم قبـــل العـــوام إلـــيهم كـــي يخـــدعوا
كـــــل يريـــــد رئاســـــة بوقاحـــــة وإذا رأى أهـــــل النهـــــى لا يتبـــــع
يتنافســـــون علـــــى المناصـــــب والعلـــــى والله يخفـــــض مـــــا يشـــــاء ويرفـــــع
والله يصـــــلح شـــــأنهم ويصـــــدهم عـــــن غـــــيهم وعـــــن المعاصـــــي يرجـــــع
وبقـــــي رجـــــال أخلصـــــوا في ودهـــــم خصـــــوا ببلـــــوى للجبـــــال تصـــــدع
أمـــــا طريـــــد أو شـــــريد ضـــــائع بـــــين البريـــــة أو فقـــــير مـــــدقع
فـــــالله يجـــــبر كســـــرهم بظهـــــوره يا مـــــن بهـــــم جـــــل المكـــــاره تـــــدفع
ويعـــــين منـــــا الصـــــالحين بعصـــــمة مـــــن كـــــل فعـــــل موثـــــق يستبشـــــع
وبـــــه نؤمـــــل أن ينجـــــي كـــــل مـــــن يبغـــــي الهـــــدى ولســـــبله تتبـــــع
ونعـــــوذ مـــــن خطـــــب يهـــــول وفتنـــــة فيهـــــا المعـــــارف والحقـــــوق تضـــــيع
يا عـــــترة الهـــــادي النّـــــبي ومـــــن هـــــم عـــــزي وكنـــــزي والرجـــــا والمفـــــزع
واليـــــتكم وبرئـــــت مـــــن أعـــــدائكم وأنا بغـــــير ولاكـــــم لا أقنـــــع
ونظمـــــت في عليـــــاكم مـــــن مقـــــولي دراً لهـــــا وشـــــى القـــــريض يرصـــــع
علمـــــاً بأن مـــــديحكم لي نافـــــع ومـــــديح قـــــوم غـــــيركم لا ينفـــــع
وأنا بكـــــم متنســـــك وبحـــــبكم متمســـــك وبجـــــدكم مستشـــــفع
لم أهـــــو دينـــــاً أصـــــله مـــــن غـــــيركم حســـــبي إفتخـــــاري أنـــــني أتشـــــيع
وإلى نقـــــيح نســـــبتي ومحمـــــد إسمـــــي فكـــــم لي منكـــــر ومضـــــيع
لم اســـــتعن في نظمهـــــا بســـــواكم كـــــلا ولســـــت لمـــــن تقـــــدم اتبـــــع
بـــــل هـــــذه بكـــــر أتـــــت مـــــن فكـــــرتي وقـــــريحتي للبكـــــر دومـــــاً تقـــــرع
وقبولهـــــا يا ســـــادتي مهـــــر لهـــــا إن صـــــح فـــــزت بنعمـــــة لا تقطـــــع
صـــــلّى الإلـــــه علـــــيكم مـــــا أحييـــــت فكـــــر وأوقضـــــت العيـــــون الهجـــــع
أبغـــــي الشـــــفاعة في معـــــادي يـــــوم لا مـــــال هنـــــاك ولا بنـــــون ينفـــــع
بكـــــم اؤمـــــل نجـــــح ســـــعيي دائمـــــاً وإلى الإلـــــه بحـــــبكم أتـــــدرع

الباب الثّاني

أيّها المؤمنون النّاصحون , اقطعوا رقاد العيون وواصلوا سهاد الجفون ،

وامسكوا أنفسكم عن اللذّات وابذلوا الدّموع الجاريات ، فقد أعزّ دينه وأحرزه مَن أحمل دمعه وأبرزه ، فإنّ إظهار الدّموع البادية , دليل على ما بطن من الأحزان الخافية ، أما علمتم أنّ هذه الدّموع الهتان نفئة مصدور ، وردّ شرائع الأحزان ، وعجز عن الصّدور . وإنّي كُلّما تزايدت عليّ الأفكار , يتوقّد في قلبي لهيب النّار ، فلا أجد ملجأ التّجئ إليه ولا معولاً أصبر إليه , سوى ماء الشّؤون المتحادرة من مقرحات الجفون :

إن الحـــــزين إذا مـــــا الحـــــزن خالطـــــه كـــــان البكـــــاء لـــــه ملجـــــأ مـــــن الفكـــــر

لا تعـــــذلوني عـــــذولي إنـــــني رجـــــل لـــــمّا تزايـــــد حـــــزني قـــــل مصـــــطبري

وكيف لا تحزن على سادات العباد وأنوار الله في البلاد , فليتني شاهدتهم يوم الطّفوف وفديتهم بروحي من الحتوف ، ولكن ليس إلّا ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

روي : أنّ بعض الصّالحين من المؤمنين , رأى في منامه فاطمة الزّهراء في أرض كربلاء , بعد قتل الحُسين مع جملة من نساء أهل الجنّة وهم يندبون الحُسين (عليه السلام) , وفاطمة تقول : ((يا أبي يا رسول الله ! أما تنظر إلى أُمّتك ما فعلوا بولدي الحُسين ؟ قتلوه ظُلماً وعدواناً , قتلوه ومن شرب الماء منعوه , وللمنايا والغصص جرّعوه , وبالسّيوف قطّعوه , وعلى وجهه قلبوه , ومن القفا ذبحوه , فيا بئس ما فعلوه ! يا ابتاه ! أترى فُعل بولد أحد من الأنبياء كما فُعل بولدي ؟! فوا حرّ قلبه ! كأنّ ربّنا ما خلقنا إلّا للبلاء والابتلاء , فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . يا أبتاه ! قتلوا بعلي أمير المؤمنين , وأُدير الحطب على بيتي وأُضرمت النّار فيه , وفُتح باب داري عليّ كُرهاً , وقُتل ولدي المُحسن سقطاً , كأنّي لم أكُن بضعة منك يا رسول الله ! ولا أنا الذي قُلت فيّ : فاطمة بضعة منّي يُريبني ما يُريبها , ويُزريني ما يُزريها . يا أبتي ! أتعلم ما صُنع بي ؟ كسر اللعين ضلعي حتّى متّ بأسفي , مقروحة عليك وعلى المُحسن وعلى ولديّ الحسن والحُسين , إنّا لله وإنّا إليه راجعون)).

ثمّ قالت (عليها السلام) : ((يا أبة يا رسول الله ! وأعظم من هذا , أنّهم منعوني من البكاء عليك في المدينة , وقالوا : آذيتينا بكثرة بكائك . حتّى عدت إذا ذكرتك واشتقت إلى النّدب عليك , صرت

أخرج إلى وراء قبور الشُهداء , فأقضي شأني من البكاء حتّى ألحقني الله بك في المدّة القليلة)).

فعند ذلك رفع رسول الله (ص) رداءه , وقال : ((واكرباه لكربك يا فاطمة الزّهراء ! وا ابنتاه وا ثمرة فؤاداه ! وا حمزتاه وا عليّاه وا حسناه وا حُسيناه ! وا عبّاساه وا أبا طالباه ! قُتل ولدي الحُسين بالغاضريات ولم تحضره ليوث الغزوات ولا عليّ كاشف الكُربات . فكم من دم مسفوك وستر عن حرمة الإسلام مهتوك ؟ وكم من شيبة بالدّماء مخضوبة , وكريمة من النّساء مسلوبة , وابنتي فاطمة الزّهراء بين الأعداء مروعة , وعترتي بالأشجان ملوعة , وقد قتلوا صغيرهم وكبيرهم , وذبحوا رضيعهم وفطيمهم , واستباحوا نساءهم وحريمهم ؟ فيا سُحقاً لأولئك الأشقياء ! ويا بُعداً لأولاد الأدعياء ! كيف أنظر إليهم يوم القيامة وسيوفهم تقطر من دماء أهل بيتي ؟! أم كيف ترونهم إذا نودي بهم في يوم القيامة : يا أهل هذا الموقف , غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت المُختار . فتأتي وثيابها بدم الحُسين مصبوغة , ومعها قميص آخر مُلطّخ بالسّم , فتنادي : يا أُمّة مُحمّد ! أين مسمومي وأين مذبوحي ؟ وما فعلتم بشبابي وشيوخي ؟ وما فعلتم ببناتي وأطفالي ؟ وما فعلتم بأهل بيتي وعيالي ؟ تصرخ صرخة عالية , وتقول : يا عدل يا حكيم ! احكم بيني وبين قاتل ولديّ . فيُقال لها : يا فاطمة الزّهراء , ادخلي الجنّة . فتقول : لا أدخل الجنّة حتّى أعلم ما صُنع بولدي الحُسين من بعدي . فيُقال لها : انظري أهل القيامة . فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحُسين (عليه السلام) وهو واقف بلا رأس , فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة معها , وتقول : وا ولداه ! وا ثمرة فؤاداه ! وا حرّ قلباه ! على تلك الأجسام العارية والجسوم المرمّلة , وا لهفاه على تلك الأعضاء المُتقطّعة ! تهبّ عليها الصّبا والدّبور , وتفنهم العقبان والنّسور ، قال : فلم يبقى في ذلك الموقف أحد إلّا وبكى لبكائها , قال : فعند ذلك يمثل الله الحُسين في أحسن صورة , فيخاصم ظالميه ، ثمّ يأمر الله تعالى ناراً اسمها هبهب , قد أوقدوا عليها ألف عام حتّى اسودّت وأظلمت , فتلتقطهم عن آخرهم , ألا لعنة الله على القوم الظّالمين)).

فيا إخواني , كيف تطفي لهبات الأشجان , أم كيف تخفي زفرات الأحزان وكريم الحُسين (عليه السلام) يعلي على السّنان , وأيدي ذرّيّته تغلّ بالحديد إلى الأذقان ؟ رزء والله بكت له السّماء دماً , وتفطّرت له الصّم الصّلاد عظماً :

إن رزء الحُســـــــــين أضـــــــــرم ناراً لابثـــــاً في القلـــــوب ذات الوقـــــود
إن رزء الحُســـــــين نجـــــل علـــــيّ هـــــدّ ركنـــــاً مـــــا كـــــان بالمهـــــدود
يا لهـــــا نكبـــــة أباحـــــت جســـــمي الســـــقم وأجـــــرت مـــــدامعاً بالخـــــدود
قتلـــوه مـــع علمهـــم أنـــه خـــير الـــبرايا مـــــــن ســـــــيّد ومســـــــود
اســـــخطوا الله في رضـــــى ابـــــن زياد وأعطـــــوه قضـــــاء حـــــق يزيـــــد

روي : أنّ الحُسين لـمّا رأى وحدته وفقد عترته وأنصاره , تقدّم على فرسه نحو القوم حتّى واجههم , وقال : ((أيّها النّاس , أنسبوني وانظروا مَن أنا , ثمّ راجعوا أنفسكم وعاتبوها , فانظروا هل يحلّ لكم سفك دمي وانتهاك حُرمي ؟ ألست أنا ابن نبيّكم مُحمّد ؟ أما كان موصياً فيكم لي ولأخي ؟ أما أنا سيّد شباب أهل الجنّة ؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حُرمتي ؟)) . فقالوا : ما نعرف شيئاً ممّا تقول . فقال : ((إنّ فيكم مَن لو سألتموه عنّي لأخبركم إنّه سمع ذلك من جدّي رسول الله فيّ وفي أخي الحسن , سلوا زيد بن ثابت والبرّاء بن عازب وأنس بن مالك , فإنّهم يخبرونكم أنّهم سمعوا من جدّي رسول الله فيّ وفي أخي , فإن كنتم تشكّون إنّي لست ابن بنت نبيّكم , فوالله ما تعمدت الكذب وقد عرفت أنّ الله تعالى يمقت على الكذب أهله ويعذّب مَن استعمله , فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري , ثمّ أنا ابن إمامكم خاصّة دون غيري , خبّروني هلى تطلبوني بقتل قتلته منكم , أو بقصاص من جراحة , أو بمال استملكته منكم , أم على سنّة غيّرتها , أم على شريعة فرض بذاتها ؟)) . قال : فسكتوا ولم يقبلوا هذا القول منه.

وإنّه (عليه السلام) كان عالماً بما يؤول أمره إليه , عارفاً بما هو قادم عليه , عرف ذلك من أبيه وجدّه (عليهما السلام) , واطّلع على حقيقة ما خصّه الله به من بين الأنام , وإنّما كان ذلك القول وتكراره عليهم ؛ لإقامة الحجّة عليهم , وتنبيهاً لمن يقول لا أعلم واشتبه عليّ الأمر فلم أهتد لوجه الصّواب , ففي هذه الاحتمالات بإنذاره.

فتبّاً لآرائهم الفاسدة وعقولهم الجامدة , ولقد أعماهم القضاء إذ عليهم نزل , وحتم عليهم العذاب ربّ لم يزل , فما منهم إلّا من حاد عن الصّواب وعدل , فما أنصف ولا عدل بل مالت نفوسهم إلى حُبّ الدُنيا الدّنيّة فخيّبهم الأمل ، ألا تتفكّرون فيما صدر من كبيرهم المدعو بأميرهم يزيد (لعنه الله) , مما تمثّل به بين جلسائه , حيث يقول :

ليـــــت أشـــــياخي ببـــــدر شـــــهدوا وقعـــــة الخـــــروج مـــــن وقـــــع الأســـــل
لأهلـــــــوا واســـــــتهلوا فرحـــــــاً ثمّ قـــــــالوا يا يزيـــــــد لا تشـــــــل
لعبـــــت هاشـــــم في الملـــــك فـــــلا خـــــبر جـــــاء ولا وحـــــي نـــــزل

فعلى هذا كانت عقيدتنا وعلى ذلك كان دينه وطريقته.

فلهذا ارتكبوا مركباً وعراً وفعلوا نكراً ، قالوا قولاً هجراً واستحلّوا مذاقاً مرّاً , وبلغوا الغاية في العصيان ووصلوا النّهاية في رضا الشّيطان ، وكم ذكّرهم الحُسين (عليه السلام) عذاب الله فما ذكروا , وزجرهم على تقحّم نار الجحيم , فما انزجروا , وأصرّوا واستكبروا استكباراً على خطيئاتهم اغرقوا , فأُدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً , ثمّ قال (عليه السلام) : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيّاراً ﴾[1] ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[2]. فاستجاب الله دعاءه (عليه السلام) , ووقع الفناء ببني أُميّة اللئام , ودارت عليهم دوائر الإنتقام , فقُتلوا في كلّ أرض بكلّ لدن وحسام , وانتقلوا إلى نار الجحيم والإضرام , فصارت ألوفهم آحاداً وجموعهم أفراداً , ولبسوا العار آباءاً وأجداداً وأولاداً.

فوا حسرتاه لما حلّ بآل الرّسول في تلك المنازل والتّلول ! أتُحمل ذرّيّة حبيب الملك الوهاب حسراً على الأقتاب , ونسوة آل حرب يُضرب عليهنّ الحجاب ويرفلنّ في الفاخر من الثّياب ؟! : ﴿ تَكَادُ السّماوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقّ الْأَرْضُ وَتَخِرّ الْجِبَالُ هَدّاً ﴾[3] :

لقـــــد منعـــــوا الحُســـــين المـــــاء ظلمـــــاً وذاك المـــــــــــاء ورد للكـــــــــــلاب
ولـــــــو لا زينـــــــب قتلـــــــوا عليـــــــاً صـــــــغيراً قتـــــــل بـــــــق أو ذباب
بنـــــات مُحمّـــــد في الشـــــمس عطشـــــى وآل يزيـــــــد في ظـــــــل القبـــــــاب
لآل يزيـــــــد مـــــــن أدم خيـــــــام وأصـــــحاب الكســـــاء بـــــلا ثيـــــاب

حُكي : أنّ فاطمة الصّغرى قالت : كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر أبي وأصحابه مجرّدين كالأضاحي على الرّمال , والخيول على أجسادهم تجول , وأنا أفكّر ما يصدر علينا بعد أبي من بني أُميّة , أيقتلوننا أو يأسروننا , وإذا برجل على ظهر جواده يسوق النّساء بكعب رُمحه , وهن يلذن بعضهنّ في بعض , وقد أخذ ما عليهنّ من أخمرة وأسورة , وهن يصحن : وا جدّاه وا أبتاه وا عليّاه ! وا قلّة ناصراه وا حُسيناه !

---

(1) سورة نوح / 26.
(2) سورة نوح / 27.
(3) سورة مريم / 90.

أما من مُجير يجيرنا ؟ أما من ذائد يذود عنّا ؟ قالت : فطار فؤادي وارتعدت فرائصي , وجعلت أجيل طرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أُمّ كلثوم ؛ خشية منه أن يأتيني , فبينما أنا على هذه الحالة , وإذا به قد قصدني , فقلت : ما لي إلّا إلى البرّ . ففررت منهزمة وأنا أظنّ إنّي اسلم منه , وإذا به قد تبعني فذهلت خشية منه , وإذا بكعب الرّمح بين كتفي فسقطت لوجهي , فخرم أذني وأخذ قرطي وأخذ مقنعتي من رأسي , وترك الدّماء تسيل على خدّي ورأسي تصهره الشّمس , وولّى راجعاً إلى الخيم وأنا مغشى عليَّ , وإذا بعمّتي عندي تبكي وهي تقول : قومي نمضي , ما أعلم ما صدر على البنات وأخيك العليل . فقمت وقلت : يا عمّتاه ! هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النّظارة ؟ فقالت : يا بنتاه ! وعمّتك مثلك . وإذا برأسها مكشوف ومتنها قد اسودّ من الضّرب , فما رجعنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نُهبت وما فيها , وأخي عليّ بن الحُسين مكبوب على وجهه , لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والسّقام , فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا :

وإني ليشجيني ادكاري عصابة ... بأكناف أرض الغاضريات قتل

ومن بينهم سبط النّبي مُحمّد ... طريح ومن فوق الصعيد مجدل

وقد طحنت منه جناجن صدره ... ورض ومنه الرأس في الرمح بحمل

ورحل بني الهادي النّبي موزع ... تقاسمه قوم أضاعوا وبدلوا

رجالهم صرعى بكل تنوفة ... ونسوتهم في السبي حسرى وثكل

وأطفالهم غرثى يمضهم الطوى ... وليس لهم بر هنالك يكفل

فيا حرقي تزايدي ويا عيوني تساعدي ؛ فإنّه رزء عظيم ومصاب جسيم , ولمثل هؤلاء الكرام فليبك الباكون ، وإيّاهم فليندب النّادبون , وتذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

لست ممن يبكي رسولاً محمولاً ... وديارا أعفى البلا وطلولا

لا ولم تلهني ملاعب أترابي ... ولم أبكي مربعاً مأهولا

مـــا شـــجاني النـــوى فاســـتوقف الحـــادي ... ولا أحـــــــبس الركـــــــاب قلـــــــيلا
بـــل شـــجاني ناعـــي الحُســـين فأجريـــت ... دموعـــــاً لـــــمّا شـــــجاني همـــــولا
كيـــف لا أنـــدب الغريـــب الوحيـــد ... المســـــــتظام المشـــــرد المقتـــــولا
كيـــف لا أســـاعد البتـــول علـــى الحـــزن ... وقـــــــد بات قلبهـــــا مبتـــــولا
يـــوم ذاقـــت مـــر المـــذاق وكـــان ... الســـــبط في حجـــــره محمـــــولا
والنـــبي الهـــادي بـــه قـــرح يحنـــو ... عليـــــه ويكثـــــر التقبـــــيلا
فـــأتاه الأمـــين جبريـــل ينعـــاه ... بـــــه فاغتـــــدى يطيـــل العـــويلا
فأتـــت فـــاطم إليـــه وقالـــت ... قـــد تبينـــت منـــك أمـــراً مهمـــولا
ســـيدي مـــا الـــذي دهـــاك ولم ... تعـــرض مـــا دمـــت بي رحيمـــاً وصـــولا
قـــال إنّي أأبى لقلبـــك أن يصـــبح ... يومـــــاً للنائبـــــات همـــــولا
إن هـــذا الحُســـين يضـــحي بأرض ... الطـــف مـــن بعـــدنا طريحـــاً قتـــيلا
بعـــد أن يطلـــب النصـــير فـــلا ... ينظـــــر إلّا محـــــارباً وخـــــذولا
والعزيـــزات مـــن بناتـــك يشـــهرن ... حـــزوناً بـــين الـــورى وســـهولا
فـــدعت عنـــد قولـــه وا غريبـــاه ... وواعظـــم ذاك خطبـــاً جلـــيلا
مـــن تـــرى يلحـــد الغريـــب ومـــن ذا ... يتـــولى التكفـــين والتغســـيلا
مـــن تـــرى يعمـــل العـــزاء ومـــن يبكـــي ... عليـــه ومـــن يراعـــي الرســـولا
فبكـــى الـــمُصطفى فـــأوحى إليـــه الله ... قـــل للبتـــول قـــولاً جمـــيلا
ســـوف أنشـــئ قومـــاً كرامـــاً يقيمـــون ... عـــزاء الحُســـين جـــيلاً فجـــيلا
وأجـــازيهم علـــى الـــود للقـــربى ... وأعطـــيهم العطـــاء الجـــزيلا
فتولـــت تثـــني علـــى الشـــيعة الغـــر ... وتـــدعو دعاءهـــا المقبـــولا
فـــإذا كـــان قلبهـــا مـــن كـــلام قبـــل ... لاقـــى أســـى وداء دخـــيلا
كيـــف لـــو أبصـــرته ملقـــى علـــى الـــترب ... تجيـــل العـــدى عليـــه الخيـــولا
والســـبايا مـــن حولـــه يتصـــارخن ... وقـــد نالـــت الجيـــوب الـــذيولا
واليتـــامى كـــل تخفـــي مـــن الخـــوف ... وتـــدمي باللطـــم خـــداً أســـيلا
وبـــدور الســـما صـــرعى علـــى الأرض ... تلاقـــي عنـــد التمـــام أفـــولا
وقـــدود الغصـــون مـــن بعـــد ذاك ... اللـــين فـــوق الثـــرى تعـــاني الـــذبولا

والإمـــام الســـجاد في الأســـر موثوقـــاً ... بنفســـي أفـــدي الأســـير العلـــيلا
إذ رأت زينـــب تمـــرغ خـــديها ... عليـــه وتســـتغيث الجلـــيلا
وتنـــادي وا فجعـــتي وا شـــقائي ... يا لهـــا حســـرة وحـــزناً طـــويلا
ليتـــني كنـــت فدتـــه لـــك مـــن كـــرب ... المنـــايا وكـــان ذاك قلـــيلا
يا أخـــي مـــا تـــرى ســـكينة خـــوف ... الســـبي تـــومي إليـــك طرفـــاً كلـــيلا
يا أخـــي هـــل لفـــاطم مـــن كفيـــل ... حيـــث قـــد أعـــوز الزمـــان الكفـــيلا
يا أخـــي مـــا تـــرى عليـــاً بـــذل ... وبـــرغم يضـــحى العزيـــز ذلـــيلا
لـــو رأت صـــفوة النســـاء كريمـــات ... حســـين علـــى المســـير عجـــولا
متعبـــات يعثـــرن في بهـــرج الســـير ... وحـــادي الســـرى يجـــد الـــرحيلا
أو رأت رأســـه علـــى الـــرمح مشـــهوراً ... إلى أرذل الـــورى محمـــولا
لـــرأت مـــا يســـؤها مـــن جـــوى الثكـــل ... وأمســـى لهـــا العـــراء نـــزيلا
وروى الحمـــيري وهـــو صـــدوق ... قـــال عاينـــت في المنـــام البتـــولا
مـــع لفيـــف مـــن الملائكـــة قـــد زارت ... ضـــريح الحُســـين عـــبرى ثكـــولا
ثم قالـــت ووابـــل الـــدمع لا يطفـــي ... لهيبـــاً ولا يبـــل غلـــيلا
لم تقلبـــه يـــوم أردي كـــف ... غـــير كفـــي نجيـــه جـــبريلا
يا بـــني أحمـــد ذكـــرتم فرعـــاً ... عطـــرات الحنـــا وطبـــتم أصـــولا
وشـــرعتم محجـــة الرشـــد للنـــاس ... ولـــولاكم لضـــلوا الســـبيلا
شـــهد الله جاهـــداً في يميـــني ... وكفـــى الله شـــاهداً ووكـــيلا
مـــا أراقـــت أرجـــاس حـــرب دم ... الســـبط وأغـــرت بـــه الطغـــاة النغـــولا
واســـتطالوا إلّا بمـــن جحـــد الـــنص ... وفي حكمـــه غـــداً مســـتقيلاً
وبيـــوم التنـــاد فهـــو المنـــادي ... ليتـــني لم اتخـــذ فـــلاناً خلـــيلا
فـــإليكم جـــواهر مـــن ولي ... عـــارف يتبـــع المقـــال الـــدليلا
لازم مـــا أمرتمـــوه مـــن التقـــوى ... مقـــيم علـــى الـــولاء لـــن يحـــولا
تعـــس القـــائلون أن الخليعـــي ... بغـــى بالهـــداة يومـــاً بـــديلا
حـــاش لله لـــيس يـــدعي لبيبـــاً ... مـــن ياســـوي بالفاضـــل المفضـــولا

قابلوا رحمكم الله نعمة الموالاة بالشّكر والحمد ، وابذلوا في ذلك أوسع الطّاقة والجهد ، وأحسنوا إلى الذّريعة النّبوية , وأطيعوا الله فيما أمركم بحقّهم من الوصيّة ، وتمسّكوا بحبلهم المتين , واجعلوهم جنناً واقية من العذاب المهين ، ولا شيء لعمري , أدعى إلى حصول الثّواب العظيم وإزالة العقاب الأليم ، وأقرب إليهم صلوات الله عليهم من إظهار شعائر الأحزان وإجراء الدّمع الهتان ، على ما أصابهم في ذلك الزّمان ، فكم لهم رأس على سنان وبدن بلا رأس بين الأبدان ؟ فيا لها من رزية ما أجل خطبها بين الأنام ، ومن مصيبة ما أعظمها في الإسلام.

روي عن بعض الثُقاة : أنّ يزيد (لعنه الله تعالى) دعا برأس الحُسين (عليه السلام) وكان بيده قضيب خيزران , فجعل ينكث ثناياه ويفرق بين شفتيه وجلساؤه ينظرون إليه ، فقال زيد بن أرقم (رض) : يا يزيد , ارفع قضيبك عن شفتي حبيب الله , فو الله , لقد رأيت رسول الله يقبّلهما مراراً كثيرة , ويقول له ولأخيه الحسن : ((اللّهمّ إنّ هذين وديعتي عند المُسلمين)) . وأنت يا يزيد مثل هذا تفعل بودائع رسول الله ؟! . ثمّ إنّ يزيد جعل يبكي وينوح ، وفي هذا المعنى قال الشّاعر :

كان النّبي يحب يلثم ثغره ... قعد اللعين يدق أكرم ملثم

وغدا يعفر خده فوق الثرى ... ظلماً وضرج عارضيه بالدم

قتل الحُسين فيا سماء تفطري ... حزناً ويا دار السرور تهدمي

يا أعين السحب اقتدي بي في البكا ... يا ورق من نوحي عليه تعلمي

عن ابن عبّاس (رض) , قال : عطش المُسلمون في مدينة الرّسول في بعض السّنين عطشاً شديداً , حتّى أنّهم عادوا لا يجدون الماء في المدينة , فجاءت فاطمة الزّهراء بولديها الحسن والحُسين (عليهما السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فقالت : ((يا أبتي , إنّ ابني الحسن والحُسين صغيران لا يتحمّلان العطش)) . فدعا النّبي (صلى الله عليه وآله) بالحسن فأعطاه لسانه حتّى روي , ثمّ دعا بالحُسين فأعطاه أيضاً لسانه فمصّه حتّى روي ، فلمّا رويا , وضعهما على ركبتيه وجعل يُقبّل هذا مرّة وهذا أُخرى , ثمّ يلثم هذا لثمة وهذا لثمة , ثمّ يضع لسانه الشّريف في أفواههما وهو معهما في غبطة

ونعمة , فبينما هُم كذلك , إذ هبط الأمين جبرائيل بالتّحية من الرّب الجليل إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) , فقال : يا مُحمّد , ربّك يقرؤك السّلام ويقول : ((إنّ هذا ولدك الحسن يموت مسموماً مظلوماً ، وهذا ولدك الحُسين يموت عطشاناً مذبوحاً)) . فقال : ((يا أخي جبرائيل , مَن يفعل ذلك بهما ؟)) . قال : قوم من بني أُميّة يزعمون أنّهم من أُمّتك , يقتلون أبناء صفوتك ويشرّدون ذرّيّتك . فقال : ((يا جبرائيل , هل تفلح أُمّة تفعل هذا بذرّيّتي ؟)) . قال : لا والله , بل يبليهم الله في الدُنيا بمن يقتل أولادهم ويسفك دماءهم ويستحيي نساؤهم , ولهم في الآخرة عذاب أليم ، طعامهم الزّقوم وشرابهم الصّديد ، ولهم في درك الجحيم عذاب مكيد ، ويُقال لجهنّم هل امتلأت ؟ فتقول هل من مزيد ؟ ثمّ قال جبرائيل (عليه السلام) : يا مُحمّد , إنّ الله عزّ وجلّ حمد نفسه عند هلاك الظّالمين , حيث قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] . قال : فجعل النّبي (صلى الله عليه وآله) تارة ينظر إلى الحسن وتارة ينظر إلى الحُسين وعيناه تهملان من الدّموع , ويقول : ((لعن الله قاتلكما , ولعن الله من غصبكما حقّكما من الأولين والآخرين)).

فيا لها من مرتبة ما نالها إلّا الفائزون , ويا لها من درجة لم يحظ بها إلّا الفائزون , فيا طول حزني عليهم واشتياقي إليهم :

لـــو فهـــم الـــورق حنيـــني نحـــوهم ... ناحـــت معـــي وقطعـــت أطواقهـــا

ولـــو يـــذوق عـــاذلي صـــبابتي ... صـــبا معـــي لكنـــه مـــا ذاقهـــا

روي عن الإمام الصّادق (عليه السلام) , أنّه قال : ((كان الحُسين (عليه السلام) يوماً في حجر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) , وهو يلاعبه ويلاطفه ويقبّله ويضاحكه , فقالت له عائشة : ما أشدّ حبّك لهذا الصّبي , وما أشغفك به وما أشدّ اعجابك به ؟ فقال لها : ويلك ! وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني ومهجة قلبي , ولكن اعلمي يا عائشة , إنّ قوماً من أشرار أُمّتي تقتله من بعدي , ويكون قاتله مُخلّداً في النّار , وعليه غضب من الله تعالى , ومَن زاره بعد وفاته , كتب الله له الثّواب حجّة من حجّتي . فقالت عائشة : يا رسول الله , حجّة من حججك يكتبها الله لزائر الحُسين ؟ قال : نعم وحجّتين . قالت عائشة : وحجّتين من حججك ؟! قال : نعم بل ثلاث حجج)).

قال : ((ولم تزل عائشة تزيده بالقول وهو (صلى الله عليه وآله) يُضاعف لها الحجج , حتّى بلغ سبعين حجّة من حجج رسول الله ، ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) : يا

---

(1) سورة الأنعام / 45.

عائشة , مَن أراد الله به الخير , قذف في قلبه محبّة الحُسين (عليه السلام) وحُب زيارته . ومَن زار الحُسين عارفاً بحقّه , كتبه الله من أعلى علّيين مع الملائكة المقرّبين)).

وعن سُليمان الأعمش , أنّه قال : كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار , وكنت آتي إليه وأجلس عنده , فأتيت ليلة الجُمُعة إليه , فقلت له : يا هذا , ما تقول في زيارة الحُسين (عليه السلام) ؟ قال لي : هي بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ذي ضلالة في النّار . قال سُليمان : فقمت من عنده وأنا ممتلئ عليه غيظاً , فقلت في نفسي : إذا كان وقت السّحر , آتيه وأحدّثه شيئاً من فضائل الحُسين (عليه السلام) , فإن أصرّ على العناد قتلته . قال سُليمان : فلمّا كان وقت السّحر , أتيته وقرعت عليه الباب ودعوته باسمه , فإذا بزوجته تقول : إنّه قصد إلى زيارة الحُسين من أوّل الليل . قال سُليمان : فسرت في أثره إلى زيارة الحُسين (عليه السلام) , فلمّا دخلت إلى القبر , فإذا أنا بالشّيخ ساجد لله عزّ وجلّ , وهو يدعو ويبكي في سجوده ويسأله التّوبة والمغفرة , ثمّ رفع رأسه بعد زمان طويل فرآني قريباً منه , فقلت : يا شيخ , بالأمس كنت تقول , زيارة الحُسين بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة بالنّار ، واليوم أتيت تزوره ؟! فقال : يا سُليمان لا تلمني , فإنّي ما كنت أثبت لأهل البيت إمامة حتّى كانت ليلتي تلك , فرأيت رؤيا هالتني وروّعتني . فقلت له : ما رأيت أيّها الشّيخ ؟ قال : رأيت رجُلاً جليل القدر , لا بالطّويل الشّاهق ولا بالقصير اللاصق , لا أقدر أن أصفه من عظم جلاله وجماله وبهائه وكماله , وهو مع أقوام يحفّون به حفيفاً ويزفّونه زفيفاً , وبين يديه فارس وعلى رأسه تاج , وللتاج أربعة أركان وفي كلّ ركن جوهرة تضيء من مسيرة ثلاثة أيّام , فقلت لبعض خدّامه : مَن هذا ؟ فقال : هذا مُحمّد المُصطفى . قلت : ومَن هذا الآخر ؟ فقال : عليّ المُرتضى , وصي رسول الله . ثمّ مددت نظري , فإذا أنا بناقة من نور وعليها هودج من نور وفيه امرأتان , والنّاقة تطير بين السّماء والأرض , فقلت : لِمَن هذه النّاقة ؟ فقال: لخديجة الكبرى وفاطمة الزّهراء . فقلت : ومَن هذا الغُلام ؟ فقال : هذا الحسن بن عليّ . فقلت : وإلى أين يريدون بأجمعهم ؟ فقال : لزيارة المقتول ظُلماً شهيد كربلاء , الحُسين بن عليّ المُرتضى . ثمّ إنّي قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزّهراء , وإذا أنا برقاع مكتوبة تتساقط من السّماء , فسألت : ما هذه الرّقاع ؟ فقال : فيها أمان من النّار لزوّار الحُسين (عليه السلام) في ليلة الجُمُعة.

فطلبت منه رقعة , فقال لي : إنّك تقول زيارته بدعة , فإنّك لا تنلها حتّى تزور الحُسين وتعتقد فضله وشرفه . فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً , وقصدت من وقتي وساعتي إلى زيارة سيّدي الحُسين (عليه السلام) , وأنا تائب إلى الله تعالى ، فو الله يا سُليمان , لا أفارق قبر الحُسين (عليه السلام) حتّى تُفارق روحي جسدي.

وعن داود بن كثير , عن أبي عبد الله (عليه السلام) , قال : ((إنّ فاطمة بنت مُحمّد (صلى الله عليه وآله) تحضر زوّار قبر الحُسين فتستغفر لهم)) . :

فيا نكبة هدت قوى دين أحمد ... وعظم مصاب في القلوب له سعر
أيرتفع الرأس الكريم على القنا ... ويهدى إلى الرجس قد اغتاله الكفر
ويمنع شرب الماء عمداً وكفه ... به من عطايا جود أنعامه بحر
ويقتل ضمآناً كئيباً وجدّه ... نبي له الاقبال والعز والنصر
حبيب أجل المرسلين مقامه ... رسول به ترجى الشفاعة والبشر
ووالده الهادي الوصي خليفة ... النّبي أبو الأطهار والصنو والصهر
إمام له السر العظيم وشأنه ... القديم وفي أوصافه نزل الذكر
له الشرف العالي له النور والبهاء ... له الرتبة له المجد والفخر
إذا ما انتضى يوم الكريهة عزمه ... فمن ذا ترى زيداً ومن ذا ترى عمرو

حُكي عن رجل كوفي حداد قال : لمّا خرج العسكر من الكوفة لحرب الحُسين بن عليّ (عليه السلام) , جمعت حديداً عندي وأخذت آلتي وسرت معهم , فلمّا وصلوا وطنبوا خيمهم , بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم ، وسككاً ومرابط للخيل , وأسنّة للرماح , وما أُعوج من سنان أو خنجراً أو سيف كنت بكلّ ذلك بصيراً , فصار رزقي كثيراً وشاع ذكري بينهم حتّى أتى الحُسين مع عسكره , فارتحلنا إلى كربلاء وخيّمنا على شاطئ العلقمي , وقام القتال فيما بينهم وحموا الماء عليه وقتلوه وأنصاره وبنيه , وكان مدّة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً , فرجعت غنيّاً إلى منزلي والسّبايا معنا , فعُرضت على عُبيد الله فأمر أن يشهروهم إلى يزيد إلى الشّام ، فلبثت في منزلي أيّاماً قلائل , وإذا أنا ذات ليلة راقد على فراشي , فرأيت طيفاً :

كأنّ القيامة قامت والنّاس يموجون على الأرض كالجراد إذ فقدت دليلها , وكلّهم دالع لسانه على صدره من شدّة الظّمأ , وأنا اعتقد أنّ فيهم أعظم منّي

عطشاً ؛ لأنّه كلّ سمعي وبصري من شدته , هذا غير حرارة الشّمس تغلي منها دماغي , والأرض تغلي كأنّها القير إذ أُشعل تحته نار , فخلت أنّ رجلي قد تقلّعت قدماها , فو الله العظيم , لو أنّي خُيّرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتّى يسيل دمي لأشربه , لرأيت شربه خيراً من عطشي ، فبينما أنا في العذاب الأليم والبلاء العميم , إذ أنا برجل قد عمّ الموقف نوره وابتهج الكون بسروره راكب على فرس , وهو ذو شيبة قد حفّت به ألوف من كلّ ؛ نبيّ ووصيّ وصديق وشهيد وصالح , فمرّ كأنّه ريح أو سيران فلك ، فمرّت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغر , له وجه كتمام القمر , تحت ركابه ألوف إن أمر ائتمروا وإن زجر انزجروا ، فاقشعرّت الأجسام من لفتاته وارتعدت الفرائص من خطواته , فتأسفت عن الأوّل ما سألت عنه خيفة من هذا , وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه وسمعت قوله: خذوه . وإذا بأحدهم قابض بعضدي كلبّة حديد خارجة من النّار , فمضى بي إليه , فخلت كتفي اليمنى قد إنقلعت , فسألته الخفّة فزادني ثقلاً , فقلت له : سألتك بمَن أمرك عليّ , مَن تكون ؟ قال : ملك من ملائكة الجبّار . قُلت : ومَن هذا ؟ قال : عليّ الكرار . قُلت : والذي قبله ؟ قال : مُحمّد المُختار . قُلت : والذين حوله ؟ قال : النّبيون والصّديقون والشُهداء والصّالحون والمؤمنون . قُلت : أنا ما فعلت حتّى أمرك عليّ ؟ قال : إليه يرجع الأمر وحالك حال هؤلاء . فحقّقت النّظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر وقوم لم أعرفهم , وإذا بعنقه سلسلة من حديد والنّار خارجة من عينيه وأذنيه , فأيقنت بالهلاك , وباقي القوم منهم مغلّل ومنهم مقيد ومنهم مقهور بعضده مثلي , فبينما نحن نسير , وإذا برسول الله الذي وصفه الملك , جالس على كرسي عال يزهو أظنّه من اللؤلؤ , ورجُلين ذي شيبتين بهيتين عن يمينه , فسألت الملك عن الرّجلين , فقال : آدم ونوح . وإذا برسول الله يقول : ((ما صنعت يا عليّ ؟)) . قال : ((ما تركت أحداً من قاتلي الحُسين إلاّ وأيت به)) . فحمدت الله تعالى بأنّي لم أكن منهم وردّ إليّ عقلي , وإذا برسول الله يقول : ((قدّموهم)) . فقدّموهم إليه وجعل يسألهم ويبكي ويبكي كلّ مَن في الموقف لبكائه ؛ لأنّه يقول للرجل : ((ما صنعت بطفّ كربلاء بولدي الحُسين ؟)) . فيجيب : يا رسول الله , أنا حميت الماء عليه . وهذا يقول : أنا قتلته . وهذا يقول : أنا سلبته . وهذا يقول : أنا وطأت صدره بفرسي . ومنهم يقول :

أنا ضربت ولده العليل . فصاح رسول الله (ﷺ) وقال : ((وا ولداه ! وا قلّة ناصراه ! وا حُسيناه ! وا عليّاه ! هكذا صدر عليكم بعدي أهل بيتي ؟ انظر يا أبي يا آدم ! انظر يا أخي يا نوح ! كيف أخلفوني في ذرّيّتي)) . فبكوا حتّى ارتجّ المحشر , فأمر بهم زبانية جهنّم يجرّونهم أوّلاً فأوّلاً إلى النّار , وإذا بهم قد أتوا برجل , فسأله (ص) , قال : ما صنعت شيئاً . قال : ((أما أنت نجّار ؟)) . قال : صدقت يا سيّدي , لكنّي ما عملت شيئاً إلّا عموداً لخيمة الحصين بن نمير ؛ لأنّه انكسر من ريح عاصف فوصلته . فبكى (ﷺ) وقال : ((كثّرت السّواد على ولدي , خذوه للنار)) . وصاحوا : لا حكم إلّا لله ولرسوله ووصيه . قال الحداد : فأيقنت بالهلاك . فأمر بي فقدّموني , فاستخبرني فأخبرته , فأمر بي إلى النّار , فلمّا سحبوني , إلّا وانتبهت وحكيت لكلّ من لقيته . وقد يبس لسانه ومات نصفه وتبرّأ كلّ من يحبّه ومات فقيراً لا رحمه الله تعالى ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

زر ضريحاً (بجورقان) ونائي ... الحُسين بن فاطمة الزهراء

لغريب بكربلا يا صريع ... طال كربي لذكره وبلائي

ووحيد بين الأعادي غريب ... جرعته العدى كؤوس الردا

فإذا زرته فقل يا قتيلا ... حزنه قاتلي بسيف شجائي

يا غريباً لأجله صرت أبكي ... أسفاً بعده على الغرباء

يا خضيب المشيب خضبت خدي ... بدموع ممزوجة بدماء

ليتني بالطفوف كنت فداء ... لك يا سيّدي وقلّ فدائي

بأبي جسمك الذي وطأته ... الخيل من بعد لين الوطاء

بأبي رأسك المسير في الرمح ... كبدر يلوح في الظلماء

بأبي أختك التي هتكت بعدك ... من بعد سرها والخباء

تستر الوجه وهي تعثر في ... فاضل أذيالها لفرط الحياء

ثم تدعوك يا أخي كم أناديك ... تشجو فلا تجيب ندائي

---

(1) سورة الشّعراء / 227.

يا أخـــي لـــو رأيتنـــا لـــرأت عينـــاك ... فينـــــا شماتـــــة الأعـــــداء

كنـــت أرجـــوك للشـــدائد كهفـــاً ... فـــأبى الـــدهر أن يحـــق رجـــائي

ليتـــني مـــت قبـــل هـــذا فقـــد ... كـــان ممـــاتي أحـــق مـــن بقـــائي

لأنـــوحن مـــا حييـــت علـــى مـــن ... ناح حـــزناً طـــير الســـماء

وكـــذا الأرض والســـماء بكتـــه ... وقليـــل لـــه كثـــير البكـــاء

وبكـــى جبرائيـــل في المـــلأ العلـــوي ... أيضـــاً وكـــل مـــن في الســـماء

وبـــه عـــزي النّـــبي وعـــزي ... فيـــه مـــولاي ســـيّد الأوصـــياء

وغـــدت فـــاطم البتولـــة تبكيـــه ... بثكـــل قريحـــة الأحشـــاء

لعـــن الله عصـــبة قتلتـــه ... ولحاهـــا بكـــرة وعشـــاء

لـــيس تهـــنى الحيـــاة بعـــد قتيـــل ... الطـــف إلّا امـــرؤ قليـــل الحيـــاء

وســـيبكي لـــه ابـــن حمـــاد في كـــل ... صـــباح مـــن عمـــره ومســـاء

المجلس العاشر

في اليوم الخامس من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

لو علم النّاس فضل هذا المقام لأجلوه عن الوطء بالأقدام , ولجعلوا هذا الرّغام شفاءاً وافياً من الأسقام , وكيف لا , وفيه تُقام مآتم الآل وما جرى عليهم من الأسر والقتال من الكفرة الفجرة الأنذال.

فيا إخواني , أكثروا من التّلهّف والأسف على أهل الفضائل والشّرف ، وكيف الصّبر لِمَن يمثل مولاه الحُسين (عليه السلام) واقفاً يُنادي في ميدان القتال : ((ألا هل من نصير ينصر الآل ؟ ألا هل من معين يعين عترة المختار ويذبّ عن الذرّيّة الأطهار ؟ أين من حقّنا عليه ؟ أين من الوصية فينا من الرّسول (صلى الله عليه وآله) حيث يقول :﴿ قُل لاَ أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1])).

فالعجب كلّ العجب من غفلة أهل الزّمان عن إقامة العزاء وإثارة الأحزان , على الشّهيد العطشان المدفون بلا غسل ولا أكفان ، كيف لا تبكي لِمَن بكته الزّهراء ؟ وكيف لا تنوح على المنبوذين بالعراء ؟ لعلّنا نفوز بثواب المصاب , ونحوز بدخول الجنّة يوم المرجع والمآب :

يحـــق لي أن أدم مـــا عشـــت في حـــزن ... أذري الـــدّموع علـــى الخـــدين والـــذفن

يا آل أحمـــد مـــاذا كـــان فعلكـــم ... كـــأن خـــيركم في النـــاس لم يكـــن

رجـــالكم قتلـــوا مـــن غـــير ذي ســـبب ... وأهلكـــم هتكـــوا جهـــراً علـــى البـــدن

روي : أنّ عمر بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان : يا معاوية , لِمَ لا تأمر

---

(1) سورة الشّورى / 23.

الحسن بن عليّ أن يصعد المنبر فيخطب يوم الجُمُعة ؛ فلعلّه يحصل له خجل وحصر , فيكون ذلك نقصاً لقدره عند النّاس . قال : فلمّا غصّ المسجد بالنّاس , أمر معاوية الحسن أن يصعد المنبر , قال : فقام الحسن (عليه السلام) وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه , ثمّ قال : ((أيّها النّاس ، مَن عرفني فقد عرفني , ومَن لم يعرفني فسأُبيّن له نفسي ، أنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، أنا ابن أوّل القوم إسلاماً وأوّلهم إيماناً ، أنا ابن عليّ المرتضى وابن فاطمة الزّهراء بنت المُصطفى , أنا ابن البشير النّذير , أنا ابن السّراج المنير , أنا ابن مَن بُعث رحمة للعالمين وسوط عذاب على الكافرين. أيّها النّاس , لو طلبتم ابناً لنبيّكم , لم تجدوا غيري وغير أخي الحُسين)) . قال : فناداه معاوية , وقال : يا حسن , حدّثنا بنعت الرّطب كيف يكون ؟ أراد بذلك أن يخجّله ويقطع عليه كلامه ، فقال الحسن : ((نعم يا معاوية ، إنّ الرّطب أوّلاً تلقحه الشّمال وتخرجه الجنوب ، وتنفحه الشّمس ويصبغه القمر ، وتنفحه الرّيح والحرّ ينضجه , والليل يبرّده والبرودة تحلّيه وتطيّبه)) . ثمّ استمر في كلامه , وقال : ((أيّها النّاس , أنا ابن المروة والصّفا , أنا ابن النّبي المُصطفى , أنا ابن مَن على الجبال الرّواسي علا ، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا ، أنا ابن فاطمة الزّهراء ، أنا ابن سيّدة النّساء ، أنا ابن عديمات العيوب , أنا ابن نجيّات الجيوب ، أنا ابن أزكى الورى وأعظمهم أمراً وكفاني بهذا فخراً)) . قال : ثمّ إنّ معاوية أمر المؤذّن أن يؤذّن ليقطع كلامه , فلمّا قال المؤذّن : أشهد أنّ مُحمّداً رسول الله , قال الحسن : ((يا معاوية , مُحمّد أبي أم أبوك ؟ فإن قُلت إنّه ليس بأبي فقد كفرت , وإن قُلت نعم فقد أقررت بحقّي , وأنت تغصبنا ما هو لنا ولا ترد إلينا حقّنا)) . فقال معاوية : يا حسن , أنا خير منك . فقال الحسن : ((وكيف ذلك يابن هند , يابن آكلة الأكباد ؟!)) . فقال معاوية : لأنّ النّاس أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك . فقال الحسن (عليه السلام) : ((هيهات هيهات ، إنّ هذا شرّ علوت به يابن هند , ألم تعلم أنّ المُجمعين عليك رجلان ؛ مطيع ومكره , فالطّائع لك عاص لله , والمكره معذور عند الله , وحاشا لله أن أقول أنا خير منك ؛ لأنّك لا خير فيك ، وإنّ الله برّأني من الرّذائل كما برّأك من الفضائل يا معاوية)) . قال : فقام يزيد بن معاوية , وقال : يا حسن , إنّي منذ صرت أبغضك . فقال الحسن : ((يا يزيد , اعلم أنّ إبليس شارك

أباك في نكاحه حين علقت فيك أُمّك , فاختلط الماءان , فولدت على ذلك وصرت من تلك النّطفتين ؛ فلأجل ذلك تبغضني وتحمّلت أنت وأبوك عداوتي , وكذلك الشّيطان , شارك جدّك حرباً عند نكاحه , فولد جدّك صخر , فلذلك جدّك يبغض جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى :﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَولاَدِ ﴾[1] واعلم يا يزيد , لا يبغضنا إلّا من خبث أصله وكان من إبليس نسله)) . فقال معاوية : يا عمرو بن العاص , هذه مشورتك لنا . فقال عمرو : والله , ما ظننت أنّ مثله هذا على صغر سنّه يقدر يتكلم فوق المنبر بكلمة واحدة , ولكنّه لا شك من معدن الفصاحة ومن بيت الكرم والسّماحة . قال معاوية : وأنا أيضاً أفتخر وأقول : أنا ابن بطحاء مكّة وأغزرها جوداً وأكرمها جدوداً , أنا ابن من ساد على قُريش ناشئاً وكهلاً . فقال الحسن : ((يا معاوية , أعليّ تفتخر وأنا ابن مأوى التّقى , وأنا ابن مَن جاء بالهُدى , وأنا ابن مَن ساد على أهل الدّين بالفضل السّابق والحسب الفائق , وأنا ابن مَن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ؟! فهل لك أب كأبي تباهيني به ؟! أو لك قدم كقدمي تساميني به ؟ هل تقول نعم يا معاوية أو تقول لا ؟)) . فقال : بل أقول لا , وهي لك تصديق . فتعجّب الحاضرون من كلام الحسن (عليه السلام) وأجوبته وحسن براعته.

فانظروا يا إخوتي إلى هذا النّور الجسماني والشّخص الرّباني , كيف تفوح آثار النّبوة منه والإمامة ، ومن غيره آثار المكر والخدع واللئامة , ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور :

والله لـــو لا نكـــث عهـــد الـــمُصطفى يـــوم الغـــدير وظلـــم حيـــدر فـــاسمعوا

مـــا استضـــهدت آل النّـــبي أميـــة كـــلا ولا لخلافـــة يومـــاً دعـــوا

روي : أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يوماً مع جماعة من أصحابه مارّاً في بعض الطّرق , وإذا هُم بصبيان يلعبون في ذلك الطّريق , فجلس النّبي عند صبي منهم وجعل يُقبّل ما بين عينيه ويلاطفه , ثمّ أقعده في حجره وهو مع ذلك يكثر تقبيله , فقال له بعض الأصحاب : يا رسول الله , ما نعرف هذا الصّبي الذي قد شرّفته بتقبيلك وجلوسك عنده وأجلسته في حجرك ؟ ولا نعلم ابن مَن هو ؟ فقال النّبي : ((يا أصحابي لا تلوموني , فإنّي رأيت هذا الصّبي يوماً يلعب مع الحُسين , ورأيته يرفع التّراب من تحت أقدامه ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنّه , فأنا من ذلك

---

(1) سورة الإسراء / 64.

اليوم بقيت أحبّ هذا الصّبي , حيث إنّه يحبّ ولدي الحُسين , فأجبته لحبّ الحُسين , وفي يوم القيامة أكون شفيعاً له ولأبيه ولأُمّه كرامة له , ولقد أخبرني جبرائيل أنّه يكون هذا الصّبي من أهل الخير والصّلاح , ويكون من أنصار الحُسين في وقعة كربلاء , فلأجل هذا أحببته وأكرمته كرامة للحُسين (عليه السلام))) . :

على مثلهم فليبك بالمدى المدى ... ويذرف دمعاً منه كالسيل مسبل

فما منهم إلّا قتيل وهالك ... بسم ومذبوح وذاك مكبل

أصابتهم أيدي المصائب فاغتدوا ... أماثيل في الدنيا لمن يتمثل

روي عن الحُسين (عليه السلام) , أنّه قال : ((أتيت يوماً جدّي رسول الله , فرأيت أُبي بن كعب جالساً عنده , فقال لي جدّي : مرحباً بك يا زين السّماوات والأرض . فقال أُبي : يا رسول الله , وهل أحد سواك يكون زين السّماوات والأرض ؟ فقال النّبي : يا أُبي بن كعب , والذي بعثني بالحقّ نبيّاً , إنّ الحُسين بن عليّ في السّماوات أعظم مما هو في الأرض , واسمه مكتوب عن يمين العرش , إنّ الحُسين مصباح الهُدى وسفينة النّجاة)).

قال : ثمّ إنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد الحُسين (عليه السلام) وقال : ((أيّها النّاس ، هذا الحُسين بن عليّ , ألا فاعرفوه وفضلّوه كما فضلّه الله عزّ وجلّ , فو الله , لجدّه على الله أكرم من جدّ يوسف بن يعقوب ، هذا الحُسين ؛ جدّه في الجنّة وأُمّه في الجنّة , وأبوه في الجنّة وأخوه في الجنّة , وعمّه في الجنّة وعمّته في الجنّة , وخاله في الجنّة وخالته في الجنّة , ومحبّوهم في الجنّة ومحبّوا محبّيهم في الجنّة)).

وروي في بعض الأخبار : أنّ الحُسين (عليه السلام) مرّ على عبد الله بن عمرو بن العاص , فقال عبد الله : مَن أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السّماء ؟ فلينظر إلى هذا المختار , وإنّي ما كلّمته قط منذ وقعة صفّين . فقال له الحُسين : ((يا عبد الله , إذا كنت تعلم إنّي أحبّ أهل الأرض إلى أهل السّماء , فلم تقاتلني وتقاتل أبي وأخي يوم صفّين ؟ فو الله , إنّ أبي خير منّي عند الله ورسوله)) . قال : فاستعذر إليه عبد الله وقال : يا حُسين , إنّ جدّك رسول الله أمر النّاس بإطاعة الآباء , وإنّي قد أطعت أبي في حرب صفّين . فقال الحُسين (عليه السلام) : ((أما سمعت قول الله

تعالى في كتابه المُبين :﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا ﴾[1] ؟ فكيف خالفت الله تعالى وأطعت أباك وحاربت أبي وقد قال رسول الله : إنّما الطّاعة للآباء بالمعروف لا بالمنكر ، وإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؟!)) . فسكت عبد الله بن عمرو ولم يرد جواباً ؛ لعلمه أنّه خسر الدُنيا والآخرة ذلك هو الخُسران المُبين.

وعن الطّبري عن طاووس اليماني : أنّ الحُسين بن عليّ كان إذا جلس في المكان المُظلم , يهتدي إليه النّاس ببياض جبينه ونحره ، وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيراً ما يقبّل الحُسين (عليه السلام) بنحره وجبهته ، وإنّ جبرائيل (عليه السلام) نزل يوماً إلى الأرض , فوجد الزّهراء نائمة والحُسين في مهده يبكي على جاري عادة الأطفال مع أُمّهاتهم , فجلس جبرائيل عند الحُسين , وجعل يناغيه ويسكته عن البكاء ويسليه , ولم يزل كذلك حتّى استيقظت فاطمة (عليها السلام) من منامها , فسمعت إنساناً يُناغي الحُسين , فالتفتت إليه ولم تر أحداً , فأعلمها أبوها رسول الله أنّ جبرائيل كان يُناغي الحُسين.

وعن أنس بن مالك , قال : رأيت الحُسين (عليه السلام) مع جنازة لبعض أصحابه , فصلّينا عليها معه , فلمّا فرغنا من الصّلاة , رأيت أبا هريرة ينفض التّراب عن أقدام الحُسين ويمسح بها وجهه , فقال له الحُسين (عليه السلام) : ((لِمَ تفعل هذا يا أبا هريرة ؟)) . فقال : دعني يابن رسول الله , فو الله لو تعلم النّاس مثل ما أعلمه من فضلك , لحملوك على أحداقهم فضلاً عن أعناقهم ، يابن رسول الله , في هاتي أذني سمعت من جدّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول على منبره : ((إنّ هذا ولدي الحُسين سيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين , وإنّه سيموت مذبوحاً ظمآناً مظلوماً لعن الله من قتله)).

فيا إخواني , كيف لا نبكي لأحبّ أهل الأرض والسّماء ؟ وكيف لا نحزن على قتيل الظّماء والماء حوله ؟ قد بادروه بالسّيوف والرّماح وصادموه في ميدان الكفاح , وقالوا له لا سعة ولا فصاح , فيا ويحهم ! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم :

---

(1) سورة العنكبوت / 8.

القصيدة للخليعي (رحمه الله تعالى)

سل جيرة القاطنين ما فعلوا ... وهل أقاموا بالحي أم رحلوا
وقف معي وقفة الحزين عسى ... أنشد ربعاً ضلت به السبل
ولا تلمني على البكاء فالدموع ... ري تطفى به الغلل
بانوا فلي مقلة مقرحة ... ومهجة بالزفير تشتعل
جسمي لشوك القتاد مفترس ... وناظري بالسهاد مكتحل
قد كان قلبي والدار جامعة ... والعيش غض والشمل مشتمل
مروعاً خائفاً فكيف به ... غدا التنائي والركب مرتحل
فوا ضلالي تبكي لوحشتهم ... عين وبين الضلوع قد نزلوا
وأسأل النطق من صدى طلل ... بال وأني يجيبني الطلل
فما لقلبي والنائبات وكم ... يرمي بسهم النوى وينتبل
يا نفس صبراً فكل نائبة ... سوى مصاب الحُسين تحتمل
ويا جفوني سحي عليه فلي ... عن كل رزء برزئه شغل
لم أنسه ينشد الطغاة وقد ... حفت به السمهرية الذبل
الا ارجعوا عن قتالنا وذروا ... سفك دماء النّبي واعتزلوا
أنا ابن خير الأنام قاطبة ... وخير خلق يحفي وينتعل
بذا امرتم أن تقطعوا رحم ... المختار من بعده ولا تصلوا
لهفي له يشتكي الأوام وللبيض ... المواضي من نحره بلل
لهفي لذلك الجبين منعفراً ... كالشمس أنى بدا لها الخجل
لهفي لنسوانه وقد كشفت ... عن صدرهن السجوف والكلل
مسلوبة قد تقنعت فاضل الردن ... وعبرى قد شفها الثكل
هذي تنادي أخي وتلك أبي ... والدمع فوق الخدود منهمل
وزينب مستجيرة ولها ... على أخيها ندب ومرتجل
تصيح من حسرة ومن أسف ... والقلب منها مروع وجل
أين عليّ بن الحُسين ألا ... اين المحامي والفارس البطل
تبكي وتستصرخ البتول وللشعت ... اليتامى من حولها زجل

يا أمّ قـــــومي وســـــارعي فمفـــــداك ... طـــــريح في الـــــتراب منجـــــدل
قـــومي فقـــد نالنـــا لفقـــد أخـــي ... خطـــب مهـــول وحـــادث جلـــل
حـــــتى إذا ثـــــوروا لـــــرحلتهم ... وحـــث بالركـــب ســـائق عجـــل
وعلـــق الـــرأس يســـتنير بـــه الأفـــق ... وســـارت تطـــوي الفـــلا الإبـــل
ظلـــت تنـــادي وا ذلنـــا يا رســـول الله ... وصـــيتهم ومـــا قبلـــوا
مـــا حفظـــوا مـــا أمـــرت مـــن ود ذي ... القـــربي ولا عـــن ضـــلالهم عـــدلوا
وفـــاطم تســـتغيث عمتهـــا ... صـــارخة دمـــع عينهـــا خضـــل
يا عمـــتي مـــا لهـــؤلاء وللحـــريم ... لا يعطفـــون إن ســـألوا
ومـــا لـــذا الســـائق العنيـــف مـــن ... الأدلاج لا ضـــجرة ولا ملـــل
لهفـــي لـــزين العبـــاد يرفـــل في القيـــد ... كئيبـــاً تذيبـــه العلـــل
يجـــول نحـــو الحـــريم محتســـباً ... يـــدعو إلى ربـــه ويبتهـــل
حـــتى إذا أقبلـــت ركـــائبهم ... علـــى يزيـــد يقودهـــا الســـفل
صـــاح غـــراب فقـــال قـــل مـــا تشـــأ ... أو لا تقـــل فالســـرور مكتمـــل
قتلـــت أسمـــاهم فخـــاراً وأزكـــاهم ... تجـــاراً وحـــق الأمـــل
قابلـــت يومـــاً بيـــوم بـــدر وعاجلـــت ... انتصـــاري لمعشـــر خـــذلوا
وظـــل بالعـــود قارعـــاً ثغـــر ... مـــولانا ســـروراً لامـــه الهبـــل
فمـــا تـــرى عـــذر آل حـــرب إذ جـــاءوا ... وقـــد أيقنـــوا لمـــن قتلـــوا
وإن جـــني الـــمُصطفى النّـــبي لهـــم ... بأي شـــيء تعـــارض الرســـل
ومـــا يقولـــون في الجـــواب وقـــتلاهم ... بنـــوه ومـــا لـــه فعلـــوا
يا ســـادتي يا بـــني النّـــبي ومـــن ... علـــيهم في المعـــاد أتكـــل
مـــا راعـــني فقـــد مـــن ألفـــت بـــه ... ولم يهجـــني التشـــبيب والغـــزل
ولا شـــجاني إلّا مصـــابكم ... فمـــا بـــدمعي علـــيكم تحـــل
مـــا أنا والله عـــن محبـــتكم ... ولعـــن أهـــل العنـــاد منتقـــل
والله لي شـــاهد ولســـت إذا ... اتقيـــت قومـــاً أرضـــى إذا جهلـــوا
والعـــادل المســـتدل لا يـــدخل ... الشـــك عليـــه قـــول ولا عمـــل
مـــا للخليعـــي عبـــد أنعمكـــم ... الا ولاكـــم إذا انقضـــى الأجـــل

يكفيه عند الأعراف علمكم يوماً بسيماه يعرف الرجل
ما عنكم لابن حرة عوض وليس منكم لعارف بدل
وأين عنكم بالولاء لكم تمحى الخطايا ويغفر الزلل

الباب الثّاني

يا إخواني , لو فكّر المُحب الولهان فيما جرى على سادات الزّمان , وما أصابهم من البلاء والمحن , لقال لروحه أن تخرج من البدن , تُقطّع منهم الأوصال ويجدّلون على الرّمال , ويتجرّعون الحتوف بأرض الطّفوف ، على أيدي أهل الفساد وأشرّ العباد . فكم وكم من نفس معصومة أزهقوها , وكم من دماء محرّمة أراقوها , وكم من رؤوس شريفة فوق الأسنّة رفعوها , وأخذوها بالأسنّة الحداد كما يُفعل بأهل الإلحاد ، هذا مع علمهم بأنّهم الذرّيّة النّبويّة والعترة الهاشميّة . فيا لها من مُصيبة ما أعظمها في الإسلام وأعظم رزيتها بين سائر الأنام , فإنّا لله ولا حول ولا قوة إلّا بالله :

الشّعر للشافعي مُحمّد بن إدريس

تأوب همي والفؤاد كئيب وأرق نومي فالرقاد غريب
ومما نعى جسمي وشيب لمتي تصاريف ايام لهن خطوب
فرى كبدي من حزن آل مُحمّد ومن زفرات ما لهن طبيب
فمن مبلغ عني الحُسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف أعوال وللرمح رنة وللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل مُحمّد فكادت لهم صم الجبال تذوب
وغابت نجوم واقشعرت كواكب وهتك أستار وشق جيوب
يصلّي على المهدي من آل هاشم ويغزي بنوه إن ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حُبّ آل مُحمّد فذلك ذنب لست عنه أتوب

روي عن الصّادق (عليه السلام) , أنّه قال : ((لمّا حضرت الحسن بن عليّ الوفاة , أوصى إلى أخيه الحُسين , فقال له : يا أخي , إذا أنا مت فاحملني على سريري وادفني في

البقيع ، وستعلم يا ابن أُمّ , إنّ القوم إذا علموا أنّكم تريدون دفني عند جدّي , يجدّون في منعكم , فبالله عليك , لا تهرق في أمري محجمة دم)) . قال : ((فلمّا غسّله وكفّنه وحمله على سريره وتوجه به إلى قبر جدّه ؛ ليجدد به عهداً عند جدّه , أتى مروان بن الحكم ومعه جمع من بني أُميّة , وقالوا : يُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع جدّه ؟! لا يكون ذلك أبداً . ثمّ أقبلت عائشة راكبة على بغل , وهي تقول : أتريدون أن تدفنوا ببيتي مَن لا أحبّ ؟! فقال لها ابن عبّاس : ارجعي إلى منزلك واستعملي الحياء , فنحن ندفنه في البقيع كما أوصى (عليه السلام) , وإنّما جئنا لنجدد به العهد عند جدّه . فقالت : إنّي لا أنصرف حتّى تخرجوا به إلى البقيع . فقال لها ابن عبّاس : وا سوأتاه لك يا عائشة ! يوماً تجمّلت ويوماً تبغّلت وإن عشت تفيّلت)) . وفي هذا المعنى قال بعض محبّيهم فيهم :

يعظمون له أعواد منبره ... وتحت أرجلهم أولاده وضعوا

بأي وجه بنوه يتبعونكم ... وفخركم أنكم صحب له تبع

وكيف ضاقت عن الأهلين تربته ... وللأجانب عن جنبيه متسع

وكيف صيرتم الإجماع حجتكم ... والقوم ما اتفقوا فيه ولا اجتمعوا

أمر عليّ بعيد من مشورته ... مسكوه فيه والعباس يمتنع

وتدعيه قريش بالقرابة ... لا رفعوا فيه ولا وضعوا

فأي خلف كخلف كان بينكم ... لو لا تلفق أخبار وتصطنع

هذي وصايا رسول الله مهملة ... غدراً وثمل رسول الله منصدع

فيا حرّ قلبي لما جرى للآل أهل الجود والمجد والافضال من الكفرة الفجرة الأنذال ، حسدوهم على معاليهم حيث عجزوا عن إدراك الفضل الذي أودعه الله فيهم , فحملتهم تلك الأحقاد على الكفر والإرتداد ، وإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور.

روي : أنّ الحُسين (عليه السلام) كان جالساً بمسجد جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) , وذلك بعد وفاة أخيه الحسن (عليه السلام) , وكان عبد الله بن الزّبير جالساً في ناحية المسجد , وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أُخرى , فجاء أعرابي على ناقة حمراء , فعلقها بباب المسجد ودخل , فوقف على عتبة بن أبي سفيان وسلّم عليه , فردّ عليه السلام , فقال له الأعرابي : اعلم , إنّي قتلت ابن عمّ لي عمدا وطولبنا بالدّية , فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فرفع رأسه إلى غلامه , وقال : ادفع إليه

مائة درهم . فقام الأعرابي مغضباً وانتهره وقال : ما أريد إلّا الدّية تماماً . ثمّ تركه وأتى عبد الله بن الزّبير , وقال له : إنّي قتلت ابن عمّ لي وقد طولبت بالدّية , فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال لغلامه : ادفع إليه مائتي درهم . فقام الأعرابي مغضباً وقال : ما أريد إلّا الدّية تماماً . ثمّ تركه وأتى إلى الحُسين فسلّم عليه , وقال له : يابن رسول الله , إنّي قتلت ابن عمّ لي وقد طولبت بالدّية , فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال له : ((يا أعرابي , نحن قوم لا نعطي المعروف إلّا قدر المعرفة)) . فقال له : سل ما تريد يابن رسول الله . فقال له الحُسين (عليه السلام) : ((ما النّجاة من الهلكة ؟)) . قال : التّوكل على الله عزّ وجلّ . فقال له : ((ما أروع الهمّة ؟)) . قال : الثّقة بالله . فقال له : ((وما يتحصن به العبد ؟)) . قال : محبّتكم أهل البيت . فقال : ((ما أزين ما يتزين به الرّجل ؟)) . قال : عِلم وعمل يزيّنه حلم . فقال له : ((فإن أخطأ ذلك كلّه ؟)) . قال : فعقل يزيّنه تقاء . فقال له : ((فإن أخطأ ذلك كلّه ؟)) . قال : سخاء يزيّنه حسن خلق . فقاله له : ((فإن أخطأ ذلك ؟)) . قال شجاعة يزيّنها ترك عجب . قال : ((فإن أخطأ ذلك ؟)) . قال : والله يابن رسول الله , إن أخطأ هذه الخصال , فالموت له خير من الحياة . فأمر الحُسين له بعشرة آلاف درهم , وقال له : ((هذه لقضاء دينك , وعشرة آلاف درهم أُخرى , تلمّ بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق بها على عيالك)) . فأنشأ الأعرابي يقول :

طربت وما هاج لي مغبق ... ولا بي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول ... فلذ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجوم السّماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات ... وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات ... فقصر عن سبقه السبق
بكم فتح الله باب الرشاد ... وباب العثار بكم تغلق

فيا إخواني , كيف لا يحقّ لِمَن فارقته ساداته الذين بهم سعاداته , أن يجري عليهم الدّموع الهاطلة , ويزيد في الحرق المتواصلة , ويكثر النّوح والعويل على هذا الرّزء الجليل ؟! سارعوا بالإساءة إليهم بعدما اختبروهم , وعجّلوا بالدّموع فيهم بعدما عرفوهم ، كأنّهم أنكروهم , فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين.

روى الشّيخ الصّدوق , عن الهيثم بن عدي بن أرطأة : قال معاوية

لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله أينا أدهى ؟ فقال عمرو : أنا للبديهة وأنت للرواية . فقال له معاوية : قد قضيت لي على نفسك , فأنا أدهى منك للبديهة أيضاً . فقال له عمرو : أين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف على الرّماح ؟ فقال : بها غلبتني , أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه ؟ فقال : والله , وإن الكذب لقبيح , فسل عمّا بدا لك فإنّي أصدقك . فقال له : أغششتني مذ نصحتني ؟ قال : لا . قال : بلى والله قد غششتني , أمّا إنّي لا أقول في كلّ المواطن ولكن في موطن واحد . قال : وأيّ موطن هذا ؟ قال : يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة إلى الحرب فاستشرتك , فقلت لك : ما ترى يا عمرو ؟ فقلت : كفو كريم . فأشرت عليّ بمبارزته وأنت تعلم مَن هو , فعلمت أنّك غششتني . فقال عمرو : يا معاوية , دعاك للمبارزة رجل عظيم الشّأن جليل القدر , فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين ؛ إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الفرسان وقاهر الشّجعان , وتزداد شرفاً إلى شرفك في طول الزّمان , وتخلو بملكك وتقهر عدوّك ، وإمّا أن تعجل إلى مرافقة الشّهداء في دار الجنان , وحسُن أولئك رفيقاً . فقال معاوية : هذه الكلمة أشرّ من الأولى , والله , إنّي أعلم إنّي لو قتلته دخلت النّار وإن قتلني دخلت النّار . فقال له عمرو : يا معاوية , إذا كنت تعلم هذا , فما الذي حملك على قتاله ؟! فقال : ويلك ! إنّ الملك عقيم , ولن يسمعها منّي أحد بعدك , فلا تخبر النّاس بما سمعت منّي.

فانظروا يا إخواني إلى صنيع الكفرة الفجرة مع العترة الكرام البررة , أتروهم ماذا يقولون حين يعرضون على الله ؟ وبكى الرّسول لمصاب عترته في ذلك الزّمان , وبكى لبكائه ؛ آدم ونوح , وعيسى وموسى , وإبراهيم خليل الرّحمن : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[1] :

رأس ابـــن بنـــت مُحمّـــد ووصـــيه ... للمســـلمين علـــى قنـــاة يرفـــع

والمســـلمون بمنظـــر وبمســـمع ... لا جـــازع مـــنهم ولا متوجـــع

أيقظـــت أجفـــاناً وكنـــت لهـــا كـــرى ... وأنمـــت عينـــاً لم تكـــن بـــك تهجـــع

كحلـــت بمنظـــرك العيـــون عمايـــة ... وأصـــم رزءك كـــلّ أذن تســـمع

مـــا روضـــة إلّا تمنـــت أنهـــا ... لـــك مضـــجع ولخـــط قـــبرك موضـــع

حُكي : أنّ امرأة ذات فحش كانت معهودة بالمدينة , ولها جار وكان مواظباً

---

(1) سورة يونس / 30.

على مأتم الحُسين (عليه السلام) , وكان عنده ذات يوم رجال ينشدون ويبكون على الحُسين (عليه السلام) , وأمر لهم باصطناع طعام , فدخلت المرأة الفاحشة تريد ناراً , وإذا بالنّار قد انطفت من غفلتهم عنها , فعالجتها تلك الفاحشة بالنّفخ ساعة طويلة , حتّى اتسخت يداها وذرفت عيناها , فلمّا اتقدت , أخذت منها ومضت لقضاء مآربها ، فلمّا صار الظّهر وكان الوقت صيفاً , فوقدت وكان لها عادة بالقيلولة ساعة , وإذا هي ترى طيفاً : كأنّ القيامة قامت , وإذا بزبانية جهنّم يسحبونها بسلاسل من نار وهم يقولون : يا زانية , غضب الله عليك وأمرنا نلقيك في قعر جهنّم . وهي تستغيث وتستجير فلا تُجار ، قالت : والله , لقد صرت على شفير جهنّم , وإذا برجل أقبل يصيح بهم : ((خلّوها)) . قالوا : يابن رسول الله وما سببه ؟ قال : ((نعم , دخلت على قوم يعملون عزائي , وقد أوقدت لهم ناراً يعملون بها طعاماً)) . فقالوا : كرامة لك يابن الشّافع والسّاقي . قالت , فقلت : مَن أنت الذي منّ الله عليّ بك ؟ قال : ((أنا الحُسين بن عليّ)) . فانتبهت وأنا مذهولة , ومضيت إلى المجلس قبل أن يتفرّقون , فحكيت لهم فتعجّبوا ، وقام البكاء والعويل , وتبت على أيديهم من فعل القبيح . فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

هجرت مقلتي لذيذ كراهاً ... لمصاب الشهيد من آل طه

واستعدت في شهر عاشور أجفاني ... لطول البكاء على مولاها

وقيل لمصرع السبط مجراها ... ولو أن دمعها من دماها

لقتيل ساءت رزيته الأملاك ... واستعبرت عليه سماها

لقتيل أضحت له البضعة الزهرا ... ثكل والوجد حشو حشاها

كاتبته العصابة الغدر والتبديل ... تشكوا أُميّة وأذاها

وتوالت عهودها والمواثيق ... وآلت أن تحل عراها

وأتاها للحكم بالعدل فارتدت ... وجدت بالغدر لمّا أتاها

بأبي ركبة المجد تجوب البيد ... وخدا وهادها ورباها
بأبي الفتية الميامين تسري ... حوله والردى أمام سراها
بأبي حين حل في كربلا يسأل ... عنها مستشقاً لثراها
قائلاً : ههنا تراق دماها ... وتنال الطغاة فينا مناها
ههنا تهتك الكرائم منا ... وتذل الآبطال من آل طه
لهف قلبي له وقد خطب القوم ... وكأن البليغ من خطباها
ثم قال : ارجعوا سلمتم أكباد ... الأعادي مرضى وقتلى وشفاها
فأجابوا لا سلم الله نفساً في ... غد من قلاك يوم لقاها
حاش لله بل نموت كراماً ... ونروي من السيوف ظماها
فجزاهم خيراً ومرّ ينادي ... أخته زينباً بكسر خباها
أخت يا زينب احفظي القول عني ... زادك الله يقظة وانتباها
إن نعاني إليك ناع فبالصبر ... ينال المصاب أجراً وجاها
لا تشقي جيباً ولا تلطمي خداً ... ولا تندبي بحلم سفاها
ومضى مسرعاً يقيم قناة الدين ... من بعد ميلها والتواها
مستعداً للحرب حتّى إذا كسر ... خطبها وقل ظباها
فرمته أيدي الطغاة بسهم ... البغي عن قوس غدرها وجفاها
ومضى المهر ناعياً فاستغاثت ... زينب وغدت تطيل بكاها
وأتت وهو في السباق تناديه ... بشجو ولا يجيب نداها
حر قلبي لها تضج وتدعو ... من جوى الثكل أمها وأباها
أم يا أم عجلي وانظري فاطم ... في السبي تستجير عداها
أم قد خمرت سكينة منها ... الرأس بالردن بعد سلب رداها
أين جدّي أين البتول ألا أين ... عليّ ، وا ذلها وا سباها
لهف قلبي لأم كلثوم خوف ... السبي تبكي وتستغيث أخاها
يا أخي كيف حال من سلب ... الناصر منها وخاف فيه رجاها
ثم تشكو إلى النّبي وقد كان ... لدى الطف سامعاً شكواها
جد هل أمة هداة نبي ... اشترت بعد العمى بهداها

فأقـــــام النّـــــبي فيهـــــا فشـــــقت حـــين غـــاب العصـــي علـــى مولاهـــا
وســـبت بعـــده الـــذراري واضـــحى المـــال نهبـــاً والآل مـــن قتلاهـــا
وســـرت تقطـــع الـــبلاد ســـروراً وبنـــوه الأدنـــون مـــن أســـراها
لا رعـــى الله أمـــة نقضـــت عهـــدك فينـــا ومـــن بنـــا أغراهـــا
كيـــف صـــبر أمـــرئ يـــود ذوي القـــربى ورأس الحُســـين فـــوق قناهـــا
ويزيـــد اللعـــين يقـــرع بالعـــود ثنـــايا ذاق النّـــبي لماهـــا
قتلتـــه عصـــابة الكفـــر عطشـــاناً فـــلا بـــل ذو الجـــلال ثراهـــا
ليســـت لناقـــة الـــتي دمـــدم الله علـــى معشـــر أبـــو ســـقياها
كحســـين وســـوف ينـــتقم الله لـــه عنـــد بعثـــه أشـــقاها
قبحـــت أنفـــس أطاعـــت هواهـــا وعصـــت مـــن بلطفـــه ســـواها
ألهمـــت رشـــده وعلمهـــا الله فجـــور انفـــوس مـــن تقواهـــا
وعـــداها نهـــج الســـبيل وقـــد أفلـــح مـــن بالـــولاء قـــد زكاهـــا
مؤمنـــاً عارفـــاً وجـــوه الـــبر أمـــن كـــلّ باغ وخـــاب مـــن دســـاها
يابـــن بنـــت النّـــبي يومـــك أذكـــى في الحشـــا جمـــرة تشـــب لظاهـــا
ليـــت إنّي لـــك الفـــدا يابـــن مـــولاي قليـــل لـــو صـــح منـــك رضـــاها
كـــم لمملوكـــك الخليعـــي فـــيكم مـــدحاً يهتـــدي بهـــا رواهـــا
فتجلـــى بهـــا عقـــول ذوي اللـــب وتجلـــو عـــن القلـــوب صـــداها
ومـــراث قـــد اكمـــن الطيـــب فيهـــا كلمـــا أنشـــدت بطيـــب شـــذاها
راجيـــاً مـــنكم الأمـــان إذا عـــد ذنـــوباً يخـــاف مـــن عقباهـــا

الباب الثّالث

أيّها المؤمنون , لو علمتم أيّ أجر تؤجرون وأيّ ثواب تحرزون , لتمنيتم دام هذا الحال إلى يوم يُبعثون ، فأنشدكم يا إخواني , أتدرون لِمَن تعزّون ؟ ولأيّ شيء أنتم مجتمعون ؟ والله بعين ديّان الدّين أنتم , والله في عزيّة مُحمّد خاتم النّبيين , وعليّ أمير المؤمنين , وفاطمة الزّهراء سيدة نسوة العالمين , وجميع الأئمة المعصومين , وعيونهم ناظرة إليكم , وهُم الشُهداء عليَّ وعليكم ، وتصديق ذلك ما

روي عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا (عليه السلام) , حيث قال : ((أيّها النّاس ، اعلموا وتيقّنوا , أنّ لنا مع كلّ وليّ لنا أعيناً ناظرة لا تشبه أعين النّاس , وفيها نور من نور الله وحكمة من حكم الله تعالى , ليس للشيطان فيها نصيب , وكلّ بعيد قريب ، وإنّ لنا مع وليّ لنا أعيناً ناظرة , وألسناً ناطقة وقلوباً وافية , وليس يخفى علينا شيء من أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم , بدليل قوله تعالى :﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] . ولو لم يكن كذلك ما كان لنا على النّاس فضل)).

ومما يدلّ على ذلك أيضاً , ما روي عن أبي سدير الصّيرفي , قال : كنت نائماً ليلة الجُمُعة , فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامي وبين يديه طبقاً مغطّى , فدنوت منه وسلّمت عليه , فردّ عليّ السّلام , فكشف لي عن الطّبق , وإذا فيه رطب جني , فقلت : يا رسول الله , ناولني من هذا الطّبق رطبة ؟ فناولني رطبة فأكلتها , ثمّ طلبت منه أُخرى , فناولني أُخرى فأكلتها , ولم يزل يناولني رطبة بعد رطبة حتّى أكلت ثمان رطبات , ثمّ طلبت منه أُخرى , فقال : ((حسبك)) . فانتبهت وأنا مسرور بنومي , فلمّا أصبحت على الإمام جعفر بن مُحمّد (عليه السلام) لأقصّ عليه رؤياي , وإذا بين يديه طبق مُغطّى كأنّه الطّبق الذي رأيته قدّام النّبي في منامي وهو مغطّى , فلمّا استقرّ بي المجلس عنده , التفت إليّ وكشف عن الطّبق , وإذا فيه رطب , فقلت : يا مولاي , ناولني رطبة . فناولنيها فأكلتها , ثمّ سألته أُخرى فأعطانيها حتّى ناولني ثمان رطبات فأكلتها , ثمّ سألته أُخرى فقال لي : ((حسبك يا أحمد , فلو زادك جدّي لزدتك)) . فقلت : يا سبحان الله مَن أخبرك برؤياي يا سيّدي ؟ فقال (عليه السلام) : ((والله , لا يخفى علينا شيء من أفعالكم وأعمالكم , قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾)).

ومن ذلك أيضاً ما رواه الثّقاة عن أبي مُحمّد الكوفي , عن دعبل بن مُحمّد الخزاعي (رحمه الله) , قال : لـمّا انصرفت عن أبي الحسن الرّضا (عليه السلام) بقصيدتي التّائية , نزلت في الرّي ، وإنّي في ليلة من الليالي وأنا أصيغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره , فإذا طارق يطرق الباب , فقلت : مَن هذا ؟ فقال : أخ لك . فبدرت إلى الباب ففتحته , فدخل شخص اقشعر منه بدني وذهلت منه نفسي , فجلس ناحية , وقال لي : لا ترع أنا أخوك من الجنّ , ولدت في الليلة التي ولدت فيها ونشأت معك , وأنّي جئت أحدّثك بما يسرّك ويقوّي نفسك وبصيرتك . قال : فرجعت نفسي وسكن قلبي ,

---

(1) سورة التّوبة / 105.

فقال : يا دعبل , إنّي كنت من أشدّ خلق الله بُغضاً وعداوة لعلي بن أبي طالب , فخرجت في نفر من الجن المردة العتاة , فمررنا بنفر يريدون زيارة قبر الحُسين (عليه السلام) قد جنّهم الليل , فهممنا بهم , وإذا ملائكة تزجرنا من السّماء وملائكة من الأرض تزجر عنهم هوامها , فكأنّي كنت نائماً فانتبهت أو غافلاً فتيقظت , وعلمت أنّ ذلك لعناية بهم من الله تعالى لمكان من قصدوا له وتشرّفوا بزيارته , فأحدثت توبة وجددت نية ، زرت مع القوم ووقفت بوقوفهم ودعوت بدعائهم , وحججت بحجّهم تلك السّنة , وزرت قبر النّبي (صلى الله عليه وآله) ومررت برجل حوله جماعة , فقلت : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله الصّادق . قال : فدنوت منه وسلّمت عليه , فقال لي : ((مرحباً بك يا أهل العراق , اتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائنا ؟ إنّ الله قد قبل توبتك وغفر خطيئتك)). فقلت : الحمد لله الذي منّ عليّ بكم , ونوّر قلبي بنور هدايتكم , وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم , فحدّثني يابن رسول الله بحديث أنصرف به إلى أهلي وقومي . فقال : ((نعم , حدّثني أبي مُحمّد بن عليّ , عن أبيه عليّ بن الحُسين , عن أبيه الحُسين , عن أبيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , قال : قال لي رسول الله : يا عليّ , الجنّة مُحرّمة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا ، وعلى الأوصياء حتّى تدخلها أنت , وعلى الأُمم حتّى تدخلها أُمّتي حتّى يقرّوا بولايتك ويدينوا بإمامتك . يا عليّ , والذي بعثني بالحقّ , لا يدخل الجنّة أحد إلّا مَن أخذ منك بنسب أو سبب)). ثمّ قال : خذها يا دعبل , فلن تسمع بمثلها من مثلي أبداً . ثمّ ابتلعته الأرض فلم أره . ولله درّ الشّاعر البرسي حيث قال :

هم القوم آثار النبوة فيهم ... تلوح وأنوار الإمامة تلمع
مهابط وحي الله خزان علمه ... وعندهم سر المهيمن مودع
إذا جلسوا للحكم فالكل أبكم ... فإن نطقوا فالدهر ، أذن ومسمع
وإن ذكروا فالكون ند ومندل ... له أرج من طيبهم يتضوع
وإن بارزوا فالدهر يخفق قلبه ... لسطوتهم والأسد بالغاب تجزع
وإن ذكر المعروف والجود في الورى ... فبحر نداهم زاخر يتدفع
أبوهم سماء المجد والأم شمسه ... نجوم لها برج الجلالة مطلع
فيا نسباً كالشمس أبيض مشرق ... ويا شرفاً من هامة المجد أرفع

فمـــن مـــثلهم إن عـــد في النّـــاس مفخـــر أعـــد نظـــراً يا صـــاح إنكنـــت تســـمع
ميـــامين قوامـــون عـــز نظـــيرهم هـــداة ولاة للرســـالة منبـــع
فـــلا فضـــل إلّا حـــين يـــذكر فضـــلهم ولا علـــم إلّا علمهـــم حـــين يرفـــع
ولا عمـــل ينجـــي غـــداً غـــير حـــبهم إذا قـــام يـــوم البعـــث للخلـــق مجمـــع
ولـــو أن عبـــداً جـــاء في الله عابـــداً بغـــير ولا (آل العبـــا) لـــيس ينفـــع
فيـــا عـــترة المختـــار يا رايـــة الهـــدى إلـــيكم غـــداً في مـــوقفي أتطلـــع
خـــذوا بيـــدي يا آل بيـــت مُحمّـــد فمـــن غـــيركم يـــوم القيامـــة بشـــفع

روي في بعض الأخبار عن حذيفة اليماني , قال : مرّ ابن عبّاس على قوم من بني أُميّة , فسمعهم يسبّون عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) – وكان ابن عبّاس مكفوف البصر كبير السّن – فقال لقائده : ما يقولون هؤلاء الأنذال ؟ فقال : إنّهم يسبّون علياً . فقال له : يا غلام قرّبني إليهم . فلمّا صار بالقرب منهم , قال : أيّكم السّاب الله عزّ وجلّ ؟ فقالوا : معاذ الله ! فمَن يسبّ الله فقد كفر وخلد في سقر . فقال : أيّكم السّاب رسول الله ؟ فقالوا : معاذ الله أن نُسب رسول الله ! فمَن سبّه فقد افترى إثماً كبيراً . فقال : أيّكم السّاب عليّ بن أبي طالب ؟ فنكّسوا رؤوسهم حياء منه , وقالوا : قد كان ذلك منّا . فقال لهم : يا أشرّ الأُمم ! ويا أهل جهنّم ! وحقّ ربّ الكعبة , إنّي سمعت رسول الله يقول : ((مَن سبّ عليّاً فقد سبّني ، ومَن سبّني فقد سبّ الله , ومَن سبّ الله تعالى , أكبّه الله على منخريه في نار جهنّم مُخلداً فيها)) . فأبشروا بالعذاب الأليم في أسفل درك الجحيم . فلم يردّوا له جواباً , فتركهم وانصرف لشأنه , فقال : يا غلام , كيف رأيت وجوههم حين أوردت الحديث ؟ فقال : اسمع يا مولاي منّي الشّعر :

نظـــروا إليـــك بأعـــين مـــزورة نظـــر التيـــوس إلى شـــفار الجـــازر

فقال له : يا غلام , زدني بارك الله فيك ! فقال :

خـــزر الحواجـــب ناكســـوا أذقـــانهم نظـــر الـــذليل إلى العزيـــز القـــاهر

فقال : زدني فداك أبوك يا غلام ! فقال :

أحبـــاؤهم خـــزى علـــى أمـــواتهم والميتـــون فضـــيحة للغـــابر

فقال : زدني بارك الله فيك ! فقال :

يـــــوم القيامـــــة يســـــكنون جهنمـــــا بـــئس المصـــير لكـــلّ عبـــد فـــاجر

فقاله له : زدني بارك الله فيك ! فقال :

وكـــذا النّـــبي خصـــيمهم مـــع حيـــدر نعـــم الخصـــيم غـــداً وخـــير الناصـــر

فقال له : بارك الله فيك يا غلام ! وأنت حرّ لوجه الله تعالى.

فانظروا يا إخواني إلى أهل الضّلال , كيف يبالغون في سبّ الآل وسبّ عليّ محكّ أولاد الحلال , ولا يخشون من الله ذي الجلال , ولا يحذرون من المرجع والمآل ، ولله درّ من قال بعض من الرّجال :

إذا مـــا التـــبر حـــك علـــى محـــك تبـــين غشـــه مـــن غـــير شـــك

وفينـــا الـــدر والـــذهب المصـــفى وحيـــدر بيننـــا شـــبه المحـــك

روي عن ابن عبّاس , أنّه قال : والله , لقد رايت جابر الأنصاري (رض) وهو يمشي في سكك المدينة , ويقف عند بيوت المهاجرين والأنصار وهو يقول : معاشر النّاس , أدّبوا أولادكم على حُبّ عليّ بن أبي طالب , فمَن أبى فانظروا في شأن أُمّه.

وفي خبر آخر ، عن الصّادق (عليه السلام) , قال : ((مَن وجد برد حبّنا أهل البيت في قلبه , فليكثر الدّعاء لأُمّه حيث أنّها لم تخن أباه فيه)) . ولله درّ صاحب الكشكول :

إليـــك جميـــع الكائنـــات تشـــير بأنـــك هـــاد منـــذر وبشـــير

وإنـــك مـــن نـــور الإلـــه مكـــون علـــى كـــلّ نـــور مـــن جلالـــك نـــور

وروحـــك روح القـــدس فيهـــا منـــزل وقلبـــك في قلـــب الوجـــود ضـــمير

وشخصـــك قطـــب الكائنـــات فســـر بهـــا علـــى ســـره في العـــالمين تـــدور

نزلـــت مـــن الله العظـــيم بمنـــزل يســـير إليـــه الطـــرف وهـــو حســـير

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾[1] . قال الثّعلبي ورواه ابن عبّاس ، أنّها نزلت في عليّ لـمّا خرج النّبي (صلى الله عليه وآله) من مكّة خائفاً من الـمُشركين إلى الغار , خلّفه لقضاء ديونه ورد ودائعه , فبات عليّ على

---

(1) سورة البقرة / 207.

فراشه وأحاط المشركون بالدّار , فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل : ((إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر , فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟)) . فاختار كلّ منهما الحياة ، فأوحى الله تعالى إليهما : ((ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب , آخيت بينه وبين مُحمّد , فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة ؟! اهبطا إلى الأرض , فاحفظاه من عدوّه)) . فنزلا , فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه , فقال : بخ بخ مَن مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ! هذا في تفسير هذه الآية ، وأمّا آية المباهلة , فأجمع المفسّرون منهم على أنّ أبناءنا إشارة إلى الحسن والحُسين ، ونساءنا إشارة إلى فاطمة ، وأنفسنا إشارة إلى عليّ فجعله الله نفس مُحمّد، المراد المساواة ومساوي الأكمل , الأولى بالتّصرف أكمل وأولى بالتّصرف . فهذه الآية أدلّ دليل على علو مرتبته (عليه السلام) ؛ لأنّه تعالى حكم بمساواته لنفس الرّسول , وأنّه تعالى عيّنه في استعانة النّبي به في الدّعاء , وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيّه بأن يستعين به على الدّعاء إليه والتّوسل به , مع ما ورد فيه ما يزيد على هذا , مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي ﴾[1] . روى الجمهور عن ابن مسعود , قال رسول الله: ((انتهت الدّعوى إليّ وإلى عليّ , لم يسجد أحدنا لصنم قط , فاتخذني نبيّاً واتخذ عليّاً وصيّاً)).

ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] . نقل الجمهور عن ابن عبّاس , قال : قال رسول الله (ص) : ((أنا المُنذر وعليّ الهادي , وبك يا عليّ يهتدي المهتدون)).

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ ﴾[3] . روى الجمهور عن ابن عبّاس وأبي سعيد الخدري , عن النّبي (صلى الله عليه وآله) , أنّه قال : ((عن ولاية عليّ بن أبي طالب)).

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[4] . روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري , قال : ببغضهم عليّاً (عليه السلام).

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[5] . روى الجمهور عن ابن عبّاس , قال : سابق هذه الأُمّة عليّ بن أبي طالب.

وروي من طرقهم في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾[6] . قال : إنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) ليلة أُسري به , جمع الله بينه وبين الأنبياء , ثمّ قال : ((سلهم يا مُحمّد على ماذا بعثتم ؟)) . فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله , وعلى الإقرار بنبوّتك , والولاية لعلي بن أبي طالب.

ومن طرقهم أيضاً في قوله تعالى :

---

(1) سورة البقرة / 124.

(2) سورة الرّعد / 7.

(3) سورة الصّافات / 24.

(4) سورة مُحمّد / 30.

(5) سورة الواقعة / 10 - 11.

(6) سورة الزّخرف / 45.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[1] . روى الجمهور عن ابن عبّاس , قال : لـمّا نزلت هـذه الآية , قـال رسول الله لعلي : ((هُـم أنـت وشيعتك يا عليّ ، تأتي أنـت وشيعتك يـوم القيامـة راضـين مرضيين , ويأتي أعداؤك غضابا مقمحين)).

وعـن الحسـن البصري[2] في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَـلُ نُـورِهِ كَمِشْـكَاةٍ . . . ﴾[3] . فقـال : المشكاة فاطمة ، والمصباح الحسن والحُسين , و﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال : كانت فاطمة كوكباً درّياً بين نساء العالمين . ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ قال : الشّجرة المباركة إبراهيم . ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّـةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية . ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِـيءُ ﴾ قال : يكاد العلم أن ينطق منها . ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ نُـورٌ عَلَـى نُـورٍ ﴾ قال : فيها إمام بعد إمام . ﴿ يَهْـدِي اللَّهُ لِنُـورِهِ مَـنْ يَشَـاءُ ﴾ قـال : يهـدي الله لولايتنا من يشاء , فهنيئاً للمحبّين والشّيعة الموالين أولئك الذين أنعم الله عليهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ولنذكر في آخر هـذا الجزء طرفاً من أنسـاب مـا يجري على الحُسين (عليه السلام) , وذراريه وأصحابه ومواليه ؛ ليعلم النّاظر أنّه لا يُفعل بهم ذلك – كما جاء في الخبر عن سيّد البشر – إلاّ من خبث مولده , وكان مطعوناً عليه في أصله ونسبه.

أمّا يزيد (عليه اللعنة) فإنّه كان جبّاراً عنيداً خبيث الولادة : ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً ﴾[4] . وقد مرّ قول الحُسين (عليه السلام) فيه وفي أبيه , أنّهما شُركاء الشّيطان.

وأمّا عُبيد الله بن زياد , أُمّه مرجانة وأبوه زياد دعيّ لأبي سفيان , وكان يُسمّى بين النّاس زياد بن أبيه ؛ لأنّه لا يُعرف له أب , وكانت أُمّه سوداء نتنة الرّائحة يُقال لها سميّة , وكانت عاهرة ذات علم تُعرف به , وقد وطأها أبو سفيان وهو سكران , فعلقت منه بزياد على فراش بعلها , فدعاها أبو سفيان سرّاً ، فلمّا آل الأمر إلى معاوية , قرّبه إليه وأدناه ورفع منزلته , وعلاه واستخلفه في بلاد الأهواز , وأمّره على ثلاثمئة ألف فارس وأمره بحرب الحسن (عليه السلام) , ولم يزل يحاربه زماناً طويلاً حتّى دسّ إليه سمّاً فقتله , فمات مسموماً رحمة الله عليه.

ولـمّا آل الأمر إلى يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى , جعل عُبيد الله بن زياد أميراً على الكوفة وأمره بقتل الحُسين (عليه السلام) , فجهّز العساكر والجنود وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتّى أنّهم قتلوه عطشاناً مظلوماً , وذبحوا أطفاله وسبوا عياله , ففعل ابن زياد لعنه الله أضعاف ما فعل يزيد عليه اللعنة ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لَا

---

(1) سورة البيّنة / 7.

(2) هكذا ورد التّفسير في الأصل ، والصّحيح أنّ التّفسير ورد عن أبي الحسن (ع) ، كما في أغلب المصادر . (موقع معهد الإمامين الحسنَين)

(3) سورة النّور / 35.

(4) سورة الأعراف / 58.

يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[1].

وأمّا هند بنت عتبة , عتبة عليه اللعنة قتله حمزة عمّ رسول الله , وكان عتبة أميراً في زمن الجاهلية , وهو الذي حارب النّبي في وقعة أُحد حرباً عظيماً , حتّى إنّه أنكسر عسكر النّبي (صلى الله عليه وآله) وشاع الخبر إلى المدينة بقتل النّبي , ورفع الصّراخ بالمدينة أنّه قُتل النّبي , فانخشعت القلوب وبكت العيون , وحزن الأقرباء وبكت السّماء وفرح الأعداء ، وكانت هند – جدّة يزيد – واقفة تضرب بالدّف من شدّة فرحتها بقتل النّبي (صلى الله عليه وآله) : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[2].

وكان عتبة لعنه الله تعالى , وهو الذي رمى النّبي بحجر ؛ فكسر رباعيته , وشقّ شفتيه , وشج رأسه الشّريف , فوثب حمزة عمّ النّبي فقتل عتبة , فجاءت هند بنت عتبة لوحشي بهبة على أن يقتل لها رسول الله , أو أن يقتل عليّاً أو حمزة ، فقال لها وحشي : أمّا رسول الله فلا سبيل لي عليه ؛ لأنّ أصحابه حافّين من حوله ، وأمّا عليّ بن أبي طالب , فإنّه إذا حارب , فهو أحذر من الذّئب وأروغ من الثّعلب , ولا طاقة لي به ، وأمّا حمزة , فإنّي أقدر عليه ؛ لأنّه إذا حارب وهاج في الحرب , لم يعد يبصر ما بين يديه وما خلفه . قال : فلمّا هاج حمزة في الحرب , كمن وحشي وضربه على أُمّ رأسه فقتله , فخرّ صريعاً إلى الأرض , فجاءت هند بنت عتبة عليهما اللعنة , ووقفت على جسد حمزة , وجذعت أذنيه وأنفه , وشقت بطنه , وقطعت أصابعه ونظمتها بخيط وجعلتها قلادة في عنقها , ثمّ أخرجت كبد حمزة وأخذت منه قطعة بأسنانها ومضغتها ؛ حنقاً منها عليه , وأرادت بلعها فلم تقدر على بلعها فقذفتها ؛ لأنّ الله تعالى صان كبد حمزة أن يحل في معدة تُحرق بالنّار . فهل سمعتم أو رأيتم امرأة أكلت كبد إنسان غير هند لعنها الله تعالى ؟! : ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلّا نَكِداً ﴾.

وأمّا عمر بن سعد , فهو الذي ولاه ابن زياد حرب الحُسين (عليه السلام) , وأمّره على سبعين ألف فارس , وأمره بقتل الحُسين وأصحابه وأطفاله وأهل بيته وسبي نسائه , ففعل ما أمره.

فجرى كلّ واحد من هؤلاء الملاعين على عرقه الخبيث : ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلّا نَكِداً ﴾ . ولقد اختبروا قتلة الحُسين (عليه السلام) , فوجدوهم كلّهم أولاد زنا لصحة قول النّبي فيهم.

فيا إخواني , انظروا إلى هؤلاء الكفرة الفجرة , كيف بالغوا في ظلم الآل ونهب الأموال , وذبح الأطفال وقتل الرّجال وأيّ رجال ، أولئك عليهم لعنة الله

---

(1) سورة الأعراف / 58.

(2) سورة التّوبة / 32.

تعالى والملائكة والنّاس أجمعين ، فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم:

القصيدة للشيخ داود البحراني

هلمـــوا نبـــك أصـــحاب العبـــاء ونرثـــي ســـبط خـــير الأنبيـــاء
هلمـــوا نبـــك مقتـــولاً بكتـــه ملائكـــة الإلـــه مـــن الســـماء
هلمـــوا نبـــك مقتـــولاً عليـــه بكـــى وحـــش المهامـــة في الفـــلاء
ألا فـــابكوا قتـــيلاً قـــد بكتـــه البتولـــة فـــاطم ســـت النســـاء
ألا فـــابكوا لثـــاوي الطـــف حـــزناً ألا فـــابكو لمـــذبوح القفـــاء
ألا فـــابكوا لمـــن أضـــحت عليـــه تنـــوح الجـــن حـــزناً بالبكـــاء
ألا فـــابكوا المعفـــر ذبـــيح علـــى الرمضـــاء شـــلو بالثـــراء
ألا فـــابكوا قتـــيلاً مســـتباحاً ألا فـــابكوا المرمـــل بالـــدماء
بنفســـي جســـم منطـــرح جـــريح علـــى حـــر الصـــعيد بـــلا وطـــاء
بنفســـي مـــن تجـــول الخيـــل ركضـــاً عليـــه وهـــو مســـلوب الـــرداء
بنفســـي هاشميـــات ســـبايا يقـــدن وهـــن في ذل الســـباء
بنفســـي نســـوة جـــاءت إليـــه وهـــن مولـــولات بالشـــجاء
أخـــي ودع يتـــامى قـــد أهينـــوا وقـــد أضـــحوا باســـر الأدعيـــاء
أخـــي هـــل بعـــد بعـــدك لي محـــام لقـــد أخـــذ الزمـــان بكـــم حمـــاء
أخـــي أصـــبحت رهـــن الطـــف شـــلوا عليـــك الـــدهر مشـــقوق الـــرداء
أخـــي أضـــحى كريمـــك فـــوق رمـــح يشـــال كبـــدر تم في الســـماء
يعـــز علـــى أبينـــا أن يـــرانا بأرض الطـــف نســـبى كالإمـــاء
يعـــز علـــى البتـــول بأن تـــرانا ونحـــن نضـــج حولـــك بالبكـــاء
وزيـــن العابـــدين تـــراه يكبـــو يقيـــد وهـــو في ضـــر الـــبلاء
أخـــي هـــذي ســـكينة مـــن حناهـــا تجـــرر بامتحـــان وابـــتلاء
وتســـلب قرطهـــا ظلمـــاً وتـــدعو أبي وا ذل حـــالي يا بلائـــي
أبي هـــذي أُميّـــة ذات صـــون ونحـــن نســـاق جهـــراً بالفـــلاء

تصـــــان أُميّـــــة ولهـــــا خـــــدور ونـــــبرز مـــــن خبـــــانا للســـــباء
كـــأنا مـــن بنـــات الـــزنج نســـبى ونضـــرب بالســـياط بـــلا خطـــاء
أيا حصـــــني أيا ذخـــــري وفخـــــري فقـــــدتك يا ســـــنادي يا رجـــــائي
ألا وأبـــــذل وجهـــــي بعـــــد صـــــون وضـــــعفي وانتهـــــاكي في الـــــوراء
أخـــي يابـــن الرســـول أذاب جســـمي حلولـــك في الثـــراء بـــلا وطـــاء
تـــدوس الخيـــل منـــك قفـــاك حـــتّى وضضـــن الصـــدر ظلمـــاً بافـــتراء
الا يا ســـــيّدي أمســـــيت أبكـــــي ويســـــعدني الحمـــــام علـــــى بكـــــائي
ألا يا آل أحمـــــــد يا حمـــــــاتي وعـــــوني في الشـــــدائد والرخـــــاء
مصـــــابكموا يوقـــــد نار قلـــــبي ويغـــــريني علـــــى كثـــــر البكـــــاء
وهـــــد قـــــواي رزؤكمـــــوا وأضـــــحى نحـــــولي لا يـــــزول ولا عزائـــــي
لقـــــد أمســـــيت بعـــــدكم حزينـــــاً قـــــريح الجفـــــن مشـــــغول بـــــداء
إلـــــيكم مـــــن عبيـــــدكم نظامـــــاً بـــــه أرجـــــو مـــــن البـــــاري جزائـــــي
بهـــــا يرجـــــو الفـــــتى داود فـــــوزاً بمحـــــو الـــــذنب يا أهـــــل العبـــــاء
وســـــامعها ومنشـــــدها بشـــــجو ومـــــن يبكـــــي بحـــــزن لا مـــــراء
وصـــــلّى الله والأمـــــلاك طـــــراً علـــــى الهـــــادين مـــــن أهـــــل الهـــــداء

ذكر أهل التأريخ , أنّ سبط بن الجوزي كان يعظ على الكرسي بجامع دمشق , فطلب منه أهل المجلس أن يذكر شيئاً في مصرع الحُسين بن عليّ (عليه السلام) , فعند ذلك أنشد يقول :

ويـــــل لمـــــن شـــــفعاؤه خصـــــماؤه والصـــــور في نشـــــر الخلائـــــق يـــــنفخ
لا بـــــد أ، تـــــرد القيامـــــة فـــــاطم وقميصـــــها بـــــدم الحُســـــين ملطـــــخ

ثمّ إنّه وضع المنديل على رأسه واستعبر طويلاً ونزل عن الكرسي وبذلك ختم.

قال بعضهم :

الا عـــــج يـــــوم الطـــــف لا زلـــــت واريا وللقلـــــب لم تـــــبرح علـــــى الصـــــعب لاويا
كـــــم انصـــــدعت أمعـــــاء مهجـــــة أنفـــــس فلـــــيس لهـــــا مـــــن جرحـــــك الـــــدهر آســـــيا

ومـــا زال زنـــد الغـــيض للوجـــد مضـــرماً وضـــلعي علـــى جمـــر الغضـــا منـــه حانيـــا
بـــك انطمســـت آثار ديـــن مُحمّـــد وأصـــبح فيـــك الكـــون بالحـــزن داجيـــا
وهـــد م المجـــد الأثيـــل قوامـــه فقـــوض للعليـــا قبـــاباً رواســـيا
وفاضـــت عيـــون المكرمـــات كآيـــة وجفـــن العـــلا مـــا أنفـــك بالـــدمع جـــاريا
وقامـــت لحشـــر الأنبيـــاء قيامـــة نـــرى لكـــلّ فيهـــا للجريمـــة جاثيـــا
بهـــا صـــور صـــعق الخلـــق حـــرك للفنـــا فأصـــبح فيهـــا حجّـــة الله ثاويا
ألا أيّهـــا اليـــوم المشـــؤوم علـــى الـــورى تركـــت جفـــون المكرمـــات دواميـــا
ضـــربت بســـيف الجـــور كيـــوان عزهـــا فغـــودر فيـــه العـــدل أجـــدر ضـــاحيا
ســـرت منكفـــي جـــنح الظـــلام قـــوائم فكـــورن مـــن ضـــوء النهـــاء الـــدراريا
وســـعرن نـــيران الحـــروب فزعزعـــت قـــوى العـــرش حـــتّى قـــد بـــرحن الثوانيـــا
قضـــت فيـــك جـــوراً آل حـــرب ذحولهـــا وســـاءت بآل الأكـــرمين التقاضـــيا
وشـــقت علـــى آل النّـــبي ســـتورها وثجـــت لهـــا بحـــراً مـــن الـــدم ســـاجيا
لقـــد أثكـــل الـــدنيا لواعجـــك الـــتي صـــببن علـــى كـــلّ الأنام الـــدواهيا
وقـــدّ لهـــا طـــود الهدايـــة قلبـــه وأصـــبح مـــن ثكـــل لرزئـــك واهيـــا
غـــداة قضـــى ســـبط النّـــبي مُحمّـــد علـــى ســـغب طـــاوي الحشاشـــة ظاميـــا
حمـــى حـــوزة المجـــد المؤثـــل وانثـــنى يجلـــي عـــن الـــدين الحنيـــف الغواشـــيا

قد تمّ الجزء الأول من كتاب (المُنتخب)

وسيتلوه (الجزء الثّاني) إن شاء الله تعالى

الفهرس

كلمةُ المؤلّف : 4
المجلس الأوّل 5
في الليلة الأولى من عشر المحرّم 5
وفيه أبواب ثلاثة 5
البابُ الأوّل 5
الباب الثّاني 13
المجلس الثّاني 26
في أوّل يوم من عشر المُحرّم 26
وفيه أبواب ثلاثة 26
الباب الأوّل 26
الباب الثّاني 31
الباب الثّالث 36
المجلس الثّالث 42
في الليلة الثّانية من عشر المُحرّم 42
وفيه أبواب ثلاثة 42
الباب الأوّل 42
الباب الثّاني 47
الباب الثّالث 53
المجلس الرّابع 61
في اليوم الثّاني من عشر المُحرّم 61

وفيه أبواب ثلاثة 61
الباب الأوّل..... 61
الباب الثّاني..... 67
الباب الثّالث..... 75
المجلس الخامس..... 82
في الليلة الثّالثة من عشر المُحرّم 82
وفيه أبواب ثلاثة 82
الباب الأوّل..... 82
الباب الثّاني..... 89
الباب الثّالث..... 97
المجلس السّادس 104
في اليوم الثّالث من عشر المُحرّم..... 104
وفيه أبواب ثلاثة 104
الباب الأوّل..... 104
الباب الثّاني..... 111
الباب الثالث..... 120
المجلس السّابع..... 127
في الليلة الرّابعة من عشر المُحرّم..... 127
وفيه أبواب ثلاثة 127
الباب الأوّل..... 127
الباب الثّاني..... 136
الباب الثّالث..... 144
المجلس الثّامن 150

في اليوم الرّابع من عشر المُحرّم 150
وفيه أبواب ثلاثة 150
الباب الأول 150
الباب الثّاني 156
الباب الثّالث 162
المجلس التّاسع 170
في الليلة الخامسة من عشر المُحرّم 170
وفيه أبواب ثلاثة 170
الباب الأوّل 170
الباب الثّاني 179
الباب الثّالث 187
المجلس العاشر 194
في اليوم الخامس من عشر المُحرّم 194
وفيه أبواب ثلاثة 194
الباب الأوّل 194
الباب الثّاني 201
الباب الثّالث 207